شوقي أبو خليل

جرجي زيدان في الميزان

دار الفكر

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى : ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م
الطبعة الثانية : ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م

دار الفكر ـ دمشق ـ ساحة الحجاز
ص . ب (٩٦٢) ـ برقيا (فكر) هاتف (١١١٠٤١)

أجازت وزارة الأعلام طبع وتداول هذا الكتاب تحت رقم ٨٠٥٠ ، تاريخ ١/١٢/١٩٨٠

جرجي زيدان
في الميزان

إن الأمة التي تريد البقاء

تحمي تاريخها وتراثها بسياج

متين من الحراسة

تصـــدير

✶ « والعربي بمنزلة الكلب ، اطرح له
كسرة واضرب رأسه » !؟!

جرجي زيدان في روايته :
« عروس فرغانة ، ص : ١٦٨ » .

يواجه تاريخنا العربي وأعلامه محاولة مدروسة دقيقة ، لتزييفه وإفساده ، وتمييع قيمه ومُثُلِهِ ، وهي محـاولة لم نشهد أخطر من سمومها وطعناتهـا ودسائسها .. كل ذلك في عرضٍ روائي جـذاب شيّق ، هـدفه طرح أرضية تاريخية وفكرية واسعة لإثارة الشبهات حول تاريخنا وتراثنا وآدابنا ورجالاتنا .

سموم حقيقية قُدّمت إلى شباب جيلَيْن في أمتنا العربيـة ، عن طريق قصص تقوم على الحبكة الغراميـة الخياليـة ، حملت عنوان « روايات تاريخ الإسلام » لجرجي زيدان .

وروّجت دار الهلال لهذه الروايات الغرامية ، خلال أكثر من ثلاثة أرباع القرن ، من موالاة نشرها وطبعها وإذاعتها في مختلف أرجاء الوطن العربي .
وتروّج لها اليوم أيضاً ، دور نشر معينة في لبنان ، حتى أُقيمت دار نشر باسم « جرجي زيدان » ، صاحب الروايات ، أغلفتها أنيقة ، عليها صور غانيات جميلات بالألوان ، تجتذب الجيل والناشئة بأسعارها الرمزية ..

والغريب أن بعض الأدباء والكتاب ردّدوا ادعاءات جرجي على تراثنـا وتاريخنا كطه حسين ، وسلامة موسى ، ولويس عوض ، ولطفي السيد ، ومحمود عزمي ، وحسين فوزي ..

والأغرب ، أنه لم يُكْتَب عن هذه الروايات نقد" شافٍ خلال ثلاثة أرباع القرن ، فكأنها في حراسة متينة ، ورعاية أمينة ، وكُتبت دراستان عابرتان موجزتان عن كتاب جرجي « تاريخ التمدن الإسلامي » ، و : « تاريخ آداب اللغة العربية »:

الأُولى •• بعنوان : « انتقاد كتاب تاريخ التمدن الإسلامي » للشيخ شبلي النعماني (رئيس جمعية ندوة العلماء[1]) في الهند •

والثانية •• انتقاد كتاب تاريخ آداب اللغـــة العربية ، للشيخ أحمد عمر الاسكندري • وكُتِبَت دراســة موجزة للأب لويس شيخو عن تاريخ آداب اللغة العربية ، وعن كتاب طبقات الأُمم • نُشِرَ في مجلة الشرق •

وجرجي •• ظن أنه يكفيه من الاستعدادات لكتابة تاريخ الإسلام ، اقتباس أسلوب الغربيين فيه ، ومراجعة وترجمة كتبهم الجامعة لمادته ، وبما يرفدونه من أفكار وآراء •• مع أن التاريخ ليس قياساً ، فما لم يثبت بالرواية ، لا ينفع مجرد القياس فيه ، فأخطأ جرجي بالرأي ، وأخطأ بالنقل والترجمة ، علماً أن خطأ الرأي وحده فادح كبير ، فكيف بخطأ النقل والترجمة ؟ فهو أفدح وأمرّ ؟! وبخاصة إذا علمنا أن جرجي روائي قاص ، وليس مؤرخاً محققاً !؟!

لقد كتب جرجي ما اعتقده ، بعيداً كل البعد عن البحث المنهجي في دراسة التاريخ ، أو ما يسمى « مصطلح التاريخ » ، واعتمد على ما كان ذائعاً على ألسنة عامة الوراقين ، أو الكتب التي تلقي الأخبار على عواهنها من غير تمحيص أو تحقيق ، حتى أخذ من كتب الخصوم من غير تمحيص أو تدقيق أيضاً ، بل أخذ بأقوال الخصـــوم ، وبالكتب الموضوعة لأخبـــار المجـــان ، وبعجائب الأمور وغرائبها •• ساعده على ذلك امكاناته الجيدة في اللغة العربية واللغات الأجنبية ، وسعة خياله ؟!!

---

(١) في دار الكتب •• الظاهرية بدمشق تحت رقم : هـ ـ ٦١٩ ، مع مقدمة للشيخ محمد رشيد رضا • طبعة المنار بمصر سنة ١٣٣٠ هـ •

إن جرجي حُرّ في إنشاء أية قصة غرامية ، كقصّته « جهـاد المحبين » ، ولكنه ليس حراً في تشويه تاريخنا ، وتمييع قيمنا ، التي تجمع قلوب الملايين ، وتجعلهم أخوة يعتزّون بهدف سام ، ويتّخذون من أبطال هذا التاريخ قـدوة وأسوة ونبراساً •

كما أنه ليس حُرّاً بأن يجعل عنوان هذه الروايات الغراميـة « روايات تاريخ الإسلام » ، وبخاصة أنه عندما يخطىء بها ، يخطىء خطأً من يعلم ، لا خطأ من يجهل !!

إن الأُمم الحية تحافظ على تراثها ، وتبذل كل ما في وسعها لتحقيق هذا الهدف ، وهي في الوقت ذاته أمينة في حراستها •• تقطع أيدي العابثين فيه في محاولاتهم الأولى ، لأن العبث في تراث الأمة ، خطوة مدروسة لهدم ذاتيتها ، وتحطيم طاقاتها ، وبالتالي ضياعها كأمة متينة البنيان ، قويـة الترابط ، سليمة الهـــدف •

إن الفرنسيين اليوم لا يقدّسون نابليون فقط ، بل يقدّسون الطريق التي سلكها في هروبه من جزيرة إلبا إلى باريس ، عندما حقّق حكم المئة يوم • وتراهم يرسلون السياح إليها ، ويسيرون بخشوع ، ما الأمر ؟ وما المناسبة ؟ يقولون : هذه طريق سار فيها نابليون !!

وبريطانية لا تقدس رجالاتها فقط ، بل تقدس آثارهم ، فبيت « لورنس » في لنـدن مزار للسيّاح ولأهل لنـدن ، ناهيك عن الرجالات الأعظم والأهم عندهم !!!

ونحن نرى ونسمع معول الهدم في تاريخنا وذاتيتنا ، وكأن الأمر لا يهمنا ولا يعنينا ، فنتركه يعمل بحريّة •• علماً أن هذه الروايات أساءت أيضاً لسمعتنا في دول العـالم عنـدما تُرجمت إلى الفارسية ، والتركيـة ، والهندستانية ،

والأذربيجانية ولغات شرقية أخرى ، وإلى معظم اللغات الأوربية •• على أنهـا « تاريخ الإسلام » ، فكم أساءت ؟!؟

وإن الغاية التي توخاها جرجي هي تحقير الأمة العربية ، وابداء مساويها ، وتمييع تاريخها وتفسيره تفسيراً جنسياً فرويدياً ، ولكنه لما كان يخاف ثورة الفتنة ، غيَّر مجرى القول ، ولبس الباطل بالحق ، فما ترك سيئة إلا وعزاهـا للعرب ، أموين وعباسيين ، وما خلى حسنة إلاّ وابتزّها منهم ، وكل ذنبهم أنهم عرب على صَرَافَتِهم •

ولما كان كل قول في الرواية التاريخية محسوباً على المؤلف ولو أورده على لسان بطل من أبطال الرواية ، فياعرب ، اسمعوا نماذج من آراء جرجي :

- « العرب البدو الحفاة » •
- « سأقيم في معسكر الروم لعلّي أشفي غليلي من العرب » •
- « أرى اللص ينقب بيتي فأتغافل عنه[١] » ، واللص هنا هم العرب !؟!
- « والعربي بمنزلة الكلب اطرح له كسرة واضرب رأسه[٢] » •
- « فهؤلاء العرب ما زالوا من الخونة العاصين[٣] » •

ناهيك عن عبارات السلب والنهب ، وشراذم العصاة ، والقوم الظالمين ••• فكيف نقبل ذلك ؟

وكيف نقبل بتداول روايات لحمتها الخيال والأسطورة ، وسداها الدسائس والاتهامات والشتائم ؟ فالعروبة ليست شعاراً يرفع ، ولا كلمة تقال ، إنها التزام بتراثها وبكرامتها ، ودفاع أمين عن عقيدتها ، وغيرة صادقة عليهـا ، والنخوة نحوها ، وبتريد التشويه والدس عنها •

(١) رواية « أرمانوسة المصرية » الصفحات : ١٦٨/١٦٣/١٥٢ على التوالي •
(٢) رواية « عروس فرغانة » ، ص : ١٦٨ •
(٣) رواية « المملوك الشارد » ، ص : ٣٦ •

وجرجي ـ كمثال على سوء النية المقصود ـ يحرّف حتى في نقل النص•• لا •• بل يتوخاه كما تريده مخيلته ، بما يخدم هدفه •• قال جرجي :

★ « في وصية عمر بن الخطاب حين احتضر ، وأوصى بالشورى ، قال : أنشدك الله يا علي أن تحمل بني هاشم على رقاب الناس[1] » •• وهـذا دس وخطأ وتشويه •• وصوابه « أن لا تحمل بني هاشم على رقاب الناس » •

★ وقال جرجي أيضاً : « انشدك يا عثمان أن تحمل بني معيط على رقاب الناس » ، وهذا غلط ، وصوابه : « ان لا تحمل بني معيط على رقاب الناس » •

★ وقال : « أنشدك الله يا سعد أن تحمل أقاربك على النّاس » ، وهـذا أيضاً غلط ، وصوابه : « أن لا تحمل أقاربك على الناس » •

بمثل هذه الأمانة التاريخية ، كتب جرجي تاريخنا ؟

وقبل أن أختتم هذه المقدمة ، أضع هذه الملاحظات بين يدي الباحثين :

ذكر جرجي بسر بن أرطأة كما يلي : بسر بن قرطاط[2] •

وسَلْم الخاسر أورده جرجي : سالم ، وقال : ويقال سالم بن عمرو ، أحد موالي أبي بكر الصديق ، وسلم ليس مجهولاً حتى يشتبه على جرجي اسمه ؟!!

وأورد اسم « عمرو بن سعد » غلطاً ، وصوابه « عمر بن سعد » •

وذكر اسم « الخولاني » كما يلي « الحولاني » •

وقال عن الضاهر بيبرس يلقّب بالعَلي ، والصواب « بالعلائي » •

وأورد اسم جبير بن مطعم ، بالشكل التالي : « جبر بن مطعم » •

وذكر اسم مدينة « شفا عمرو » ، على الشكل التالي : « شفا عمر » •

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ، ص : ١٣٤ •

(٢) هذه الأخطاء من تاريخ التمدن ، ومن روايات تاريخ الاسلام ، راجع رسالة « نبش الهذيان من تاريخ جرجي زيدان » للعلامة أمين حسن حلواني ، والرسالة موجودة في دار الكتب الوطنية بدمشق •

وأورد اسم سعد الأزدي خطأ ، والصواب « سعيد الأزدي » .

وجاء اسم « الجعد بن درهم » ، بالشكل التالي : « الجاد بن درهم » .

وقال جرجي « كاراتيس » ، والصواب « قاراطيس » .

وكتب « الأتاوة » خطأ بالشكل التالي « الأداوة » ...

و « عُوَيس » صوابه « أُوَيس » .

و « جنبو » صوابه « ينبع » [المدينة الساحلية الشهيرة] .

وقال « طراباي » ، بدل « التربة » معركة التربة في الجزيرة العربيـــة أيام محمد علي باشا .

وقال عن « الدرعيـــة » وهي الصواب ، « الدرايـــة » خطأ .. فحرف « العين » غير موجود في الانكليزية والفرنسية ؟!؟ وكذلك حرف « الطاء » ، ولا يميزون بين عمرو وعمر ، وسعد وسعيد ..

ومن ناحية ثانية .. وجدت اختلافاً في نصّ الطبعات .. مثـــال ذلك في « رواية ١٧ رمضان » الصفحات : ٧١ و ٧٩ و ٨٥ .. المعنى واحد في طبعـــات هذه الرواية ولكن العبارات مختلفة ..

والسيد محمد عبد الغني حسن الذي قدّم كتاباً عن جرجي جعله فيه علماً من أعـــلام العرب قال : « وبالطبع كان جرجي زيدان يسير على نهج الأوربيين والمستشرقين في تاريخ الآداب العربية[1] » .

(١) قدم محمد عبد الغني حسن كتاباً عن جرجي ، طبعته « الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر » في سلسلة اعلام العرب « الجزء ٩٠ » ، ومما يذكر أن محمد عبد الغني حسن دعي لالقاء محاضرة عـن جرجي [عام ١٩٧٨] في جامعة المدينة المنورة ، فكال لجرجي المديح ، ولما انتهى من القاء محاضرته ، قال له أحد الحاضرين : نسيت شيئاً لتكتمل موضوعيتك عن جرجي ، لم تقل إنه رجل استخبارات بريطانية ، فضحك الجميع وبهت محمد عبد الغني حسن ، واعترف بعمالة جرجي للمخابرات البريطانية ، ومحضـر الجلسة محفوظ في الجامعة المذكورة ؟!؟.

والأب لويس شيخو في نقده لكتاب جرجي « تاريخ آداب اللغة العربية » ، قال صراحة : « كلامه غير مرة تعريباً لا تأليفاً ، وكان العدل يقضي بأن يشـير إليـه مراراً في أسانيـده إلى رواتها في ذيل الكتـاب .. نقـل فصولاً كاملة مـن كتـاب تاريخ الآداب العربيـة لكارل بروكلمـان » .

كل هذا يجعلنا نقول : النصّ كُتب بلغة أجنبية « انكليزية أو افرنسية » وبمفهوم استشراقي غربي ، وقُدّم إلى جرجي زيدان ــ رجـل الاستخبارات البريطانية ــ فترجمه ، وصاغه بأسلوبه ، دون تحقق من صحة الأحداث ، ومـن أسماء الأعلام والأماكن الشهيرة غير المجهولة .. وأكبر دليل غياب حرف «العين» وحرف « الظاء » في اللغات الأوربية ؟!؟

وفي ختام هذا التصدير أقول كلمات قلتها من قبل ، وأقولها اليوم :

« إنني أتّهم .. إنني أتّهم كـل دعوة تشكك ، أو تلمز ، أو تغمز بهـذا التراث . وإنني أضع على صاحبها إشارة استفهام ، وأوجه نحوه أصبع الاتهام ، لأنه يخدم أسياداً خططوا له دوراً ، أسياداً عجزوا عن مواجهة علنية ، فجعلوا من أبناء هذه الأمة من يحمل دعواتهم ، لتهديم الحصون من داخلها .

فكل أمة بخير ، مادامت تلتصق بذاتيتها ورجالاتها ومعين بطولاتها ، وكل أمة تبدأ بالانهيار عندما تبدأ التقليد ، وتستورد أمثلة لِيُقْتَدى بها .. وتتلاشى مقومات الأمة عندما ترى أن معين فخرها واعتزازها قد نضب » .

أقولها مخلصاً : « إن الأمة التي تريد البقاء ، تحمي تاريخها وتراثها وأعلامها وآدابها .. بسياج متين من الحراسة » ..

نقولها مخلصين ، علّ يداً مسؤولة تُطَهِّر هذا التاريخ من الدس والافتراء والتشويه ، تطهره من مسخه وتحقيره .. نقولها .. لعلّ قلباً غيوراً يدفعه نوره

إلى حماية الجيل من افتراءات المدلّسين ، فمن عرف الحقّ عَزّ عليــه أن يراه مهضوماً .

ونحن في هذا الكتاب .. مع قناعتنا أن روايات جرجي ـ موضوع دراستنا هذه ـ كلها إما موضوعة ، وإما مترجمة ، وإما خيالية .. فإننا سنعرض جوانب منها لايضاح خطورتها ، مع خبث طوية كاتبها .. انطلاقاً من المثل القائل :

« داوِ جرحك لا يتّسع » .

الشام : ١٨ المحرم ١٤٠١ هـ .

الموافق : ٢٥/١١/١٩٨٠ م .

شوقي أبو خليل

دمشق ـ سورية

ص.ب : ٦٢٢٢



جرجي زيدان، من هو؟

★ « لم يدخل جرجي إلى روح العرب لكي يستطيع ان ينشرها امام نظره ، ويفتش فيها ويعرف دقائقها »(١) •
ولا يعجز كاتب عن الدخول إلى روح امته ، إلا إذا عاش بروح امة اخرى !

جرجي لبناني من قرية « عين عنوب » ، هاجرت جدته لأبيه إلى بيروت مع بنتيها وابنيها ، وأكبرهم حبيب زيدان ، والد جرجي، الذي فتح مطعماً ترددت عليه طائفة من طلاب الكلية الأمريكية ، التي كانت في أول عهد انشائها سنة ١٨٦٦ م على يد جماعة من المبشرين الأمريكيين •

ولد جرجي في بيروت في ١٤ كانون الأول « ديسمبر » سنة ١٨٦١ ، وفي الخامسة من عمره أرسله أبوه إلى مدرسة يديرها القسيس الياس شفيق ، ثم مدرسة الشوام حيث تعلم اللغة الفرنسية ، ثم إلى مدرسة المعلم مسعود الطويل حيث تعلم اللغة الانكليزية •

ولما بلغ الثانية عشرة من عمره تعلم صناعة الأحذية ، فمارسها عامين ليعود إلى مطعم أبيه ، فتعرف إلى أكثر خريجي الكلية الأمريكية ، ورجال الصحافة ، مما سهل له الانتظام في سلك « جمعية شمس البر » ، التي أنشئت ببيروت ، وكانت فرعاً لجمعية الشبان المسيحيين في انكلترة ، ورأى نفسه في هذه الجماعة مع يعقوب صروف ، وفارس نمر ، وسليم البستاني ، وبطرس البستاني ••

---

(١) القول لمحمد حسين هيكل « في اوقات الفراغ » ص : ٢٣٢ •

وفي سنة ١٨٨١ م ، دخل مدرسة الطب وقضى فيها عاماً كاملاً فقط •

وفي سنة ١٨٨٢ م ، انصرف إلى علوم الصيدلة ، ليهاجر سنة ١٨٨٣ م إلى مصر بعد انتسابه إلى « الماسونية » ، ليتم دراسته في الطب ، فوصل الاسكندرية في تشرين الثاني « اكتوبر » •

وفي مصر عمل جرجي في صحيفة « الزمان » اليومية ، التي كان يملكها ويديرها الأرمني « ألكسان صرافيان » ، وكانت الجريدة اليومية الوحيدة في القاهرة بعد أن عطل الاحتلال الانكليزي صحافة مصر بعد الثورة العرابية •

وفي هـذه الفترة انتظم جرجي في سلك المخابرات البريطانية ، وفي عـام ١٨٨٤ م رافق الحملة الانكليزية النيليّة إلى السودان مترجماً في قلم الاستخبارات البريطانية •

وفي سنة ١٨٨٥ م سافر إلى بيروت ليتعلّم العبرية والسريانية •

وفي سنة ١٨٨٦ م سافر إلى لندن مكافأة له على خدماته في قلم الاستخبارات البريطانية ، فزار المتحف البريطاني وغيره من المكتبات •• ولما عاد إلى مصر في شتاء العام ذاته عمل في إدارة « المقتطف » ، واستقال من المقتطف سنة ١٨٨٩ م ليشتغل بالكتابة والتأليف ، وكلّفه روفائيل عبيد بتدريس العربية في المدرسة العبيدية ، فبقي فيها لمدة عامين •

وفي سنة ١٨٩١ م أنشأ جرجي ــ وهو الفقير الذي استدان ستة جنيهـات من جار له ليصل إلى مصر ــ أنشـأ مطبعة التأليف مشتركاً مـع نجيب متري المؤسِّس الأول لدار المعارف ، وكانت شراكة متري للتغطية ، فبعد عام واحـد فقط انفضت الشركة بينهما ، واحتفظ جرجي بالمطبعة لنفسه ، وأسماها مطبعـة الهلال ، على حين قام نجيب متري بانشاء مطبعة مستقلة أسماها مطبعة المعارف •

وفي سنة ١٨٩٢ م أصدر جرجي مجلة الهلال ، وقام بتحريرها بنفسه ، إلى

أن كبر ولده إميل ، فساعـده في تحريرها ، وأصـدر جرجي مؤلفاته ورواياته التاريخية وهو قائم بتحرير الهلال ، مع أن الوقت لا يكفي لتحرير الهلال وحده؟!؟

توفي جرجي في شهر تموز (يوليو) عام ١٩١٤ م •

★ ★ ★

وأبرز ما في حياة جرجي :

١ً ــ صنعت شخصيته المدارس التبشيرية في لبنان •

٢ً ــ رجل استخبارات بريطانية ، نال مكافأة على ذلك أوسمة ثلاثـة : المدالية الانكليزية ، والنجمة المصرية ، والعروة المختصة بواقعة أبي طليح •

٣ً ــ سافر جرجي عام ١٩١٢ م إلى أوربة في زيارة طويلة فزار فرنسـة وانكلترا وسويسرا •• وتنقّل بين مرسيليا ، وليـون ، وباريس ، ولنـدن ، وكمبريدج ، ومنشستر ، وأوكسفورد ، وجنيف ، ولوزان ، وأفيان •• وزار متاحفها ، وتفقّد مكتباتها •

٤ً ــ صلة جرجي الوثيقة بالمستشرقين منذ عام ١٨٨١ م ، لقـد كان على صلة وثيقة مع الأمريكي كريفلوس فانديك ، وكان جرجي عند ذكره يقول عنـه « أستاذنا » ، كمـا توثقت العـلاقات بين جـرجي ونولدكـه ، وفلهـاوزن ، ومارجَليوث ، وجولدتسيهر ، وأمدروز ، وسخاو ، ووليام رايت ، وماكدونالد ، واغناطيوس كراتشكوفسكي •• علاقات وثيقة إما مراسلة ، وإما لقاء شخصياً•• وكانت دار الهلال مقرّاً للمستشرقين الزائرين مصر ، وكان جرجي هدفاً مـن أهداف زياراتهم ، ومبرمجاً لرحلاتهم وزياراتهم ؟!؟

٥ً ــ أموال مطبعة الهلال ؟!؟ والأسعار الرمزية التي تباع بها كتب جرجي؟!؟

٦ً ــ التهليل لما كتب جرجي •• والتقاريظ التي كتبت في المجلات الأجنبية، يقول جرجي :

[ونغتنم هذه الفرصة للثنـاء على العلمـاء الأفاضل الذين تلقوا خدمتنا بالرضا ، وذكروها بما هم أهله ، ونخصُّ منهم كبار المستشرقين في أوربة ، ممن وصل إليهم كتابنا المذكور ، فقد جاءتنا كتبهم ورسائلهم بعبارات الاستحسان والتنشيط ، وكتب بعضهم التقاريظ في المجلات الافرنجية ، فاستحثنا ذلك إلى الاقتداء بهم في خدمة هذه اللغة التي سبقونا إلى إحياء علومها وآدابها ، ومهدوا لنا سبيل البحث فيها ، فنستأذن الذين تفضَّلوا منهم بالكتابة إلينـا أن ندوّن أسماءهم في صدر هذا الجزء ــ تاريخ التمدن الإسلامي ج : ٣ ــ اقراراً بفضلهم، وهذه أسماؤهم بالترتيب الهجائي :

ــ الأستاذ دي جويه M. I. De Goeje في ليدن .
ــ الاستاذ ديرنبرج H. Derenbourg في باريس .
ــ الأستاذ روزن V. Von Rosen في بطرسبورج .
ــ الأستاذ جولدتسيهر I. Goldziher في بودابست .
ــ الاستاذ جويدي M. Guidi في روسية .
ــ الأستاذ مرجُليوث D. S. Margolouth في اكسفورد] .

هـذا .. وسجل كراتشكوفسكي في ترجمته لجـرجي . اعتماده على المصنفات الأوربية ؟!؟

وقدّم جرجي الكتب التالية :

١ً ــ كتب التاريخ(١) :

١ ــ تاريخ التمدن الإسلامي ، ١٩٠٢ .

٢ ــ تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامي إلى الآن . مـع فذلكة في تاريخ مصر القديم ، ١٨٨٩ .

(١) التاريخ المقابل لاسم الكتاب . سنة صدوره أو طبعته . وهذه الكتب موجودة في دار الكتب الوطنية « الظاهرية » بغير هذه الطبعات .

٣ ــ العرب قبل الإسلام ، صدر جزء واحد منه عام ١٩٠٨ ، ولم تصدر بقية أجزائه •

٤ ــ التاريخ العام منذ الخليقة إلى الآن ، صدر جزؤه الأول عام ١٩٠٨ ببيروت[١] ، ولم يكمله بعد ذلك •

٥ ــ تاريخ انكلتره منذ نشأتها إلى هذه الأيام ، ١٨٩٩ •

٦ ــ تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها إلى هذه الأيام ، ١٨٨٩ •

٧ ــ تاريخ اليونان والرومان (وهو جزء من تاريخ أوربة) ، ١٨٩٧ •

٨ ــ طبقات الأمم أو السلائل البشرية ، « طبعة الظاهرية عام ١٩١٢ » •

٩ ــ أنساب العرب القدماء (وهو ردّ على القائلين بالأمومة والطوتمية عند العرب بالجاهلية) ، (في الظاهرية ط الهلال ١٩٠٦ ، وهو في ٤٢ صفحة) •

٢ً ــ كتب التراجم والسيَر :

١٠ ــ تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ، ١٩٠٢ •

١١ ــ بناة النهضة العربية ، كتاب الهلال ، العدد : ٧٢ •

١٢ ــ رحلة جرجي زيدان إلى أوربة عام ١٩١٢ ، « صدر في الهلال عام ١٩٢٣ » •

٣ً ــ كتب الجغرافية :

١٣ ــ عجائب الخلق ، الهلال : ١٩١٢ •

١٤ ــ مختصر جغرافية مصر ، مطبعة التأليف ، ١٨٩١ •

---

(١) لا مكان ولا تاريخ للطبع في الظاهرية . وهو فيها بالتصنيف التالي : ٣١٢/٧ ، وصفحاته : ٢١٦ صفحة •

٤ً ـ كتب اللغة العربية وتاريخ آدابها :

١٥ ــ الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية ، ١٨٨٦ •

١٦ ــ تاريخ اللغة العربية باعتبارها كائناً حياً نامياً خاضع لناموس الارتقاء ، الهلال : ١٩٠٤ •

١٧ ــ تاريخ آداب اللغة العربية ، ط : ١٩١١ •

١٨ ــ الألفاظ العربية والفلسفة اللغوية ، بيروت مطبعة القديس جاورجيوس •

١٩ ــ وذكر يوسف أسعد داغر كتاباً لجرجي بعنوان : « البلغة في أصول اللغة » ، ولكنه غير موجود •

٥ً ـ كتب في الاجتماع :

٢٠ ــ علم الفراسة الحديث وموضوع الاستدلال على أخلاق الناس وقواهم ومواهبهم من النظر إلى أشكال أعضائهم ، (وهو غير موجود في الظاهرية) •

٢١ ــ مختارات جرجي في فلسفة الاجتماع والعمران ، الهلال ١٩٢٠ •

ولجرجي مخطوط عنوانه « مصر العثمانية » ، ويشمل تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى الحملة الفرنسية ، أعدّه جرجي ليكون محاضرات تلقى في الجامعة المصرية القديمة ، لكن أصوات المخلصين الغيورين على تراث وتاريخ هذه الأمّة ، منعته من دخولها ، وفضح في حينه : بشعوبيته ، وبالخوض في أمور اسلامية لا يحسن الخوض فيها ، وبتحقير الأمة العربية وابداء مساويها ، وبالكذب في رواية الحوادث ، والخطأ المقصود في الاستنتاج •• فأُبعد عن الجامعة ، ومن هذا الكتاب نسخة بخط جرجي نفسه مودعة بجامعة فؤاد الأول تحت رقم / ــ ٧٥ م ، ف ٣٠٠٢ / •

٦ً ـ روايات تاريخ الإسلام :

« **وهي موضوع دراستنا في هذا الكتاب** » • وهي الروايات التالية :

١ ـ فتاة غسان[١] •

٢ ـ أرمانوسة المصرية •

٣ ـ عذراء قريش •

٤ ـ ١٧ رمضان •

٥ ـ غادة كربلاء •

٦ ـ الحجاج بن يوسف •

٧ ـ فتح الأندلس •

٨ ـ شارل وعبد الرحمن •

٩ ـ أبو مسلم الخراساني •

١٠ ـ العباسة أخت الرشيد •

١١ ـ الأمين والمأمون •

١٢ ـ عروس فرغانة •

١٣ ـ أحمد بن طولون •

١٤ ـ عبد الرحمن الناصر •

١٥ ـ فتاة القيروان •

١٦ ـ صلاح الدين الأيوبي •

(١) في جزءين ، وجرجي في رواياته اعتمد تقسيمها حسب العصور : فبدأ بالعصر الجاهلي ، فعصر الراشدين ، فالعصر الاموي ، فالعباسي ، فالمغولي ، فالعثماني ، فالعصر الحديث •

١٧ ــ شجرة الدر .

١٨ ــ الانقلاب العثماني .

١٩ ــ أسير المتمهدي .

٢٠ ــ المملوك الشارد .

٢١ ــ استبداد المماليك .

٢٢ ــ جهاد المحبّين .

ونحن في هذه الدراسة سنقدّم كل رواية على حده ، ماذا تتضمن ؟ ماهي نقاط الدس والتشويه والطعن فيها ؟ وما هي الملاحظات بشكل عام حولها ؟!

وفي خاتمة الدراسة نستخلص القاسم المشترك الأعظم بين هذه الروايات .

الرواية التاريخية

★ روايات جرجي « ما هي إلا تاريخ في قالب قصة لم تكتمل شروطها الفنية ، وتاريخ لم يحافظ فيه على الحقائق » .

« عمر الدسوقي »

الرواية ، أو القصة التاريخية .. هي تسجيل لحياة الانسان ، ولعواطفه ، ولانفعالاته في إطار تاريخي ، ومعنى ذلك أنها تقوم على عنصرين اثنين :

١ ــ الميل الى التاريخ ، وتفهّم روحه وحقائقه .

٢ ــ فهم الشخصية الانسانية ، وتقدير أهميتها في الحياة .

ويعتبر « ولتر سكوت » أبو القصة التاريخية في أوروبة ، وكانت محاولته الاولى ، قصة « ويفرلي » ، التي نشرها سنة ١٨١٤ م ، وكانت موضوعاته ، في الاكثر ، مستمدة من البيئة التاريخية الاسكتلندية ، وقد انتقد المؤرخون موقفه من الحقائق التاريخية ، وقالوا انه كان يعبث بالتاريخ ، ويحوّره في سبيل القصة .. والحقيقة ان « سكوت » لم يدّع ذلك ، بل انه كان من الناحية النظرية ينادي بعدم التقيّد بالتاريخ البتّة ، وبخاصة اذا وقف حجر عثرة في سبيل ظهور القصة في إطار فني حرٍّ طليق(١) .

---

(١) عدنا في هذه العجالة الى :

١ ــ « فن القصة » د. محمد يوسف نجم ، نشر دار الثقافة ، ببيروت .

٢ ــ « معرض الأدب والتاريخ الاسلامي » محمد عبد الغني حسن ، المطبعة النموذجية ، ط ٢، ١٩٥٨ .

٣ ــ « منهج البحث التاريخي » د. حسن عثمان ، دار المعارف بمصر ، ط : ٣ ، ١٩٧٠ .

٤ ــ « في الأدب الحديث » عمر الدسوقي ، ج : ١ ، ط : ٤ ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٩ .

ويقول د. محمد يوسف نجم في كتابه « فن القصة » ص ٤٢ : « وقد يلجأ الكاتب الى خديعة القارىء ، فيربط أجزاء قصته بسر يحتفظ به طوال القصة ، ولا يحاول أن يكشفه في نهايتها . وهذا ما فعله زيدان في « عذراء قريش » ، وهي لعمري طريقة رخيصة ، وخدعة غير مستحبه ، وأسلوب مهلهل مفضوح في التشويق والمماطلة ، ولكن زيدان كان يعدها براعة فنية ، وقد لجأ إليها في كثير من قصصه .

وقال الاستاذ عمر الدسوقي بعد ذكر حركة التعريب للرواية والقصة التي بدأت في الكلية الامريكية ببيروت : « وكان من الطبيعي بعد أن كثرت هذه الروايات في أيدي الشباب والرجال ، أن يبدأ الأدباء في محاكاتها ، وكان أول المقلدين وأنشطهم جرجي زيدان ، فنحا في تأليف الروايات منحى « ولترسكوت» الانجليزي،واستمد من التاريخ العربي قصصه وأبطاله ، وغيَّر في حقائق التاريخ وبدَّل ، حتى يدخل عامل التشويق والتتابع القصصي ، وأخرج عدداً كبيراً من هذه القصص التاريخية منها : فتاة غسَّان ، وأرمانوسة المصرية ، وعذراء قريش ، وغادة كربلاء ، والحجَّاج ، وفتح الاندلس ، وشارل وعبد الرحمن .. الخ هذه السلسلة الطويلة التي بلغت ثماني عشرة قصة مستمدة من التاريخ الاسلامي ، وأربع قصص أخرى مكتوبة كلها بأسلوب صحفي ، خالية من التحليل النفسي ، والنظريات الفلسفية ، وما هي إلا تاريخ في قالب قصة لم تكمل شروطها الفنية ، وتاريخ لم يحافظ فيه على الحقائق[1] .

لقد اعتمد جرجي أسلوب القصة التاريخية ليسرح في خياله ما شاء ، مع أن الخيال المسموح به في القصة التاريخية ، يجب أن لا يتصل بالشخصيات الرئيسة ، أو بالاحداث الكبرى .

وكل قول يجريه مؤلف القصة التاريخية على لسان أحد أبطال قصصه ،

(١) جاء « في الأدب الحديث » ج : ١ ، عمر الدسوقي عن جرجي ، ص : ٣٤٨ : « رافق الحملة النيلية الى السودان سنة ١٨٨٤ م مترجما بقلم المخابرات الانجليزية » .

وليس له سنده التاريخي ، ونصّه في المراجع والمصادر ، يُحْسَب على المؤلف قولاً واحداً بإجماع الآراء ... وعلى هذا فكل ما قدمه جرجي في كتبه محسوب عليه حصراً .

وجعل بعضهم جرجي « هو الذي نقل الى الادب العربي مذهباً من مذاهب الادب الاوربي هو القصص التاريخي » .

– « جرجي كان أول من كتب القصة التاريخية » .

– « إنه دون منازع خالق الرواية التاريخية عندنا »[1] .

مع أن سليم البستاني قدّم روايتين تاريخيتين ، سبقتا روايات جرجي زيدان بأكثر من عشرين عاما ، ففي سنة ١٨٧١ ظهر قصة « زينوبيا » ، وفي سنة ١٨٧٤ تلاها ظهور روايته الثانية : « الهيام ، في فتوح الشام » .

وحتى كتب جرجي الاخرى .. في تاريخ الآداب العربية ، وتاريخ التمدن الاسلامي كانت اقتباساً من الكتب الاوربية مثل كتاب سيديو المطبوع سنة ١٨٧٧ ، وكتاب هيوار المطبوع سنة ١٩٠٢ ، وكتاب غوستاف لوبون المنشور عام ١٨٨٤ ، وكتاب نيكلسون المنشور سنة ١٩٠٨ ، وكتاب هامر برجستال المنشور سنة ١٨٥٦ ، وكتاب وستنفيلد المنشور سنة ١٨٨٢ ، وكتاب بروكلمان الذي ظهر سنة ١٨٩٨ ... ويذكر « محمد عبد الغني حسن » أن جرجي كان يعترف بأسماء الكتب الفرنسية والانجليزية والالمانية التي كان يأخذ منها ..

والذي يهمنا فيما قلناه ، عن الرواية التاريخية :

« كل قول يجريه مؤلف القصة التاريخية على لسان أحد أبطال قصصه، وليس له سنده التاريخي ، ونصه في المراجع والمصادر ، يُحْسَب على المؤلف قولاً واحداً بإجماع الآراء ... وعلى هذا فكل ما قدّمه جرجي في رواياته وكتبه محسوب عليه حصراً » .

* * *

(١) الأقوال هذه ، أوردها « محمد عبد الغني حسن » ص : ٩٨ في كتابه « جرجي زيـدان » ، أعلام العرب ، ج : ٩٠ .

فتاة غسّان

«١»

★ « وسوف يلقى منـا ما لقيه عـرب الحجاز واليمن ممن أبوا الاسلام ٠٠ فإن أبوا قاتلناهم حتى نفنيهم عن آخرهم » ٠

« جـاؤوا ليقتصـوا مـن الغسّانيين ويبيدوهم عن آخرهم » ٠

جرجي

قال جرجي عن روايته الاولى هذه : « تشرح حال الاسلام في أول ظهوره الى فتوح العراق والشام » ، هكذا وصفها ، فإذا أبطالها ليس فيهم مسلم واحد، فهم كما ذكرهم في الصفحة ٢ :

جبلة بن الأيهم	: من ملوك غسّان ٠
الحارث بن أبي شمر	: من ملوك غسّان ٠
عبد الله	: ابنة جبلة ٠
هنـد	: من أمراء العراق ٠
ثعلبـة	: ابن الحارث ٠
حمـاد	: ابن الامير عبد الله ٠
سـعدي	: أمُّ هنـد ٠
سلمان	: خادم حماد ٠٠ هؤلاء هم أبطال الرواية ، أما المراجع ، فهكذا وردت :

صموئيل شارب ، دائرة المعارف البريطانية ، الاغاني للأصفهاني ٠ وعن

المؤرخين ــ هكذا ورد ــ : جون مري ، ملبطرن ، سيريل ، نوركهارت ، فوشيه، مريل ، وأدتتن ..

والملاحظات الهامة التي يمكن ايرادها عن هذه الرواية هي :

١ ــ قال جرجي زيدان حرفياً : « بنو غسّان عرب مسيحيون كانوا عمالاً لقياصرة الرومان » ، « والمناذرة عمال للفرس في العراق » ، « فالغسّانيون كانوا يقيمون بحوران والبلقاء وما جاورهما ، وأمراؤهم مستقلون بالحكم في كنف الامبراطورية الرومانية ، فيمتازون عن ولاة الروم باستقلالهم في حكومتهم الداخلية بشروط متّفق عليها ، ومنها امـداد الرومانيين بالجند عنـد الحاجة ولاسيما في حربهم مع الفرس[1] .

كما وصف الحارث بن أبي شمر وجبلة بن الأيهم أنهما « ملكان » في قومهمـا[2] .

وقال : « ولم يكن يستريح هرقل من هذه الحروب حتى جاء المسلمون في أوائل الهجرة فاتحين ، وكان لايزال في سورية وحصونه متهدّمة ، وجيوشه مبعثرة ، وسائر قواته مضعضعة » .

وهكذا ... المسلمون انتصروا على عدوهم بسبب ضعفه ، ولأن حصونه متهدمة ، وجيوشه مبعثرة ، وسائر قواته مضعضعة ، وفوق كل هذا قائده هرقل تعب ، « لم يكن يستريح » .

وقبل ذكر الحقيقة التاريخية ، نذكر أن جرجي عاد في الصفحة ٣٥ ، وحدد أسباب انتصارات المسلمين بما يلي:

١ ــ اختلال الاحوال « عند الروم والفرس » .

---

(١) صفحة : ٣ .

(٢) صفحة : ٣ .

٢ ــ القلاع والحصون المهدّمة •

٣ ــ الانقسامات الدينية •

٤ ــ الشعوب منقسمة •

٥ ــ اليهود ، وقال عنهم جرجي « وهم ألد أعداء الدولة »•

والحقيقة التاريخية تقول :

استعان الفرس والروم بالمناذرة والغساسنة على أغراضهم السياسية التي كانت ترمي الى الوقوف في وجه القبائل العربية الاخرى ، ولابعاد غزوهم عن القرى الزراعية ، والمراكز التجارية المجاورة لتلك القبائل كلما أصابهم الجدب• واستعاض الروم والفرس عن جنودهم بجنود هذه القبائل •

وكانت علاقة الحيرة ببلاد الفرس كعلاقة غسّان بدولة الروم ، وقد اتخذ الفرس أمارة الحيرة للاستعانة بها على حرب الروم ، ولتكون حائلاً بين العراق وغارات العرب على الدولة الفارسية ، كما اتخذ الروم أمراء غسان أعواناً لهم على الفرس ، وكان للفرس حق تغيير الامير ، فقد أقام كسرى إياس بن قبيصة خلفاً للنعمان على بلاد الحيرة •

ويذكر التاريخ : « وفي سنة ٦٢٨ م انتصر الروم على الفرس واستردوا بلاد الشام ، وليس لدينا ما يثبت أن هرقل أسند الحكم في سورية الى أحد أمراء بني جفنة[١] »•

وهكـــذا ••

لم يكن الغساسنة تحت كنف الامبراطورية الرومانية ملوكاً ، بل كانوا تحت سيطرتهم معترفين بسيادة الدولة الرومانية ، فالكنف يعني لغة : الحضن ،

(١) تاريخ الاسلام : ج : ١ ، ص : ٣٢ • د• حسن ابراهيم حسن •

وكنف الله : رحمته ، فالكنف : الرحمة والتلطّف والعناية والحفظ والاعانة ، واذا قيل كَنَفت الرجل كنفه ، أي حطْته وصُنته[1] .

ولم تكن الاحوال مختلّة عند الروم والفرس الذين استطاعوا حشد مئات الألوف من الجند،وهيّؤوا الخطط والامدادات في القادسية واليرموك ونهاوند.

والقلاع والحصون لم تكن كلها مهدّمة ، فأسوار دمشق المنيعة ، وأسوار حلب الامنع لم تستعص على فتوح المسلمين !!

أما اليهود الذين وصفهم جرجي بأنهم ألد أعداء الدولة الرومانية ، فهم أشد عداءً للمسلمين ، ومواقفهم في غزوة بدر والخندق مشهورة معروفة ، فلم يشكلوا رفداً للمسلمين ، وبالتالي لم يهبطوا بميزان القوى الرومانية .

أما كلمة ملك التي استخدمها جرجي بحق ملوك الغساسنة ، فهي لاتعني ملكاً بمعناها المعروف مطلقاً ، فهي تعني أمير قبيلة ، أو زعيم فئة ، كما ورد في غزوة حنين ، جاء ملك ثقيف ، وكلنا نعلم أنه لم يكن لثقيف ملك ، والمعنى هنا: أكبرهم سناً ، أميرهم ، وقائدهم .

٢ً ــ وقال جرجي : « وبجـوار بصرى هذه دير البحـيراء الذي نزل أبوطالب ومعه ابن أخيه صاحب الشريعة الاسلامية حينما قدما الشام للتجارة قبل ظهور الدعوة الاسلامية ببضع وعشرين سنة[2] » .

يفهم كثيرون هذا الكلام كما أراده جرجي تماماً ، أي أن النبي ﷺ اجتمع بالراهب بحيرا ، وأعطاه بحيرا القرآن الكريم .

وهذا الفهم ، أو هذا الاعتقاد سخف ومغالطة ، لأن محمـداً عندما كان مع عمه أبي طالب كان عمره تسع سنوات فقط ، فهل يُعْقَل أن يعي ويستوعب هذا الطفل الأمي ما يمليه عليه بحيرا ؟ ولأن النبي الكريم لم يبق عند بحيرا ــ

(١) لسان العرب ، ج : ١٤ ، ص : ٣٨٣ .
(٢) صفحة : ٥ .

وبوجود القافلة كلها ـ إلا زمناً قصيراً هو زمن تناول الطعام ، وأين بحيرا وغيره من الاحداث التي وقعت مع النبي وأصحابه بعد الجهر بالدعوة الاسلامية ونزل بها قرآن كريم يحل مشكلاتها ويوجّه بها[1] ؟!

بل أين التوحيد لله المطلق في العقيدة الاسلامية من التثليث في عقيدةبحيرا؟!

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية لايصح أن نقول عن النبي محمــد ﷺ بأنه صاحب الشريعة الاسلامية ، لأن الكلمة تعني بصراحة أنه هو الذي أتى بها، صانعها ، مؤلفها •• وقد استعمل جرجي هذا العبارة في الصفحات ٥ ، ١٧٦، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٦ ، ٢٣٤ •• وجعلها عنواناً لفصل كامل ص : ٦٧ ، وأخــذ يكررها عشرات المرات •

الاسلام شريعة الله لعباده أنزله على قلب نبيّه وحياً هذه عقيدة المسلم ، والإعجاز الرائع في القرآن الكريم ، والتحدي القائم «**فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صــادقين**[2] » ، « **فأتوا بســورة مـن مثله وادعوا شهداءكم مـن دون الله إن كنتـم صادقين**[3] » ، يقرب هذا التحدي الى أذهان غير المسلم فكرة الوحي وأن الله منزل الإسلام على نبيّه •

٣ ـ وقال جرجي : « الأوس والخزرج الذين قدموا يثرب بعد سيل العرم ، وفيهم بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع ، ولم يكن هؤلاء عرباً بل حلفاء للعــرب[4] » •

والحقيقة تقول : بنو قريظة والنضير وقينقاع لم يأتوا يثرب بعد سيل العرم من اليمن ، بل قدموا الى يثرب من الشمال قبيل وصول الأوس والخزرج القادمين من الجنوب •

(١) ناقشنا هذه الناحية في كتابنا « الاسلام في قفص الاتهام » الجلسة الثانيــة ، ص ٢٦ ، في الطبعة الرابعة •

(٢) سورة الطور ، الآية الكريمة : ٣٤ •

(٣) سورة البقرة ، الآية الكريمة : ٢٤ •

(٤) في الصفحة : ٢٣ •

والتاريخ يذكـر أن اليهود قدموا يثرب فراراً من قيصـر الروم أدريان ولكن الأوس والخزرج استطاعوا أن ينقلوا زمام الأمر الى أيديهما ٠

ولم يذكر ــ على ما أعتقد ــ إلا نولدكه أن هؤلاء اليهود كانوا في الاصل من أهالي الجزيرة العربية ثم اعتنقوا اليهودية ٠

٤ً ــ ويذكرجرجي:« **وقد انتشرت سطوته في كل جزيرة العرب ويسمي اتباعه المسلمين[1] »** ،

واذا عدنا الى معاجم اللغة نجد حقد وصليبية جرجي قد صُبَّت في كلمته « سطوته » ، فالسَّطوُ لغة : القهر بالبطش ، والسَّطوةُ : شدة البطش[2] ٠ فهل دانت الجزيرة لمحمد بن عبد الله ﷺ بالبطش ؟

أين عفوه ﷺ ؟ أين فاذهبوا فأنتم الطلقاء ؟ أين المحاصرة حول المدينة المنورة بحفر الخندق كي لايريق دماً ؟٠٠

أين هذه الكلمة « سطوته » من حقيقة فتـوح المسلمين ، الذين جعلوا للحرب آداباً لم يتعدّوها ؟

أبمثل هذا البعد عن الحقيقة تكتب روايات تاريخ الاسلام ؟!!

٥ً ــ وقبل ذكر النبي ﷺ وبعد ذكره ، نرى فقرات الحب والهيام ، وبطلة الرواية « هند » حيث وصفها بأنها « بارعة الجمال[3] » ، وقال عنها :

ــ « علم الناس خروجَها برائحة طيبها قبل أن يروها ٠٠ ممشوقة القوام،

(١) صفحة : ٣٥ ٠

(٢) لسان العرب ، ج : ١٤ ، ص : ٣٨٣ ، وفي مختار الصحاح : السطو : القهر والبطش ، ص : ٢٥٥ ٠

(٣) صفحة : ٦ ٠

ممتلئة الجسم، مستديرة الوجه ، قمحية اللون ، مشربة بالحمرة ، سوداء العينين مع كحل[١] ••• » •

ـ « شعرت حبه تمكن من قلبها في تلك الساعات القليلة بما لا يتأتّى في أعوام[٢] » •

ـ « فنزع عن رأسه الكوفية والعقال فبانت ملامح وجهه جيداً فازدادت هياماً به » •

ـ « فنظر إليها وتنهّد وقال : كيف لا أفهم مرادك ، وأنت اذا نطقت فإنما تنطقين بلساني ، أو فكرت فانما تفكرين بجناني ؟ فأطرقت حياء تبعثر الحلي الملقاة أمامها كأنها تريد التكلم ويمنعها الحياء • ولبث هو ينظر الى وجهها وقد هام بحسنها وأخذ بما يتجلى في محياها من نضارة الشباب وما ينبعث من عينيها من أشعة الذكاء ، وسكت ينتظر منها بدء الحديث[٣] » •

ـ « اذا سمحت مولاتي فإني أسيرها وعبدها ولا أحسب تنازلها إلاّ منّة وكرماً[٤] » •

ـ فتنهدت وقد اشتد بها الهيام ، وقالت : « ماذا أقول وكل جارحة من جوارحي تنطق بما في قلبي ، ولكن ما لي أرى حماداً يبخل علينا بكلمة ؟»•

قال : بماذا يبخل حماد ولم يبق له ما يجود به ولا يرى حاجة الى القول ، فكل جوارحه قد كتب عليها أنه أسير حبك وأن رضاك أكبر أمانيه »•

«فمد يده الى يدها فاذا هي باردة كالثلج ، وخيّل له أنها ذائبة بين أنامله وما لمسها حتى شعر بقشعريرة أشبه بمجرى كهربائي في سائر أعضائه ، ولاريب

(١) صفحة : ٧ •
(٢) صفحة : ١٤ •
(٣) صفحة : ٣٩ •
(٤) صفحة : ٣٩ أيضا •

أنها شعرت بمثل ذلك أيضا ، فجعل يدها بين يديه ، وقال : « أقول كلمة وأرجو ألا تكون ثقيلة عليك » •

فأطرقت ثم قالت : « قل لقد نفد صبري وأخشى أن يخوننا الوقت »•

فأطرق ثم قال : « اعلمي أني أسـير حبك ولا أبغي مـن هـذا العالم إلا رضاك ، فما تقولين ؟ »•

قالت : « إنك تعبّر عن عواطفي[1] »] •

ـ [فقال حمّاد : « طيبي نفساً فيّ ، فإن جنود غسان كلهـا ، بل جنود قيصر وكسرى لا تستطيع أن تمس شعرة منك ما دمت حياً مقيماً بجانبك • ولقد شهدت منك اليوم شجاعة حقرتني في عيني نفسي ، فسبحان من جمـع فيك شجاعة الرجال ورقة النساء » •

قالت : « تلك دوافع الحب قد تذهب برشد صاحبها فيقتحم الاهوال »•

فقال : « عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، فقد شعرت بعد هذه الوقعة ان روابط الحب بيننا قـد زادت متانـة ، ولا أرى في السماء أو في الارض ما يحول بيننا » •

فأوقفت هند فرسها كأنها تريد التصريح بأمر ذي بال ، فأوقف حماد فرسه، فمدت يدها اليه ، فمد يده وتصافحا • وقالت : « أعاهدك عهد الله لأبقين على حبك الى آخر نسمة من حياتي » •

فنسي حماد موقفه لعظم غرامه وفرحه بحبها إيّاه ، وقال : « إن هذا العهد ياهند لينسيني كل أسباب الشقاء ، ووالله لأقتحمن أعظم الاخطار ، وأجوب

(١) مقتطفات من صفحة : ٤٠ •

القيافي والقفار في سبيل حبك ، يشهد علينا سهيل والميزان وسائر نجوم السماء، والله أكبر الشاهدين » •

فأطرقت هند وقد غلب عليها الحياء ولسان حالها يقول : « وأنا أعاهدك بذلك أيضاً[1] »] •

ــ فنظرت إليه وفرسها يشاغلها بالإقدام والإحجام كأنه شعر بما يتّقد فوقه من لواعج الغرام ، وقالت : « إن حبنا مقدّر منذ الازل[2] » •

ويسير جرجي في روايته ليسرد قصة حب خيالية بين هند وحماد مستخدماً جُمَل الحب ولواعج الغرام •• تحت اسم « روايات تاريخ الاسلام » ، ولا حول ولا قوة إلا بالله !! •

٦ً ــ أورد جرجي في صفحة ٦٤ ، نص رسالة النبي ﷺ الى هرقل ، بهذا الشكل : « **بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، السلام على من اتبع الهدى ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن توليت فإن اثم الأكابر عليك •• محمد رسول الله** » •

وجرجي هنا لم يغيِّر إلا كلمة واحدة هي : فإن إثم « الاكابر » ، وهذا خطأ ، والنص الصحيح : فإن إثم « الأكـّارين » أي الاريسيين أتباع أريوس[3] •

٧ً ــ وقال عن الكعبة قبل البعثة : « وكان جدّنا اسماعيل قد بنى لنا بيتاً يحج إليه الناس من أقطار العالم اسمه الكعبة •••[4] » •

وهذا خطأ تاريخي ، لايحج الى مكة إلا عرب الجزيرة •• وما حجّ إليه غيرهم قبل الاسلام •

(١) صفحة : ٤٥ •
(٢) صفحة : ٤٦ •
(٣) صفحة : ٦٤ •
(٤) صفحة : ٦٧ •

٨ً ـ يقول جرجي زيدان على لسان أبي سفيان وهو يخاطب هرقلاً :
« وبقينا تتحدث بحسناته ونعجب بأخلاقه حتى بلغ الاربعين ، فسمعنا بانقطاعه عن الناس واعتزاله في شعب الجبال ، حتى صار يأوي الى الكهوف ، وذكر أن الملاك جبرائيل ظهر له وعلّمه الصلاة[1] .. »

ومع أن حديث أبي سفيان مع هرقل لم يكن بهذا النص ، فإننا نغض النظر الى ما هو أهم :

أ ـ النبي الكريم ﷺ لم يأوِ الى الكهوف ، بل كان يعتكف في غار حراء وحده ، يتأمل عجائب الكون ، ويفكر في النشور والحساب .. لقد كان في خلوة مع الله سبحانه وتعالى .

ب ـ جبريل في غار حراء لم يعلّم النبي ﷺ الصلاة، الصلاة فرضت بالمعراج.

٩ً ـ وفي صفحة ٧٥ يذكر جرجي حكاية الغرانيق على أنها حقيقة ، بينما هي كما يقول صاحب « الإبريز[2] » مرفوضة لضعف نقلتِها ، واضطراب روايتها ، وانقطاع اسنادها ، ويقول : لو أنها وقعت لارتدَّ كثير ممن أسلم وهذا ما لم يحدث .

وقريش هي التي اختلقت حكاية الغرانيق ليرجع المهاجرون من الحبشة ولكي يقعوا في قبضتها بعد أن فشلت في ارجاعهم .

١٠ً ـ ويقول مشوّهاً طاعناً : « فإنه ـ أي النبي ﷺ ـ لم يدع قافلة لنا تمرُّ بالمدينة إلا غزاها وفرّق أسلابها وأموالها بين رجاله[3] » .

هذا الوصف يجعل النبي ﷺ ورجاله ـ وصحابته ـ عصابة تقطع الطرق

---

(١) صفحة : ٧٣ .
(٢) تاليف احمد بن المبارك ، طبـع : مصطفى البابي الحلبي ١٩٦١ ، الصفحات من : ٢٤٠ الى : ٢٤٤ .
(٣) صفحة : ٧٨ .

لتسلب الاموال ، والحقيقة التاريخية تقول : هاجر النبي الكريم ﷺ وأصحابه فصودرت أموالهم وممتلكاتهم ، فأعلن على قريش مقابل ذلك حرباً اقتصادية يرغمها بها على الاعتراف بحقوق المسلمين في مكة المكرمة ، وبحقه في نشر الدعوة ، فخرج يريد قافلة أبي سفيان ولكنها تمكنت من الافلات ، وكان ذلك سبباً لغزوة بدر الكبرى .

١١/ — ذكر أن الامير عبد الله — من أمراء العراق كما يدعي جرجي — انه هو البريء فكظم غيظه الى أن يتسنَّى له كشف حاله[١] ..

وكلمة بريء تقال لمظلوم ، فمن الظالم ياترى ؟ انهم المسلمون في عرف جرجي !!.

١٢/ — ويقول : « **وسوف يلقى منا ما لقيه عرب الحجاز واليمن ممن أبوا الإسلام ... فإن أبو قاتلناهم حتى نفنيهم عن آخرهم[٢] ..** » ، « **.. جاؤوا ليقتصوا من الغسَّانيين ويبيدوهم عن آخرهم[٣]** » .

ونحن نسأل أي شعب أُفْنِيَ وأُبيد في فتوحات المسلمين ؟ من كان جرجي يعمل في استخباراتهم هم أصحاب الإبادة في أسترالية وأمريكا لا المسلمون !!

١٣/ — ذكر جرجي في صفحة « ٧٩ » فصلاً كاملاً يحمل اسم « غزوة مؤتة » ، فإذا به حديث عن مسبعة داهم فيها أسد حماداً وسليمان ، وأتبعها بحديث غرام فيه حِكَم وعبر نورد بعضه :

« وقد يعاشر الشاب فتاة أعواماً لا يهمه من أمرها شيء ، ولا يخطر له الاقتران بها ، وربما كان في نفسه ترفّع عنها وهو يزعم أنها لو عُرِضَت عليه لا يرضاها ، فإذا آنس منها ميلاً الى غيره ، أو رأى غيره ميالاً اليها ولا سيما

(١) صفحة : ٨٧ . وعبد الله هذا خيالي لا وجود له .
(٢) صفحة : ٨٨
(٣) صفحة : ١٣٢/١٣٣ .

اذا كان الحب متبادلاً بينهما فإن عوامل الغيرة تثور في قلبه ويتحوّل حبه الفاتر الى شغف شديد ولا يرتاح إلا بنيلها ، ولا يقتصر ذلك على هذا النوع من الحب ، ولكنه يتناول سائر أنواعه ، فقد ترى عقاراً أو متاعاً معروضاً للبيع ولا يهمك ابتياعه ، فإذا رأيت الناس يقبلون عليه آنست في نفسك ميلاً الى شرائه ٠٠ » ٠

هذا حديث جرجي وحكمته مع ذكر مؤتة وانتشار الاسلام[١] ؟!!

١٤ً ــ يكرر جرجي في هذه الرواية كلمة : « الحجازيون » ، وكلمة : « العدنانيون » للدلالة على المسلمين ، كما في الصفحات : ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥٩ ، ١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٢٥١ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٣٤١ ٠٠ وهو يستعمل « حجازيون ــ عدنانيون » في المواقف الانسانية النبيلة ، وفي الاحداث المشرّفة ٠٠٠ أما إن كان الموقف يحتمل دساً وتشويهاً وتحقيراً فيستعمل كلمة « مسلمون » مثل قوله في وصف بدر الكبرى : «رأيت أشد المسلمين فتكاً ــ والفتك القتل على غرّة ــ في ذلك اليوم حمزة بن عبد المطلب عم الرسول » !!

١٥ً ــ في صفحة ١٧٥ ، وصفحة ١٧٧ ذكر « عمر بن سالم » والصحيح « عمرو بن سالم الخزاعي »، ومثل هذه الاخطاء تحدث عند الترجمة من مصادر أجنبية !!

١٦ً ــ عند فتح مكة ، ذكر جرجي القول التالي : « من يدخل منزل أبي سفيان أو منزل العباس بن عبد المطلب فهو آمن من سيوف المسلمين ، ومن يدخل المسجد أو يدخل منزله ويغلق بابه فهو آمن[٢] » ٠

والنص الصحيح هو : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ــ من غير

(١) صفحة : ٩١ ٠
(٢) صفحة : ١٨٠ ٠

عبارة من سيوف المسلمين ــ ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق عليه فهو آمن » • وعهد النبي ﷺ الى أمرائه عند دخول مكة : « أن لا يقتلوا أحداً إلا من قاتلهم[1] » • فمن أين جاءت عبارة « من سيوف المسلمين » ؟! انها من سوء طوية جرجي حتماً !!

ويدل على سوء الطوية قوله عند فتح مكة أيضاً : « الناس يهـرعون ، والنساء يولولن ، وينادين بالويل والثبور » ، وأتبع هذه الصورة المشوهة « بسيوف المسلمين ــ بسهام المسلمين » وكررها كثيرا كما في الصـفحات : ١٧٩ ، ١٨٠ ، ٢٠٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٣٤٣ ••

وفي ختام رواية فتاة غسان « الجزء الاول » نقلات عجيبة بين سيرة النبي العظيم ﷺ كقول جرجي على لسان سلمان : « والله إني لأعجب لأناس قاوموا هذا النبي وهذه تعاليمه وأقواله ، ولاريب عندي أن سلطانه سيتسع حتى يغطي الارض ويمحو دولتي الروم والفرس •• »•

ثم ينتقل الى غرام كاسح في الصفحة ذاتها ــ ص : ١٨٣ ــ فيقول جرجي: تذكر ــ سلمان ــ هنداً وحبها وما آنسه من ضعف الامل في الحصول عليها فلم يتمالك عن البكاء •• أنا أعلم ياسلمان أن البكاء عار على الرجال ولكن الحب •• آه من الحب •• وسكت » •

(١) الكامل : ج : ٢ ، ص : ١٦٥ ، والطبري : ج : ٣ ، ص : ٥٤ .

فتاة غسان

«٢»

✶ سبب فتح دمشق اشتغال توما بولادة اخته ، ولولا هذه الولادة لما استطاع خالد بن الوليد فتح دمشق ؟!

جرجي

في القسم الثاني من رواية « فتاة غسّان » الخيالية ، جعل جرجي أبطاله هم أبطال القسم الاول مضيفاً إليهم خالد بن الوليد وأبا عبيدة بن الجرّاح .

أما المراجع فهي خليط بين الطبري وصموئيل شارب ، واسحاق الكندي ودائرة المعارف البريطانية ، وصناجة الطرب وجون مري ، وملبطرن وسيريل، ونوركهارت ، وفوشيه ، وادتتن والاغاني للاصفهاني ... أما ما الذي أخذه من هذا المرجع أو ذاك ، فهذا ما لم يُشر جرجي اليه مطلقاً .

وعندما لخّص جرجي القسم الاول من « فتاة غسّان » قال حرفيّاً : « في نحو السنة السابعة للهجرة (٦٢٩ م) كان على الشام ملكان من آل غسان وهما الحارث بن أبي شمر في (بصـرى) . وجبلة بن الأيهم — ابن عمه — في (البلقاء) .

وكان المتوقع أن يتزوج ثعلبة بن الحارث بهند ابنة جبلة ، ولكنها كانت تبغضه وتنفر منه لسوء خلقـه وسيرته ، كما أنـه لغروره وكبريائه لم يقـدم على خطبتها رغم حُسنها الباهر واشتهارها بالفروسية وحُسْن الرأي ، ثم أدرك أنها عالقة بحب فارس اسمه (حماد) ، وَفَد من العراق مع أبيه الامير عبد الله للوفاء بنذر قديم في دير بحيراء ، فأكلت الغيرة قلب ثعلبة ، وطلب الى

أبيه أن يخطب له هنداً من أبيها ، ثم حاول الفتك بمنافسه غدراً ، فلما فشل راح يدبر المكايد والدسائس للانتقام منه ، ونجح في اعتقال أبيه وأرسله الى قائد جند الروم في بصرى لمحاكمته متّهماً بالتجسس ، وهناك وجدوا معه خاتماً باسم (النعمان بن المنذر) ملك العراق السابق ، فكاد هذا يثبت صحة اتهامه ، لولا أن اعترف بسرّ وجود الخاتم للبطريرك الأورشليمي ، فأكّد هذا براءته لهرقل قيصر الروم •

وفي أثناء ذلك جاء الى هرقل كتاب من صاحب الشريعة الاسلامية يدعوه فيه الى الاسلام ، وكان أبو سفيان بن حرب قد جاء من مكة الى غزّة للتجارة كعادته ، فاستقدمه هرقل واستمع منه لسيرة النبي العربي الجديد منذ نشأته الى أن انتشرت دعوته ، وكان أبو عبد الله أبو حماد قد كلف خادمه (سلمان) عنـد اعتقاله في البلقاء أن يفـرّ بحماد الى عمان حيث يلقاهما بعـد انتهاء محاكمته ، فقصد إليها مع قافلة أبي سفيان في عودتهما الى الحجاز ، ولكنه وجد مع القافلة جواد ابنه وعلم أنهم عثروا به عند قدومهم تائهاً في الصحراء بالقرب من الزرقاء المشهورة بسباعها الضارية ، ثم وجد في تلك المنطقة بقايا عباءة ابنه، وسرج جواد خادمه ، فتحقق أنهما ذهبا فريسة السّباع • وقبل أن يدخل عمّان بعد تخلفه عن القافلة ، وقع في أسر الجيش الذي بعث به نبي الاسلام (ﷺ) لقتال الروم •

وكان حماد وخادمه سلمان قد نجوا بأعجوبة من أسد لقيهما في طريقهما الى عمان ، فلما بلغاها ولم يجدا فيها عبد الله ، عادا الى البلقاء ، ثم اجتمعا بهند وأمها في قصر جبلة • وعلم حماد أن هـذا قبل تزويجه بابنته هند ، مؤثراً إياه على ثعلبة بن الحارث ،غير أنه اشترط أن يقدم لها مهراً قرطين لمارية بن ظالم أخت هند الهنود ، فسافر حماد وسليمان خادمه الى مكة للبحث عن القرطين المطلوبين

وعن عبد الله أبي حماد • وهناك شهدا فتح مكة ، وتحطيم الاصنام التي كانت في الكعبة بيد النبي ﷺ ويئسا من الحصول على القرطين » •

هذا ملخص الجزء الاول من روايات تاريخ الاسلام ، فما علاقة أحداثها بتاريخ الاسلام ؟ انها قصة حب خيالية ركّز فيها جرجي على الاديرة والنسّاك والانتقام •• وما شابه ذلك ، مع دس وتجريح في أمور اسلامية أقحمها إقحاماً في روايتـــه •

* * *

١ً ــ عند ذكر فتح مكة صفحة ١٨٨ : حيث الصورة الرائعــة لدخول الكعبة ، والموقف الانساني الرائع « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ، ذكر جرجي أشجان حماد وحنينه لهند قبالة الكعبة ، وبدل البكاء من خشية الله عز وجل ، ذكــر البكاء لذكرى هند !!

وعند الكعبة المشرفة ، حيث الصلة بالله ، وخشوع القلب والروح ، وتنزّل الانوار الإلهية على النفوس •• ذكر جرجي أن حماداً فكّر بالانتحار ولكنه تراجع قائلا : « لا لا ، إن قتل النفس ضعف وذلّة ، وكيف أفعل ذلك ونفسي رهينة أمر هند ، وهند لا تريد قتلها » ؟!!

٢ً ــ في صفحات كثيرة يذكر جرجي « الحجازيين » كعادته في المواقف الانسانية الرائعة ويعني بهم المسلمين(١) ، ولكنه يختلق صورة بشعة فيها القتل والفتك والسيوف فيذكر هنا المسلمين ، كما في صفحة ٢٠٠ :

« حتى التقت يوماً بقافلة قادمة مـــن مكة فسمعت الناس يتحدثون عن فتحها ، وما كان من دخول المسلمين اليها عنوة وقتل بعض أهلها ، فارتعدت

(١) كما في الصفحات : ١٩٥/٢٠٠/٢٦٦/٢٧١ ••

فرائصها وتصورت حماداً في تلك المدينة عرضة لسيوف المسلمين ، فازداد بلبالها وودّت لو أنها تطير الى الحجاز فترى ما تم لحبيبها »•

ويتبع ذلك في صفحة ٢٠٥ بغرام دافق على لسان هند : « ثم قالت وقد غلب عليها الشهيق وعلا صوتها : آه ياحماد !•• حبيبي أين أنت الآن ؟ وعلى الارض أنت أم في السماء ؟ من لي بمن يخبرني بمكانك لكي أطير إليك ، فإما أن أعيش بقربك أو أُدفن تحت قدميك •• » •

وكل هذا •• وغيره كثير •• في روايات تاريخ الاسلام عند ذكر فتح مكة وغزوة مؤتة !!!

٣ً ــ وفي صفحة ٢٢٣ يقول جرجي « وكان من تلك السّدود في اليمن سد كبير يقال له العرم » • وهذا خطأ صوابه : العَرِم سيل ذكر في قوله تعالى : « فأرسلنا عليهم سيل العَرِم[1] » ، أما السد الكبير فاسمه «مأرب» ، وهو من بناء سبأ بن يَشْجُب بن يعرب ــ في قول ــ ومات قبل أن يستتمّه فآتمته ملوك حميَر بعده ، أو من بناء لقمان بن عاد كما قال المسعودي، وهذا السد بين صنعاء وحضرموت[2] •

٤ً ــ يكرر جرجي في الصفحة ٢٢٤ بلطف ولباقة أن المناذرة « تحت رعاية ملوك الفرس » • لا تحت سيطرتهم واستعمارهم • وفي صفحة ٢٢٦ : « إن انتصار المسلسين كان على أمة منقسمة ضعيفة منهكة » • وكرر ذلك في صفحة ٢٧٤/٢٧٥/٢٨٠ : « ان سبب انتصار المسلمين اختلال أمور الفرس » ، وركّز على أن روعة الفتح الاسلامي سببه الوضع الداخلي عند الروم•

وسبب النصر في جبهة العراق ليس سعداً ولا القعقاع •• بل توجيهات

(١) سورة سبأ ، الآية الكريمة : ١٦ •

(٢) راجع معجم البلدان جـ : ٤ ، ص : ١١٠ لكلمة « عَرِم » ، والجزء الخامس ، ص : ٣٤ وما بعدها لكلمة « مأرب » •

سلمان خادم حماد ، كيف ؟ أين السند التاريخي ؟ لا يعرفه جرجي ولا نحن نعـرفه !!

٥ً ــ وصف جرجي في الصفحة ٢٣٧/٢٦٨/٢٩٩ ٠٠٠ أموراً هامة جداً في رأيه : كوصف حدائق دير ، أو وصفه لمعبد وثني ، أو وصف إيوان بدقة، أو دخول حماد الى دير دمشق ٠٠ أما الامور الاسلامية الاهم في أحداث فتح بلاد الشام والعراق فلا قيمة لها في روايات تاريخ الاسلام الزيدانية[١]٠

٦ً ــ استعمل جرجي كلمات تدل على خبث طويته ، وسوء نيته ، وعمق صليبيته ، بحق المسلمين الفاتحين منها : (البطش)[٢] بحق النبي ﷺ وجيشه المسلم عند فتح مكة المكرمة ، وقال بحق عمر « شدة البطش »[٣] ، فتمكَّن بذلك من «إذلال» قبائل العرب حتى أنه لم يعد يحتاج في إذلالهم ٠٠ « خاف أن يستغشـه المسلمون[٤] » ، « بطش العـرب[٥] » ، وبحق ضـرار بن الأزور « جبار عنيد[٦] » ٠ و « بغتة ، معمعة[٧] » ، « سـكتوا عن النهب ،٠٠ يخاف الفتك[٨] » ، « نهب ٠٠ مهافين[٨] » ٠٠ ومن هذه الكلمات كثير كثير٠٠

مع أن المسلمين ما عُرفوا مطلقاً بالبطش الذي هو السطوة والاخذ بالعنف، وما أذل الاسلام القبائل ، بل أعزَّهم ٠٠ فمن خالد لولا الاسلام ، ومن المثنى لولا الاسلام ، ومن عكرمة لولا الاسلام ، ومن عمر وعمرو ، وسعد والنعمان لولا الاسلام ٠٠ فكم أمثالهم من حيث القوة والعقل عاشوا وما علم بهم انسان،

(١) كما في صفحة ٢٦٨ عندما وصف لصّين ، وكهنة ، ومياه المعمودية ، والاناشيد المسيحية ٠٠
(٢) صفحة : ٢٥١ ٠
(٣) صفحة : ٢٨١ ٠
(٤) صفحة : ٢٧٩ ٠
(٥) صفحة : ٢٦٧ ٠
(٦) صفحة : ٢٩٢ ٠
(٧) صفحة : ٢٨١ ٠
(٨) صفحة : ٣٠٧/٣٠٩/٣٢٥ ٠

وماتوا ولم يدر بهم انسان ، لكنه الاسلام به فقهوا ، وبه توحّدوا ، وبه فتحوا قلوب العبـاد •

كما أن المسلمين ماعرفوا الغش في معاملتهم للشعوب ، ولا نهبوا خيراتهم كما يدّعي جرجي،وما عرفوا الفتك بحقهم ، الذي هو القتل على غرّة،والحديث الشريف يقول : « قَيَّدَ الإيمانُ الفتكَ ، لا يفتكُ مؤمن » ، [رواه أبو داود] •

وما أهان المسلمون الشعوب ، هل أهانوا شمال أفريقية واسبانية ؟ هل أهانوا شعوب ماوراء النهر وجنوب شرق آسية ؟ اذن •• فلماذا هم الى يومنا هذا يعشقون نبي الاسلام ؟ وتهفو قلوبهم الى مكة والمدينة المنورة ؟!!

٧ ــ وفي صفحة ٢٦٨ قال جرجي : « فوقعت بين الجيشين وقائع عدة ظهر فيها الرومانيون واختل أمر المسلمين حتى كادوا يعمدون الى الفرار » •

ما اسم هذه الوقائع التي خاضها المسلمون في بلاد الشام وهزموا فيها ؟ وهل من عادة المسلمين الاوائل عند فتح بلاد الشام والعراق وفارس وما وراء النهر وخراسان والسند أن يعمدوا الى الفرار ؟ ما عرفوا إلا النصر أولاً ، وما عُرِف عنهم هزيمة أو فرار ، إلا في ذهن جرجي ورواياته الزيدانية !!

٨ ــ وذكر جرجي في صفحة ٢٧٨ أن من بين القادة الاربعة الذين سيَّرهم الصّديق رضي الله عنه لفتح الشام « أبا سفيان بن حرب » وهذا خطأ تاريخي، والصحيح هو : يزيد بن أبي سفيان ، ووجهته دمشق ، والثلاثة الآخرون هم: أبو عبيدة بن الجراح ووجهته حمص ومركز القيادة الجابية ، وعمرو بن العاص ووجهته فلسطين ، وشرحبيل بن حسنة ووجهته وادي الاردن •

ويظهر الدجل والزيف والحقد جليا في صفحة ٢٨٠ ، عندما قال عن أبي سفيان أنه قال قبيل اليرموك : « يا مشيخة قريش ومهاجري الفتح » ــ وشرحها جرجي بقوله : « الذين هاجروا يوم فتح مكة فأسلموا » ، مع أنه بعد الفتـح

لا هجرة ــ لا يهمنا من هذه الحرب إلا الانحياز الى الغالب ، فإذا غلبت الروم كنا معهم واذا انتصر المسلمون فاننا معهم » ، أي أن قريشاً وأبا سفيان ليسوا من المسلمين !!!

٩ً ــ ويورد جرجي في صفحة ٢٨٢ ، قصة خيالية خلاصتها : أن خالداً تزوج بزوجة مالك بن نويرة قبل أن يجف دم زوجها • وهذه رواية من خيال بعض المؤرخين أمثال جرجي ، فخالد لايمكن أن يتزوج امرأة لم تنقضِ عدتها، لانه ومن حولهمن الصحابة من أعلم الناس بشرع الله فلا يتعدّاه •

١٠ً ــ وفي صفحة ٢٨٣ جعل جرجي قادة اليرموك كموقعة قررت مصير بلاد الشام الى الابد ، وهنداً عشيقة حماد على قدم المساواة ، فأعجب لروايات تحمل تاريخ الاسلام !!

١١ً ــ وجعل جرجي في صفحة ٢٩٣ : أن المفاوضـات والصلح والسلم والامان يكون برأي حمـاد المسيحي ، وهذا عمله في العراق والشام • مع أن صفات السلم والامان والمفاوضات شعار الاسلام قبل حروبه ، يعرفها القريب والبعيد ، ولكنه لايعرفها حاقد صليبي ، أما كانت الكلمات الثلاث شعار المسلمين في كل حرب : إسلام ، أو جزية ، أو حرب • والاسلام يعني معاني الإخاء والمحبة والسلام ، والعبودية الخالصة لله وحده !!

١٢ً ــ وفي صفحة ٢٩٧ يذكر جرجي هيبة حماد من توما والقـسُـس ، ولم يذكر مرة واحدة أنه هاب المسلمين ، لا هيبة في نفسه لواحد منهم حتى خالد وعمر وأبي عبيدة وسعد •• الهيبة لتوما والقـسُـس •

وفي صفحة ٣٠٠ « الانجيل الشريف » ، ولم يذكر جرجي مرة واحـدة « القرآن الشريف » !!

١٣ً ــ وقال عن أبي عبيدة انه يؤثر السلم ، وعن خالد : « يطرب لمقارعة

السيوف ومصادمة النبال[١] »، والحقيقة كل مسلم يؤثر السلم ، وما دخول أبي عبيدة الى دمشق سلما ، ودخولها من قبل خالد حرباً إلا من قبيل الحيلة لجأ اليها الرومان •

لقد دام حصار دمشق سبعين يوماً ، فشدد المسلمون الحصار ، ومنعوا المدد أن يصل الى الرومان الذين بداخلها ، فعيل صبرهم وانكسرت حميتهم ، وتم للمسلمين فتح المدينة عنوة في أواخر سنة ١٣ هـ ، عندما استطاع خالد أن يعلو أسوارها الشرقية ، فسارع الرومان الى عقد الصلح مع أبي عبيدة ، ولو علم أبو عبيدة أن خالداً فتح المدينة من جهة الشرق لما صالحهم ، فصلحهم جاء متأخراً بعد فتح المدينة •

وجعل جرجي سبب فتح خالد للمدينة مايلي : « اشتغال توما بولادة أخته[٢] » ، ولولا هذه الولادة لما استطاع خالد فتح دمشق • فسحقاً لتوما إن كانت ولادة أخته ــ وكأنه قابلة قانونية ــ تشغله عن وطنه ومدينته وجنده !!

ولادة أخته ما علاقتها في دفاعه عن أسوار دمشق الشرقية ؟

انها الهزيمة ، وانه التبرير الذي لا يقبله منطق أو تاريخ !!

وانها بطولة خالد ولو أرادها جرجي مشوّهة !!

١٤ً ــ لقد رتّب جرجي روايته بشكل جعل أبطاله الوهميين أينما وجد الفتح كانوا هناك ، في مؤتة ، في الحجاز ، في العراق ، في الشام••

والقارىء للروايــة يكره الفتح الاســلامي وأحداث تاريخ الاســلام ، لأن الفتح أخّر عناق الحبيبين [هند وحماد] ، فلولا الفتح لتم الزواج مــن زمن بعيــد •

(١) صفحة : ٢٩٤ •
(٢) صفحة : ٣٠٧ •

وجعل جرجي فتح بيت المقدس بخدمات حماد ، لا بجهود عمرو بن العاص ومن معه من جند المسلمين ، وجعل حماداً عنصر استطلاع كبير ، عالماً بما يجري في كلا الجانبين ، بينما غفل خالد وأبو عبيدة •• عن استطلاع العـدو كما أراد جرجي ! مما جعل حماد يشغل الناس حتى عمرو أبا عبيدة،شغلهم بهند وغرامها؟!

ويستخلص القارىء سبب الفتح ونجاحه بوضوح في الصفحتين ٣٣٤و٣٣٥ حيث يقول جرجي : « وإني لواثق بقرب سقوطها لما نعلمه من :

١ ــ بطش العرب •

٢ ــ وفساد نيات الفرس •

٣ ــ وانقسام حكامهم بعضهم على بعض » •

١٥ً ــ ووصف جرجي دخول المسلمين الى المدائن بعد القادسية بقوله في صفحة ٣٥٣ : « أتوا إيوان كسرى فدخلوا حديقته وخيولهم تدوس الازهار والرياحين ، ورماحهم تخترق أغصان الليمون والازدرخت ، فلمـا وصلوا الى باب الايوان كان حماد أول داخل •• » ، فحماد حيث مسرح الاحداث حتى أنه في صفحة ٣٣٦ يطلع على البريد الرسمي قبل عمرو وأبي عبيدة ؟

فالمسلمون لم يدوسوا الزهور والرياحين ولم تخترق رماحهم أغصـان الليمون •• بل داست خيولهم الاكاسرة أصحاب الدم الازرق كما يدّعون، « الدم الإلهي » ، داسوا أنصاف الآلهة وحرروا الشعوب فنبتت عند سنابك خيلهم الرياحين والازهار حتى يومنا هذا••

وحماد هذا •• هذه الشخصية المسيحية الخيالية •• موجود في فتـح دمشق وقبلها في فتح مكة ، وفي فتح القدس ، وفي فتح المدائن •• يا سبحان الله ، انه في كل مكان يتدخل في سير الاحداث وقلبه مع هند •• وكأن الجنـد لا ديوان لهم يدخل بينهم من شاء يتجسس ويوجّه ويسيّر الاحداث••

وخاتمة رواية فتاة غسان ، وهي رواية من روايات تاريخ الاسلام ، ماهي؟! انها حرفياً « لقاء الحبيبين » في صفحة ٣٦١ •

فصل كامل يحمل عنوان « لقاء الحبيبين » : « آه يا حماد ، اني لسعيدة بلقياك ولكن حظي غير تام لما قاسيته من فقد أبي وأمي » •

« ان هذه الفتاة خطيبتي منذ أعوام ، وقضت حروب الشام بافتراقنا فلم يعلم أحدنا بمكان الآخر حتى أذن الله باجتماعنا على يدك » •

« فهمّ حماد فقبّل يد الرئيسة ــ رئيسة الدير حيث أحداث كثيرة جرت ضمن الرواية في الاديره ــ فعرفت أنه مسيحي » •

« ونهضوا الى كنيسة بقرب الدير عقدوا قران حماد وهند • ولا يحتاج القارىء الى وصف قيمة تلك الساعة السعيدة ، فإنها أسعد ساعات العمر ، وبعد الاكليل ركب الجميع وساروا متنكرين نحو القسطنطينية فوصلوا إليها بعد بضعة عشر يوماً وأقاموا بها حتى قضى الله بما شاء » •

بهذه الفقرات اختتم جرجي روايته :

أ ــ نلاحظ تقبيل يد رئيسة الديرَ !!

ب ــ حماد وهند محورا أو بطلا أحداث الرواية مسيحيان !!

جـ ــ أسعد ساعات العمر آنذاك لا انتصار اليرموك أو القادسية أو فتح القدس •• بل انها زواج هاتين الشخصيتين !!

د ــ ساروا نحو القسطنطينية « متنكرين » ، وبهـذه الكلمة استطاع جرجي أن ينهي مصير هاتين الشخصيتين كي لانطالب بمصيرهما وسلوكهما في الاحداث التي تلت •

* * *

ما سبق جزء [والله] يسير مما يؤخذ على رواية فتاة غسّان •• وأنا أؤكد جازماً أن أي مطّلع يقرأ الرواية يستخرج المزيد المزيد من التجريح والطعن والدس والتشويه •• وأنا كتبت ما سبق على سبيل اظهار بعض ما كتب جرجي •• فكل صفحة لاتخلو من دسيسة وصليبية ظاهرة ••

ألا فلنحمِ هذا التاريخ من التشويه والطعن فهو من أسس ذاتيتنا وبقائنا!!

أرمانوسة المصرية

✶ محمد ﷺ : « رجل عظيم ، سَنَّ ديناً جديداً ، وتبعه جمع غفير » .

جرجي

هذه الرواية أبطالها كما سجلهم جرجي في الصفحة الثانية ، اثنا عشر بطلاً، نذكرهم كما سلسلهم :

١ ـ هرقل	: امبراطور الرومانيين .
٢ ـ عمرو بن العاص	: فاتح مصر .
٣ ـ المقوقس	: والي مصر عندما فتحها العرب .
٤ ـ أرمانوسة	: ابنة المقوقس .
٥ ـ قسطنطين	: ابن هرقل وخاطب أرمانوسة .
٦ ـ بربارة المصرية	: مربِّية أرمانوسة .
٧ ـ أركاديوس	: ابن الأعيرج القائد الروماني .
٨ ـ أرسطوليس	: ابن المقوقس .
٩ ـ زياد العربي	: صاحب يحيى النحوي .
١٠ ـ مروان	: مولى عمرو بن العاص .
١١ ـ عبادة بن الصامت	: أحد قواد العرب .

١٢ ـ المندقور الأعيرج : قائد جند الروم بمصر •

وبعد اتمام قراءة الرواية يجد القارىء أن هؤلاء عشرة منهم مسيحيون ، واثنان فقط مسلمان • فلماذا تحمل الرواية اذن شعار «روايات تاريخ الاسلام»؟ فالاصح انها : « روايات تاريخ النصرانية » ولكن بأسلوب وطريقة جرجي زيدان•

كما جعل جرجي من مراجعه المعتمدة مؤلفات : [شامبليون ، مارسيل ، ماريت ، ولكنسن ، شارب] • هكذا أورد أسماء المؤلفين•

الرواية وخلاصتها :

قصة غرام عنيف بين أرمانوسة بنت المقوقس « وقـد خصَّها الله بلين الجانب وحسن الخلق حتى ضُرِب المثل بجمالها وذكائها •• »،وبين أركاديوس ابن الأعيرج القائد الروماني ، ومنافسهما قسطنطين بن هرقل ، ويحول الفتح العربي الاسلامي بين لقاء المحبَّين ، وينجلي الفتح عن اندحار قسطنطين المنافس مهزوماً الى القسطنطينية ، وزواج المُحبَّين « ملكة الجمال أرمانوسة والفارس المغوار أركاديوس » ••

هذه هي الرواية التي مزجت عن قصد بتاريخ الفتح الاسلامي لمصر ، ليفعل خيال جرجي فعلته في تاريخنا ، ويقدم ألواناً جديدة من الدس والتجريح نلخِّص أهمها في النقاط التالية :

١ ـ ذكر في الصفحة الثالثة « نفورَ الاقباط من الرومانيين واستبدادهم ورغبتهم في التخلّص من نيرهم بأية وسيلة»،وهذا سهل الفتح الاسلامي لمصر•

هذه الفقرة من يقرؤها يفهم أن الاقباط كانوا عوناً للمسلمين في فتوحهم، والحقيقة تقول ان فتح مصر خطة مدروسة وجد فيها المسلمون عناءً وصعوبة ومقاومة دامت أشهراً ، مع أننا لا ننكر أن سوء معاملة الرومان للاقباط وإرهاقهم

في الضرائب جعلهم يفرحون بهزائم الرومان في بلاد الشام ، ويتمنون أن يكون خلاصهم من ظلم الرومان على يد المسلمين .

٢ً – يكرر جرجي اسم بلدة قرب جبل المقطّم هـي « بابل » . كما في الصفحات : ٣ ، ١٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٩، ١٢٤ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٦٤ ، ١٨٤[١] .

وهذا خطأ جغرافي كبير ، فأين (بابل) وهي مدينة في أواسط غرب العراق كما هو معروف ، كما جاء في معجم البلدان ، جـ ١ ص : ٣٠٩ ، من بابلْيون وهو اسم لموضع الفسطاط عند الفتح الاسلامي ؟

فبابل التي ذكرها جرجي خطأ ، هي حصن بابليون ، وهذا الصواب كمـا جاء في كتب التاريخ بالاجماع ، وكما جاء في معجم البلدان : جـ:١ ، ص:٣١١ .

٣ً – وقال جرجي في الصفحة ١٢ عن النبي ﷺ : « رجل عظيم ، سَنّ ديناً جديداً وتبعه جمع غفير » .

فمحمد في عرفه ليس نبيّاً ، بل انه رجل عظيم سنّ ديناً جديداً ، مع أنه ﷺ لم يسنّ ديناً ، بل الاسلام دين الله الذي ارتضاه لعباده : « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ »،فالدين الجديد تنزيل رب العالمين على قلب المصطفى ﷺ .

٤ً – وقال جرجي على لسان رجل قبطي في صفحتي ٣١ و ٣٢ : « وكم تمنيت أن يملك بلادنا هذه أهل البِجَة أو أهل الحبشة ، فإنهم أقرب الى الشفقة والرحمة من هؤلاء » .

ونتساءل لماذا لم يفكروا بالاستقلال،وقد عرفوه سابقاً ، وفكروا بالتبعية؟! والجواب .. هكذا أراد لهم جرجي دون نقاش !

ويقول جرجي على لسان هذا الرجل في صفحة ٣٣ : « أتظن القبط اذا

(١) وفي روايته « ١٧ رمضان » أيضا ذكر « بابل » في الصفحات : ٩٤/٦٧ ..

جاءهم العرب محاربين يقاومون حبّاً في الروم ؟! بل أقول لك وأنا أحد الأقباط إني أفضّل أية دولة تحكم هذه البلاد على دولة الروم ، لما قاسيناه من جورهم واستبدادهم ! نعم إنهم مسيحيون مثلنا ولكن الوثني خير منهم »٠

فهو مازال مُصراً على عدم وجود فكرة الاستقلال ، ليقول فيما بعد في فصل يحمل عنواناً برّاقاً : « المسيحيون ومظالم الرومان » ملخّصه : القبط في مصر أمـة مفككة ، مظلومـة منهكة في خلافات دينيـة ٠ قبلت المسلمينَ فاتحين لهـم ٠

ونحن نقول : اذن ٠٠ مصر كانت مفككة منهكة نخرت بها عوامل الانهيار فجاء المسلمون في فتح إنساني رائع للحد من المظالم واحلال العدل والحق ، وإرجاع مصر الى وضع طبيعي فيه كرامة للانسان ، وحرية للفرد٠٠

٥ً ـ وذكر جرجي في الصفحة : ٣٥ عند ذكر دقلديانوس : « تنصّـر أجدادنا الاقباط في عهده » ٠ والحقيقة تقول : « ولقد أُكرِهت مصـر على انتحال النصرانية ، ولكنها هبطت بذلك الى حضيض الانحطاط الذي لم ينتشلها منه سوى الفتح العربي ٠٠ » ٠ كما يقول الدكتور غوستاف لوبون في كتابه « حضارة العرب » في الصفحة ٣٣٦ ٠

٦ً ـ يخلط جرجي كعادته في رواياته بين كلمتي « عرب ، ومسلمين »، فهـو يقول :

ـ في الصفحة ٨ : حارب ابن هرقل العرب قبل فتح مصر٠

ـ وفي الصفحة ٣٣ : « أتظن القبط اذا جاءهم العرب محاربين يقاومون حُبّاً في الروم ؟ » ٠

ـ وفي الصفحة ٣٤ : « إن العرب بعد أن فتحوا الشام أمّنوا النّصـارى على أموالهم وأعراضهم وأباحوا لهم الصلاة ٠٠ » ٠

ـ وفي الصفحة ١٤٥ : لن يترك أركاديوس الحصن فراراً من العرب.

ـ وفي الصفحة ١٤١ : إن العرب لم يستطيعوا ما استطاعوه إلا بما أعارهم القبط من العون سراً وجهراً .. فلا عجب اذا انتصر العرب على بعض حصوننا الضعيفة ..

ـ وفي الصفحة ١٤٢ : إن العرب سيغلبون بما نالوه من عون القبط.. ان المقوقس متظاهر بالاهتمام والرغبة في دفع العرب..

ـ وفي الصفحة ١٤٩ : حصوننا غنيمة لهؤلاء العرب القادمين إلينا من أقصى بادية الحجاز .

ـ وفي الصفحة ١٤٩ أيضاً : ولو تركني أبي أفعل ما أريد لخرجت الى جند العرب المعسكر حول الحصن ..

ماسبق .. على سبيل المثال[1] . والاصح في هذه الاقوال كلها استعمال كلمة العرب المسلمين .

٧ً ـ أما عن محور الرواية « حب مرقس ومارية » فيقول جرجي على لسان مرقس : « لا فاضَ النيلُ ولا ارتوت الارض اذا لم يكن ذلك إلا بهذه الطريقة ـ طريقة ضحية النيل ـ اطمئنوا وألقوا الامر عليّ ، وأنا أُنقذها ، أين هي لأراها ؟ » ويقول مرقس : « ولكن ماهذه العادة القبيحة ؟ وهل تظن النيل يعقل حتى يكون لهذه الضحية تأثير في مجراه ؟ » فيجيبه قسّيس : « لا ياولدي انها من العادات الوثنية التي تنفر منها أذواقنا ، ويأباها الطبع ولاتسلم بها الديانة ، بل تنهى عنها لأنها قتل للنفس » .

(١) ومثل الصفحات : ٣٦/٣٧/٤٤/٦١/٦٣/٦٤ .. كقوله : هؤلاء العرب /قدوم هؤلاء العرب/ فإذا رأى الغلبة للعرب انحاز إليهم / معاملة العرب لأهلها / هل سمعتم شيئا عن العرب / أخبار العرب ...

لقد أراد جرجي أولا أن يقول إن الأقباط المسيحيين توصلوا بتفكيرهم قبل الاسلام الى الإقلاع عن ضحية النيل ، والحقيقة تقول ان الذي منعها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه •

ويقول جرجي العجب العجاب في الصفحة ٤٧ : « إن القول بضحية النيل عند المصريين لم يثبت ، وانما جئنا به للاشارة الى ما يقال من هذا القبيل وفيه لذة وتسلية » • اذن •• الرواية كلها خيال بخيـال ، ولانها تدور حول مارية ضحية النيل ••• والتاريخ لا يُكتَب إلا بحقائق ثابتة ••

٨ً ـ ومن صور الغرام ولواعجه يقول جرجي في رواية تحمل اسم تاريخ الاسـلام :

ـ حبيبك أمين في حبك ، ثابت على ودّك ، لايستصعب أمراً في سبيل قربك « ص : ٥٢ » •

اعذريني يا بربارة اذا استسلمت الى عواطفي وهذا خاتم حبيبتي فكيف لا أُقَبِّله ؟ « ص : ٥٢ » •

ـ وفي الصفحة ٩٥ يُقْسِم بقلب المحبِّين •

ـ ففي ليلة من ليالي الشهر السابع كان أركاديوس في حجرته ، وقد أعدَّ فراشه التماساً للرقاد لعله يرى طيف حبيبته في منامه •• ولبثت هي في الحديقة تنتظر قدومه وقلبها يخفق ، وركبتاها ترتعشان ، وكلما آنست صوتاً أو رأت شبحاً ظنته أركاديوس •

ـ وفي الصفحة ١٤٨ : إنّما أحب الحرب يا أرمانوسة من أجلك ، لأدافع عنك ، وأستقبل السيوف والنبال تعزيزاً لمقام خطيبك عندك •

وفي الصفحة ١٤٩ تقول أرمانوسة : إن كنت تحبني وتبغي رضاي فأقلع

عن القتال ، ودع الحصون ، وابقَ الى جانبي فإني لا أستطيع صبراً على بعدك •• فتنهد ــ أركاديوس ــ وقال لها : نعم إني أحبك ، وأنت تعلمين ذلك ، ولكنني أحب شرفي وأحب وطني أيضاً •• وهذا يناقض قوله « لا فاض النيل ولاارتوت الارض إن لم يكن ذلك إلا بهذه الطريقة » •

٩ً ــ أظهر جرجي المسلمين في الرواية ، سذّجاً بسطاء أغبياء ، على عكس الواقع تماما • فهو يقول في الصفحة ٦١ : أعطيك شعار الليل ، فإذا وصلت الى المعسكر وسألك أحــد من أنت ؟ قل له : السلام عليكم ، وأفهمه نطق هــذه اللفظة العربيــة ، وهــو لا يفهم معناهــا •• من أنت ؟ فيكون الجــواب : « السلام عليكم » وينتهي كل شيء !! فهو لن يُسأل عن اسمه أو مهمته ، ولماذا هو هنا وحيد ، وما الذي جاء به باتجاه يعاكس سير المسلمين ، كل هذا لا يخطر ببال المسلمين السذّج البسطاء بعرف جرجي ؟!!

ويتابع جرجي قوله : واذا بفارس قد اعترضه قائلا : من أنت ؟ فأجابه مرقس : « السلام عليكم » ، فأخلى سبيله ، وقال له : أين كنت ؟ فقال مرقس وهو الذي لايعرف اللغة العربية: خرجت من المعسكر لأمر وعدت ، فكيف نطق هذا الاعجمي(١) بهذا وهو لا يعرف إلا نطق السلام عليكم ؟!!

فجواسيس جرجي كانوا في القادسية واليرموك وفتح القدس وهي اليوم في فتح مصر : « وتحول مرقس الى خيمة الامير ــ عمرو بن العاص ــ فرآها قد شغلت بقعة كبيرة من الارض •• فاقترب منها جهده ، فاذا بعمرو قد جلس في صدرها على وسادة من الحرير(٢) •• » •

هذا الجاسوس لايكشفه مسلم،فالمسلم الفاتح غبي بسيط في عرف جرجي،

---

(١) الأعجمي : هو الذي لا يحسن العربية ولا يعرفها •
والعجمي : من بلاد العجم ، فهو جنسية •

(٢) صفحة : ٦٥ •

بل يكشفه انسان من شيعة مرقس ، فينفرد معه ، ولم يلتفت إليهما أحد حتى وصلا مأمناً فجلسا .. فلا استطلاع ولا حراسة ولا عيون عند المسلمين ، هكذا أرادهم جرجي !!

١٠ً ـ ويقول في الصفحة ٨٨ عندما وصف الجيش الاسلامي الذي وصل مدينـة الفرما : « ثم انكشـف ذلك الغبار عن جيش جرار تتقـدمه الاعلام والفرسان » . وهذا الجيش الجرار في عُرف جرجي ، هو فقط ٤٠٠٠ فارس في عُرف الحقيقة التاريخية ، ويقول عنه أيضا في الصفحة ١١٩ : « وقد تصاعد غبارهم حتى بلغ عنان السماء » .

فهـو يزيـد من حجم الجيش الاسلامي ويجعله جرّاراً وبلـغ غبـاره عنان السماء ليجعل ذلك سبباً من أسباب سهولة الفتح ، وسبباً لانتصار المسلمين.

١١ً ـ وعلى عـادة جرجي في كل رواية ، نراه يعظّم الاديرة والقسس ومياه المعمودية :

ـ وجاء القسيس فصلى له ورشّه بمياه المعمودية تبرّكاً وتيمّناً ، وعلّق على صدره صليباً من الذهب نعتقـد فيه الحماية من الضر ، فقبّل الصـليب والانجيل .. هذا في الصفحة ٨٩ ، أما في الصفحة ١١٧ : لاريب عندي أن هذا الصليب سيدفع عني كل غائلة ، ويقيني من كل شر ، قال ذلك وعلّقه في عنقه ، وخبّأه بين أثوابه .. » ساعداني بالصلاة ، وقل لها ان صليبها في عنقي ، وهو يرفع عني كل شر » [ص : ١٨٠] .

ـ وفي الصفحة ١٥٨ يقول أركاديوس لأرمانوسة : لقد أضعت شيئاً لاتقل خسارته عن هذا الحصن ، أضعت الصليب الذي أهديتنيه ، وقد كان معلقا في صدري تحت ثوبي حتى ليلة مجيئي إليك ، وكنت أخرجته لأقبله وأنا أنزع ثيابي للرقاد ... » .

ــ وفي الصفحة ١٦٢ : « البطريرك بنيامين حبيبنا التقي الورع سيأتي عمَّا قليل » •

ــ وفي الصفحة ١٧٠ : « وثق يامولاي أن صلاتنا في هذا الصباح هي التي ساعدت على رد العرب ، وحفظ أسوار المدينة ، فإن للسيدة العذراء كرامة» •

١٢ً ــ جعل جرجي أركاديوس محور روايته ، وجعله فارساً شهماً مغواراً وطنياً غيوراً ، ولم يجعل بطولة لمسلم واحد •

ــ في الصفحة ١١٨ : لقي أركاديوس فارساً مسلماً ، فلم يستطع الفارس إلقاء القبض عليه ، حتى جاء فارس مسلم آخر فتعاونا عليه ، ثم اعتبر جرجي إلقاء القبض على أركاديوس عملا خيانياً بحق العرب : « خرجت من المدينة في حاجة فظفر بي رجالكم منفرداً فأمسكوني ــ جماعة على واحد ــ وليست هذه عادة الابطال ، ونحن نسمع أن العرب لايغدرون » •

لقد هيَّأ جرجي خياله منذ بداية روايته ، ليقف أركاديوس مواقف البطولة في وجه عمرو بن العاص وجند الاسلام : « نجوت منه بالرغم من الحبال التي شدّوا بها وثاقي وما ساعدني على تمزيقها إلا خوفي عليك » ••• أي خوفه على أرمانوسة « صفحة : ١٣٣ » • فتجيب أرمانوسة : لو كان في جند الروم خمسة مثلك لما تمكن العرب في هذه البلاد ، فاجلس الآن واسترح لنرى ما يأتي به الغد •

وفي الصفحة ١٤٩ : ونحن الروم أرباب المجد والسطوة ، وقد رفعت أعلامنا على هام الامم ، ودانت لنا الملوك والقياصرة • أَنَفِرُ أمام نفر من البدو ورعاة الإبل ــ يعني المسلمين ــ أترضين لي ذلك؟ويتابع أركاديوس خطابه لأرمانوسة « تعقَّلي ياحبيبتي ، فقد صبرت أشهراً فاصبري أياماً ، وسترين العاقبة كيف تكون ، ولو تركني أبي أفعل ما أريد لخرجت الى جند العرب المعسكر حول

الحصن ــ حصن بابليون ــ بشرذمة من رجالي فقط ، وبدّدتهم أيدي سبأ ، ولكنني أعمل برأيه مكرهاً أما اذا نشبت الحرب واحتدم الوطيس ، فالفوز لنا لاريب فيه بإذن الله ».

وفي ص ١٥٠ : بكى أركاديوس بعد فتح حصن بابليون ، بكى « دمــوع الابطال » ، ويقول : ومن الغريب أن هــؤلاء الرعاة لم يفعلوا ما فعلــوه إلا وأركاديوس بعيد عنهم ، ولكن آه يا أرمانوسة .. آه من الحــب ، ما أعظم سلطانه ، ان الحب وحده كان سبب سقوط هذا الحصن ، فقد كان في وسعي ملاقاة الشر ــ الفتح الاسلامي شر !؟!! ــ قبل وقوعه ، ولكن حبي أرمانوسة حملني على التجاهل ، فالعرب لم يغلبونا ، ولكنها خيانة أنا شريك فيها على غير قصــد ، والحب يعمي ويصم .. آه منه » .

وفي الصفحة ١٥٢ يقول جرجي على لسان أركاديوس : ولولا تلك الغشاوة لاستطعت انقاذ الحصن ومن فيه ، وارجــاع هؤلاء العرب الى مراعي إبلهم وماشـــيتهم ..

وفي الصفحة ١٥٣ : أيدخل هؤلاء العرب الحفاة العراة حصوننا ونحن جنود الروم لنا العدة والسلاح وهم شرذمة قليلة ، انها الخيانة ، أو لعله السحر، أو لعله غضب من الله .

وفي الصفحة ١٧٢ هدّأ المقوقس أركاديوس بقوله : مثلك يفتخر بقتــل الامراء في ساحة الوغى وليس في أغلال الحديد .

وفي الصفحة ١٧٧ : « أما أنت ــ أي أركاديوس ــ فكلنــا يعرف فيك من عزة النفس والبسالة مما يجعلك بمنأى عن اساءة الظن بك ، فأنت لا تفر من ساحة الحرب ، ولا تسلم للعدو سلاحك ولكن الرأي قبل شجاعة الشجعان» .

ويقول أركاديوس في الصفحة ١٧٩ : أتريد يامرقس أن أفر من الحصن

ولا أستحيي من حسامي هذا ؟! كيف لا أخجل ؟ بل كيف لا أذوب خجلا اذا قيل فعلت ذلك وأنا أركاديوس ؟!

وقمة البطولة الخياليـة ، يطلب أركاديوس عَمْراً للمبارزة : أين هـو أميركم ؟ فليبارزني ، أنا أركاديوس • ويكذب جرجي على لسان عمرو مايلي:

« إني لم آتِ لأقاتل أركاديوس البطل الشهير ، ان مثلك لا يقاتَل ، وقد جئتك وسيفي مغمد لعلمي أن الخيانة ليست من شيمتك » ، وصافح عمرو أركاديوس قائلا في خيال جرجي : « ها أنذا أصافحك وأؤاخيك منـذ الآن ، واعلم أنك صديق ، ولا تحسبنا أخذناك في الحرب،فإننا جئناك زائرين لنشكرك على جميل سبق لك علينا »•

ويقول مرقس لأركاديوس بعد هذا الموقف الخيالي الاسطوري : « وها قد نجوت من الخطر شريفاً بعد أن طلبته للمبارزة فلم يبارزك »•

وهكذا •• يميل القـارىء للرواية بفطرتـه الى المحبّين المظلومين وهم الشجعان الشـرفاء ، ويبغض المسلمين الفاتحين الذين أخَّروا بسبب « شـرّ فتوحاتهم » لقاء المحبين•

ولقد تمّ الفتح سهلاً ، ومن أسبابه اشتغال الابطال أمثال أركاديوس بعشيقاتهم ، فلكل أرمانوسته ، ولتضع مصر •• وسحقاً لأبطال أمثالهم شغفهم حبهم ، وشغفتهم شهوتهم عن الدفاع عن وطنهم ••

١٣ً ــ ويقول جرجي على لسان بربارة : « أرى أن تستحضر ثوباً مثل أثواب العرب ، لانك اذا التقيت بهم وأنت بهذا اللباس قتلوك » • وليس هذا صحيحا ، فليس المسلمون كلما رأوا فرداً من غير دينهم قتلوه ، وإلا لما بقـي أحد من الشعوب غير المسلمة في حينها ، هذا من جهة •• ومن جهة أخرى ليس المسلمون أغبياء ، فكل من لبس ثياباً مثل ثيابهم صار منهم •

ماسبق في الصفحة ٥٦ ، أما في الصفحة ٦٠ ، فيقول : « لما استولى العرب على حلب أخرجونا منها » ، وهذا خطأ تاريخي ، لقد بقي أهلها فيها ، كأية مدينة أخرى فتحها المسلمون •

١٤ً ـ وفي الصفحة ١٣٤ : « رأى العرب قد أمعنوا في المدينة قتلا ونهبا » ، فثارت حمية أركاديوس كعادته لكنه لايتقدم لقتال أو دفاع • ورأى: « العرب ينهبون المدينة ويقتلون حاميتها »ـ مدينة بلبيس ـ فيقول أركاديوس: « مهلا ، سوف يلقون منا في حصن بابل ـ بابليون ـ مايردّهم على أعقابهم » •

ويتقدم عمرو بن العاص ليقول لأرمانوسة : فإنك في أمان من [هول] ماترين أنت وكل من يأوي اليك ، ثم جاء عمرو ليطمئن بنفسه عليها فعلا وجهها احمرارُ الحياء فزادها جمالا •• كل ذلك في روايات تاريخ الاسلام ؟!!

والحديث عن مغالطات ودسائس جرجي في روايته « أرمانوسة المصرية » يطول ويطول ، ويكفينا ما أوردناه من نقاط ، نختتمها بما يلي:

١٥ً ـ نتائج الفتح :

١ ـ أسس عمرو الفسطاط •

٢ ـ زواج أركاديوس من أرمانوسة ، ومرقس من مارية • أي لقاء الاحبة ، فلقاء الحبيبين يتكرر عشرات المرات في الرواية ، فالفرج قريب لأرمانوسة التي لاتحب الزواج من ابن قسطنطين ، وتريد حبيبها الفارس الشهم ، وتم اللقاء والزواج بعد الفتح ، واختار أركاديوس الاقامة بالاسكندرية ، وعاش مع عروسه في رغد ، ومعه بربارة ومرقس ومارية •• وكل صفات البطولة والشهامة والقوة والعزيمة والثبات ذرتها الرياح فبقيت خيالا في خيال ، وأسطورة في أسطورة ، وتبقى الحقيقة التاريخية العلمية تقول :

ان قصة الحب التي تمت في خيال جرجي لا أصل لها ، وكل تشويه ورد فيها هو من نسج الخيال ، أراد منه جرجي الدس والتشويه ، وتمييع قيمنا ، والاستهانة بتراثنا •• وتبقى الحقيقة لتقول :

فتح المسلمون مصر ، فخلّصوا الاقباط من الضرائب العالية المرهقة ، ولم يأخذوا منهم إلا العُشر مما كان يأخذ الروم •

وضمنوا لهم الحرية الدينية المطلقة ، وجلبوا الى وادي النيل الخير ، ولم يضع عمرو يده على شيء من ممتلكات الكنائس ، ولم يرتكب عملا من أعمال السلب والنهب ، وكان التسامح رائـده ، فصبغ مصر بالعروبة والاسلام الى الابد ، ولو كره جرجي وأشياعه !!!!

عذراء قريش

✶ ويمسك محمد بن أبي بكر بلحية عثمان ويقوله له : « قد أخزاك الله يا عثل »!! ويلتفت إلى حبيبته ليقول لها عند جثة عثمان رضي الله عنه : « إني صريع حبك » .

جرجي

هذه الرواية « عذراء قريش » قال عنها جرجي : « تتضمَّن تفصيل مقتل الخليفة عثمان بن عفان وخلافة الإمام علي ، وما نجم عن ذلك من الفتنة وواقعتي الجمل وصفين الى تحكيم الحكمين وخروج مصر من خلافة الإمام علي[1] » .

وجعل أبطال روايته — كما أوردهم في الصفحة الثانية — :

عثمان بن عفان	: ثالث الخلفاء الراشدين
علي بن أبي طالب	: رابع الخلفاء الراشدين
عائشة أم المؤمنين	: زوجة النبي ﷺ
نائلة بنت القرافصة[2]	: زوجة الخليفة عثمان
محمد بن أبي بكر الصديق	: أخو عائشة
عذراء قريش	: أسماء بنت مريم
مريم أم أسماء	: من سبايا فتح مصر
مروان بن الحكم	: ابن عم عثمان بن عفان

---

(١) هذا ما قاله جرجي في الصفحة الاولى تحت العنوان .

(٢) يوردها خطا دوما ، والصواب : « نائلة بنت الفرافصة » .

عمرو بن العاص } الحكمان في الخلاف بين علي ومعاوية
أبو موسى الاشعري }

هؤلاء هم أبطال الرواية كمـا أوردهم جرجي وواقع الروايـة يقول : ان الرواية تدور حول شخصية خيالية مسيحية اسمها « أسماء بنت مريم » ، وهي ملكة جمال : « فتاة غضة الشباب ، مشرقة ممتلئة صحة ونشاطا ، على رأسها عقال ، وزاد في إشراق وجهها ما اكتسبه من التـورّد على أثر التعب وركوب الجواد أياماً في الصحراء[1] » .

وقال عنها أيضا : « كانت على جانب عظيم من المهابة والجمال ، جمعت بين لطف النساء ، وحزم الرجال وشجاعتهم ، وكان الناظر اليها لايسعه إلا أن يحترمها ، فاذا خاطبها آنس منها رقة وأنفة ودعة وأريحية ، وكانت ربعة ممتلئة، حنطيّة اللون ، سوداء العينين حادتهما ، طويلة الاهداب ، مقرونة الحاجبين، دقيقة الفم ، سهلة الجبين ، تغضي العيون مهابة التفرّس في وجهها[2] » .

هذه الفتاة اشتد نفورها من مروان بن الحكم أيام خلافة عثمان رضي الله عنه : « لأنها لم تكن تعتد بزخارف الدنيـا ، ولكنها كانت تهوى الشهامة وكرم الاخلاق ، فلم يقع مروان من نفسها موقع القبول[3] » ، لان صفاتها الطيبة غير موجودة في مروان بن الحكم ، ثم يذكر جرجي مرض مريم أم أسماء ، التيطلبت أن تـحمَل الى المدينة على أن تجيب طلب مروان ــ في الزواج ــ هناك[4].

وسُرّ بذلك مروان ، اذ حدثته نفسه بأنه اذا جاء المدينة كان بالقرب من ابن عمه الخليفة عثمان ، فلا تعود الام الى التـردد ــ في تزويجه أسماء ــ خشية غضبه[5] ..».

---

(١) صفحة : ٤ .
(٢) صفحة : ٥ .
(٣و٤) صفحة : ٦ .
(٥) صفحة : ٦ أيضا .

هذا الذي يطارد فتاة على غير دينه سيكون خليفة المسلمين ، انه يتتبَّع فتاة من الشام الى المدينة في ظروف سياسية حرجة من أجل شهوته !؟!

وهذا خيال •• فالقصة من أوَّلها افتراء وتشويه •• ومما يلفت النظر أن الأم مسيحية قبطية ، والأقباط لا يسمُّون بالأسماء العربية ، فمن أين جاء اسم « أسماء » ، وقد كان عمرها سنتين أو أكثر عام ١٨ هـ عند فتح مصر كما يقول جرجي ؟!؟ فكيف أسمتها أمُّها « أسماء » ؟ إلا إذا استشفت الأم الغيب ، وتخلَّت عن دينها وقبلت أسْماء المسلمين في تسمية ابنتها •

وكما نرى أيضاً أن الأم اسمها مريم أم أسماء ، بنت مَنْ ؟ أسرتها من ؟ والبنت أسماء مَنْ أبوها ؟ ومن أية أسرة هي ؟! لا ندري ولا يدري خيال جرجي أيضاً •

وقبل البدء في ذكر النقاط الرئيسة في دس وتشويه جرجي نقول : ركز في روايته على عثمان بن عفان والفتنة وانتقال الخلافة إلى علي رضي الله عنه •• ونحن سندع هذه النقطة لأهميتها إلى نهاية مناقشة الرواية حيث نقدِّم رأينا بشكل كاف •

١ً ــ يقول جرجي : رأت أسماء يزيدَ قد توسَّد الأرض خارج الخيمة ونام ، فأسفت لما رأت من فقده المروءة والشعور •• واستنكفت أن تخاطب يزيد في الأمر احتقاراً له(١) ••

يزيد لم نعرفه بشكل كامل دقيق من هو !! ولكن جرجي يقول بحقه : إنه اشترك في فتح مصر ، فهذا الأرجح أنه صحابي ، فكيف نصفه بفقدان المروءة والشعور ، ونرسمه بهذه الصورة المحتقرة ؟

٢ً ــ وعن المسجد النبوي الشريف والازدحام فيه يقول جرجي : « وقد

(١) صفحة : ٩ •

تكاثفت أنفاسهم وانبعثت من باب الجامع حرارة ممتزجة بروائح أجسامهم — روائح التعرّق — » وأثوابهم قذرة بالتالي ، وهذا ينفر من دخول المسجد النبوي الشريف ... وهذا طبعاً من خيال ودس جرجي .

أما الأديرة ، أما الكنائس ففيها مياه المعمودية ، والبخور الزكي ، والحدائق والزهور محيطة بها .. هذه الصورة وتلك في روايات تحمل اسم « روايات تأريخ الإسلام » !!

٣ً — تعشق أسماء القبطية محمد بن أبي بكر المتمرّد ، ينافسه مروان بن الحكم المرفوض من قبل أسماء ، ولأن محمد بن أبي بكر جرفته الفتنة في مصر ، أخذ في تمجيده ، وأخذ ينزهه عنها ، وهو صاحبها في مصر . وقال جرجي في الصفحة ١١ بحق مروان : « بئس الشاب هو » ، وفي ص ٢٠ : « ومن يحمينا غدر الخائنين » .

وفي الصفحة ١٩ قال : فنظرت أسماء إلى محمد — ابن أبي بكر — نظرة استحثاث أثرت فيه تأثيراً غريباً ، وشعر كأن نظرها اخترق صدره حتى وقعت سهامه في قلبه ، فنهض للحال ، وقال لأسماء : « إذا لم يكن بدٌّ من استقدام علي ، فاني ذاهب لاستقدامه » .

فالذي يُسَيِّر الأحداث في الفتنة الكبرى أسماء مجهولة الأب والأسرة والماضي ؟!!

٤ً — قال بحق عجوز في قُبَاء : « جاءت برماد لتلطيخ الوجوه والرأس ، وأخذوا بالعويل والنوح ، فتجمَّع الناس لفرط البكاء والندب واللطم[1] » . فهل هذا من الإسلام في شيء ؟!!

٥ً — والعجب العجاب ، حديث جرجي بحق علي رضي الله عنه ، وذلك في

(١) صفحة : ٢٠ .

الصفحة ٢٠ : « أما علي كرم الله وجهه فترجَّل وقد شغله أمر الفتاة على الالتفات إلى الميتة ، وكانت أسماء قد توردت وجنتاهــا ، وذبلت عيناهــا ، وتكسَّرت أهدابهما لما انسكب منهما من الدموع ، ومما زادهــا هيبة ووقاراً استرسال شعرهــا الأسود على ظهرهــا وصدرها وحول كتفيها وقد غطى معظم وجهها ، ناهيك بانكسارها وذلها من الحزن واليأس فانهما يزيدان الجمال جاذبية » ٠

علي تشغله الفتاة !! علي رضي الله عنه بايمانه وعظمته وورعه تشغله فتاة متوردة الوجنتين ٠٠ يزداد جمالها جاذبية بدموعها وحزنها ٠٠٠ هذا تاريخكم يا عرب يكتبه لكم جرجي ؟!!

أما محمد بن أبي بكر : « فلا تسل عما خالج قلبه ، وما أحسَّ به من الميل الشديد إلى أسماء ، حتى شعر بأن المصيبة واقعة عليه »[1] بعد وفاة أمها ٠ ثم ذكر أن الأم تم غسلها ودفنها ، وهذا خطأ ، فغير المسلم لا يغسل قبل دفنه ٠

ثم استمر في تركيزه على محمد بن أبي بكر : « علق ذهنه بأسماء ، واشتغل قلبه بها »[2] ٠ وبما أن أسماء شخصية خيالية ، فالمقصود إذن تشويه سيرة الصحابة بعشق وغرام ٠٠

٦ً ـ يذكر زوجة عثمان بالشكل التالي[3] : « نائلة بنت القرافِصَة » ، وفي أسد الغابة ، وأعلام النساء الجزء الخامس ، صفحة ٢٧ « الفَرافِصَة » ٠

٧ً ـ الفتنة قائمة ، ومروان وراء شهوته « يريد أسماء التي ترفضه »[4] ، ويكرر نزقه ، وهو خليفة المسلمين القادم ٠

٨ً ـ يظهر في الصفحات ٢٧ و ٢٨ ترف عثمان بطريقة غريبة :

---

(١) صفحة : ٢٢ ٠
(٢) صفحة : ٢٣ ٠
(٣) صفحة : ٢٥ ٠
(٤) صفحة : ٢٥ أيضا ٠

أ ــ يسمع الإنسان « وسوسة أساور نائلة ودمالجها وعقودها وهي تتهيأ للوقوف »[1] .

ب ــ بيت عثمان فيه ما غنمه القواد في فتح الشام والعراق[2] من قصور الروم والبطارقة وأغنياء الروم والفرس ، وفيه أسلحة مرصّعة ، وأعلام ودروع ، وآنية من الفضة والذهب من غنائم المدائن عاصمة الفرس على عهــد عمر بن الخطاب ، وبينها تاج كسرى مرصّع بالجواهر ، وثيابه ووشاحه ، وكلهــا من الديباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجواهر ..

عثمان غني قبل خلافته ، وتجهيزه لجيش العسرة « في غزوة تبوك » معلوم مشهور ، والخطأ الفادح أن تاج كسرى ووشاحه وثيابه كانت ملكاً لسراقة بن مالك الجعشمي وليس لعثمان رضي الله عنه .

هذا من ناحية ، ومن ناحية غنائم المدائن فقد أعيدت إلى الجند ، ولم يقبلها عمر ، ووزّعت على الجند الفاتحين في حينها ، وإن كان بعضها في بيت عثمان كما يدعي جرجي ، فإن كتب التاريخ لم تؤيد ذلك .

٩ً ــ وفي الصفحة ٢٩ يستمر جرجي في خياله فيصف بطلته الجميلة وهي نائمة بقوله :

« انحسر كمها عنها فبان زندها وبانت عروقه مخضرة كأنها خطوط متعرّجة رسمها الجمال تحت تلك البشرة الناعمة الغضة ، ونمت على كل زند عضلاته واستدارت حتى يخيل إلى ناظره أن الصحة تتدفق منه » ، ثم يصف بدقة وشماً على شكل صليب . ثم يقول في الصفحة ٣٠ :

« غيرت أسماء وضع نومها واستلقت على ظهرها فانشق صدر ثوبها ، فبان

(١) صفحة ٢٧ .
(٢) صفحة : ٢٨ .

من تحته قلادة من فضة تدلّت منها تميمة صغيرة عليها رسوم مسيحية أيضاً ••

كل ما سبق في رواية تحمل اسم « تاريخ الإسلام » !!

١٠" ــ ويرتكب جرجي دناءة في وصف زوج عثمان رضي الله عنه حيث قال في الصفحة ٣٢ :

« فخرجت نائلة مهرولة وبدنها يترجرج لضخامة فخذيها » •• هذا مايجب أن يدوّنه التاريخ في صدد الحديث عن عثمان !!

وما أخبث مقارنة جرجي عندما قال في الصفحة ذاتها : « اضطربت نائلة ــ من تجمهر جماعاتٍ بأسلحتهم وخيولهم ــ وامتقع لونها ، وأخذ الخوف منها كل مأخذ » • أما أسماء وأمام المنظر ذاته : « بقيت رابطة الجــأش ، وجعلت تشجعها وتقول لها : لا تخافي يا سيدتي فإنهم لا يستطيعون الدنو من الدار ؛ فهي محاطة بهذا السور العالي ، فإننا نرميهم بالنبال والحراب ، فعجبت نائلة من شجاعة أسماء ، ورباطة جأشها ، وكأنما سَرَت إليها عدواهــا ، فأمسكتها وتوجهت تقصد غرفتها » •

فنائلة زوجة عثمان خائفــة مضطربة ، أما فتاته الخياليــة القبطية فرابطة الجأش قوية ؟!!

ويقول بحق عثمان رضي الله عنه في الصفحة ٣٥ : « علته البغتة ، وامتقع لونه ، وآثار الجدري لا تزال ظاهرة فيه » ويكرر عبارة : « آثار الجدري » ؛ وما ذلك إلا لتشويه صورة عثمان في نفس القارىء فيمقتها !!

وقال في الصفحة ذاتها : « رقصت لحيته » ، وهذا لا يليق أيضــاً بحق عثمان رضي الله عنه •

١١" ــ وتحضر أسماء بشجاعة وجــرأة مجلس الخليفــة ، والحاضرون

يعجبون بما سمعوه منها ، وبما ينظرون من لين قوامها ، واسترسال شعرها ، وحسن خطاها • وحضورها مجلس الخليفة يعني إبداء الرأي والتدخل في أمور الدولة ، بل تسيير أمور الأمة بما تشاء ، كل هـذا في الصفحة ٤٠ • وهي في الصفحة ٤٩ تضع الحل « تريد أن يتدخل علي لإخماد الفتنة » • وهي في الصفحة ٥٥ تدير الأحداث من بيت عثمان بعـد مقتله رضي الله عنه • وهي التي تمهّد لمبايعة علي في الصفحة ٦٨ وتحضر البيعة بلبـاس الرجال « بين صحابة بسطاء سذّج » • وتذهب أسماء القبطية أيضاً في الصفحة ٧٢ إلى عائشة لتشرح صفين والجمل ، وستكون في عريش قرب خيمة طلحة والزبير لتدير الأحداث ، وتعود في الصفحة ٩١ إلى المدينة لتدير الأحداث ، ثم إلى دمشق الصفحة ١٥٠ وهكذا•• حيث الأحداث وسيرها نجد أسماء الخيالية القبطية هناك لها دورها الأول في تهيئة الظروف ومتابعة الفتنة ••

١٢ً ــ وفي الصفحة ٤١ فصل فيه عاشقان ومنافس : [أسماء ومحمـد ومروان] ، لتدور أحداث قصة غرامية في بيت الخليفة ، ويلتقي الأحبة العاشقون خلسة ، علماً أن محمد بن أبي بكر لم يدخل بيت عثمان مطلقاً قبل مقتله • وقال جرجي عن أسماء ومحمد بن أبي بكر وهما في دار الخليفة :

« فردّ التحية ومد يده فسلّم عليها ، وشعر عند لمس يدها ببرد أناملهـا وارتعاشها » وأخبرته أنها تعمل لصالح عليٍّ لصلتها به ؟!؟ فأخذ محمد بشجاعتها، ولم يكن يعهد مثل هذا في النساء ، أي ما عهده في نساء مسلمات ، ورآه في فتاة مسيحية قبطية ؟!!و نظر محمد إلى أسماء وقد علت وجهها مهـابة الأبطال •• فأعجب بما خصها به الخالق من الهيبة والأَنَفَة ، فأمسك بيدها وأرجعها إلى غرفتها قائلاً : بورك في شهامتك يا أسماء ، ولكنني أراكِ قد اكترثت بهـذا الشاب التافه فاتركيه وشأنه » •

قالت أسماء وهي تحاول تخفيف خطبها : « إني لا أبالي بشقشقته ، ووالله

لو أنـــه حمل علي بمائة مثله ما حسبت لهم حســـاباً » •• هـــذا الكلام بحق مروان بن الحكم •• الذي بايع علياً بعد مقتل عثمان ، واعتزل السياسة وأقام بالمدينة •• « وكان من ذوي الرأي والفصاحة والشجاعة ، وكان كثير التـــلاوة للقرآن[1] » • روى الديار بكري « أن مروان كان من رجال قريش ، وكـــان مِنْ أقرأ الناس للقرآن »[2] ، وإليه يرجع الفضل في ضبط المقاييس والموازين حتى لا يقع الغبن في البيع والشراء •

هذا الرجل الذي انتخب في مؤتمر الجابية خليفة (ذي القعدة ٦٤ هـ) استطاع الانتصار بمرج راهط على القيسية بزعامة الضحاك بن قيس الفهري ، وانتصر في خراسان والعراق والحجاز ومصر •• هذا الرجل الكبير لا تبـــالي أسماء بمائة مثله ؟!!

ونعود إلى أسماء ومحمد بن أبي بكر ، لنتعرف إلى ردود الفعل عنده بعد سماعه ما سمع من أسماء القبطية ، رد فعل محمد بن أبي بكر يحدده «فرويد» : [ففهم محمد مرادها فازداد بغضاً لمروان ، وغيرة على أسماء ، ولم يعد يصبر على بقائها هناك وحدها ، ونظراً إلى ما يعلمه من نفوذ مروان لدى الخليفة خاف أن يوسِّطه في اقناعها واسترضائها فتقبله على كره منها ، ولمـــا تخيل هذا أحسَّ بنيران هبَّت في بدنه ، وصار إلى خلع عثمان أو قتله أميل] •

موقف عظيم !! يريـــد بسببه قتل الخليفـــة ، ما السبب ؟ أسماء القبطية الخيالية !! ومسرح هـــذه الأحداث أين ؟ دار الخليفة •• يدخلون إليـــه متى شاؤوا ، ويخرجون منه متى شاؤوا ، وفيه زوايا ميتة يلتقون فيها دون رقيب !!

ما سبق في الصفحة ٤٤ ، أما في الصفحة ٤٥ فيقول جرجي : « فنهض محمد

---

(١) تاريخ الاسلام ، جـ : ١ ، ص : ٢٩٠ •

(٢) صفحة : ٥٠ •

وودعهما وخرج غاضباً ناقماً على مروان ، وحدّثته نفسه بأن في بقـاء عثمان خليفة عوناً لمروان على نيل أسماء » .

ويتابع جرجي صورة البطولة لأسماء القبطية فهي تتصف بسداد الرأي ، وثبات الجأش وحسن الخلق ، فتقول لمروان في الصفحة ٤٨ : « لو كنت رجلاً حرّاً لنازلتني لمّا دعوتك للنزال » .

ويستمر حصار دار عثمان فيفيض جرجي بكلمات منها : عادت إلى بلبالها « عشرات المرات » خلال الرواية قبل لقاء الحبيبين ، ثم : الفتنة ، تأنيب عثمان ، حصار ، قطع المـاء ، الغوغاء ، الدماء ، ومروان في غرامياته ، لأن أسماء جميلة « وأراني أحبها ، وأغار عليها بالرغم مني ، ولا أرى في بنات قريش أجمل منها ولا أكمل ، ولكنها لا تزال صغيرة لا تعرف مقام الرجال » ، ويتابع بحق أسماء القبطيـــة :

« ولما كان الغروب ، تزملت بلباس الرجال ، وتقلدت الحسام تحت العباءة ، وغطت رأسها بالعقال ، وخرجت من دار عثمان إلى بيت بني حزم ، ثم خرجت من هناك تخترق الجموع وسارت تلتمس عليّاً » لتقترح عليه وبجرأة : « اقتلوا مروان بن الحكم فإنه سبب ذلك البلاء العظيم » .

فبهت الجميع لفصاحة أسماء ورباطة جأشها وجرأتها ، ونظر بعضهم إلى بعض متسائلين ، فالتفت عليّ إليهم وقال : « هذا ما أراه يا أصحاب رسول الله إن عثمان أذعن واستغفر ، ولولا ابن عمه لنامت الفتنة ، وأرى كلام هذه الفتاة صوتاً من أصوات أهل السماء » .

فيرسل علي ــ وهو صاحب العقل الراجح والعلم العظيم والإيمان الكبير العميق ــ يرسل أبناء الصحابة وابنيه الحسن والحسين « للذب » عن عثمان ، ولكن عثمان يقول للحسن في الصفحة ٥٥ : « ارجع يا بني إن أباك في هم عظيم

من أمرك » ، أي إن علياً ارسل ابنه وهو خائف عليــه قلق ؟!! أرســله رئاء النــاس ؟!!

ويمسك محمد بن أبي بكر بلحيــة عثمان ويقول له : « قــد أخزاك الله يا عثل[١] » !! وتكون أسماء عند المكان الذي قتل به عثمان ، وما ترك محمد لحية عثمان إلا لما رأى أسماء ، وخرج ليعلم منها ما تريد ، وليقول لها ودم عثمان لم يجف « إني صريع حبك » في الصفحة ٥٨ • وتقوم أسماء الخيالية لتنتقم لدم عثمان ، وأبناء الصحابة لا حراك بهم ، فهي أشجع منهم ، وضميرها يبكتها !!

١٣ً ــ ويبــدأ فصل جديد في الصفحة ٦٧ تحت عنوان « مبايعــة علي بالخلافة » فيه جديد ؟!! إنه منافس جديد يظهر على مسرح الأحداث ، إنــه محبٌ جديد في طريق أسماء ، ألا وهو الحسن بن علي رضي الله عنهما ، فأسماء الأسطورة أينما حلّت أو سارت ، تعلّق بها المحبون !!

١٤ً ــ وفي الصفحة ٧٢ ستبدأ أسماء تطالب بدم عثمان ، مع أنهــا في الصفحة ٨٢ : « فدنت من الفراش لترفع الغطاء إلى صدرها فرأت الحجاب في عنقها ورسم الصليب على معصمها » والحجاب كما قال جرجي : « من أحجبة النصارى » • هذه تطالب بدم عثمان ، وتسير إلى موقعة الجمل ، وتبني عريشاً قرب خيمة طلحة والزبير ، « وكانت أسماء تسمع حديثهم من وراء العريش ، فلما علمت بما أجمعوا عليه ، عَظُم الأمر عليها ، وتحقّقت أن الفتنة واقعة لا ريب فيها ، فحزّ ذلك في نفسها ، فاضطربت وخفق قلبها ، وثارت الحميّة في رأسها حتى كادت تهم بالنهوض والدخول على الجميع[٢] •• » •

---

(١) العثول من الرجال : الجافي الغليظ ، والعثول والعثوثل الكثير اللحم الرخو ، ورجل عثول أي عيي ثقيل مسترخ ، والعثول : الأحمق وجمعه عثل ، والعثول : الكثير شعر الجسد والرأس ، ولحيته عثولة : ضخمة •

★ لسان العرب ، الجزء : ١١ ، الصفحة : ٤٢٤ •

(٢) الصفحة : ٨٩ •

والحقيقة التاريخية تقول : إن علياً وطلحة والزبير اتفقوا على الصلح ، فإذا « بالطابور الخامس » وهم السبئية قد أجمعوا على إنشاب الحرب سراً ، وانسلوا وما يشعر بهم جيرانهم لإنشاب الحرب •

بات الجميع على الصلح وقال علي : « إنا وهم مسلمون » ، « يا أيها الناس املكوا أنفسكم وكفوا أيديكم وألسنتكم عن هؤلاء القوم ، فإنهم إخوانكم ، واصبروا على ما يأتيكم ، وإياكم أن تسبقونا ، فإن المخصوم غداً من خصم اليوم » لذلك بات الجميع على الصلح •

ولكن الفتنة مخطّطة •• سنذكر خلاصتها في نهاية بحثنا هذا •• فكيف عرفت أسماء القبطية أن الفتنة واقعة لا ريب فيها ؟!؟ •

١٥ً ــ في الصفحة ٩٠ تقول أسماء القبطيّة لمروان وهما في العراق ، وعليّ كما يقول جرجي في المدينة : « أما كفاك يا مروان ما أيقظت من الفتنة في المدينة، أما كفى أنك السبب في مقتل الخليفة ، حتى جئت تلقي الشقاق بين بقية الصحابة ، والله لولا حرمة أم المؤمنين لأرقت دمك بين يديها » •

« خذوني إلى المدينة ، احملوني إلى الإمام علي لأطلعه على ما يكيدون ، إنهم تواطؤوا على الطلب بدم عثمان ، ولو طلبوه من قاتله لعذرناهم ، ولكنهم يريدون علياً ، وأنا أعلم الناس ببراءته » ، قالت ذلك وبكت « دعوني أذهب بالخبر ، دعوني أسر إلى الجهاد دفاعاً عن المتهم زوراً » •

عليٌّ رضي الله عنه مع جنده في العراق ، فكيف يقول جرجي على لسان أسماء « خذوني إلى المدينة ، احملوني إلى الإمام علي » ؟!!

١٦ً ــ وفي الصفحة ٩٤ : أظهر جرجي اهتمام الحسن بن علي رضي الله عنهما بجمال أسماء فهي : « بارعة الجمال ، وفي وجهها مهابة يندر مثلها في النساء » •

ففي المواقف الحرجة في تاريخ الإسلام ، يُميّع جرجي الموقف ، بمواقف

عشقٍ ، ووصفِ جمالٍ ، وبأجسام بضة تحمل تمائم وصلباناً •• وقلوب تختلج بالغرام ، بل لواعج الغرام •

١٧ً ــ وفي الصفحة ٩٩ فصل عنوانه « الفتنة والحرب » أظهر جرجي فيه تنافس الناس على الخلافة ولو أبادوا الناس جميعهم ، وكأن الإيمان فُقِد من نفوسهم ، ومَنْ الذي ساءه ذلك ، إنها أسماء المتحرِّقة على إنهاء الخلاف •

ويَقول في هذا الفصل أيضاً على لسان عجوز تخاطب محمداً بن أبي بكر: « والله يا بني إني لم أشاهد في حياتي كلها ، لا في الجاهلية ولا في الإسلام ، فتاة ولا شاباً أثبت جأشاً من أسماء ، ولا أصبر على المكاره منها ، فقد كانت مع ضعفها وعلمها بالخطر الذي وقعت فيه مطمئنة لا يبدو على وجهها شيء من دلائل الخوف والاضطراب(١) •• » ، هذه هي أسماء الخيالية ، فأين منها بطولة سُميَّة وعمار وخبيب وبلال والحمزة •• هي أعظم ، أينما حلَّت هام شباب الإسلام بها ، وسجلت صوراً من الجرأة والبطولة !!؟!!

وتستمر صورة البطولة لأسماء القبطية ، وهي أينما كانت تسمع : « مابالك يا مليحة ؟ ألا تزالين تجافينني وأنت تعلمين أني أسير هواك(٢) !! » •

ولكنها مشغولة بالفتنة الكبرى ، وعزة نفسها تمنعها من الالتفات إلى الحب إلا لمحمد بن أبي بكر ، وهي في معارك مع علي رضي الله عنه : تهافتوا عليها بالرماح والحراب والسيوف •• فجرحت بيدها •• « فقط » لتقول : « لا بأس بي غير جرح خفيف في زندي أصابني وأنا أدافع هؤلاء اللئام ، ولولاه لقتلتهم جميعاً ، ولكن السيف سقط من يدي ، وعثرت بعقال الجمل ، فشدُّوا وثاقي(٣) » ، وتقول بعد أن أعجب محمد بن أبي بكر بغيرتها على الإمام علي

---

(١) صفحة : ٩٩ •
(٢) صفحة ١١٩ •
(٣) صفحة :١٢٤ •

وعلى الإسلام : « آليت لأنصرنّ الإمام علياً ما استطعت إلى ذلك سبيلاً » ، فهي جيش قائم بذاته !!

وفي دمشق تتحدث بجرأة في وجه معـــاوية ، فيتأثر من هيبتها وجمالهـــا وأنفتها •• ويلقي القبض عليهـــا بعد أن تكاثف عليهـــا « بضعة عشر »[1] من الرجال لشد وثاقها ، فصاحت : « تتجمهرون على فتاة وأنتم رجال ؟ ولا حاجة إلى شد الوثاق فإني لا أفر من بين أيديكم » •

وتصل أسماء السجن في فصل عنوانه : « أسماء في السجن » صفحة ١٥١، فيرى القارىء نفسه بشكل طبيعي أنه ضد المسلمين كافة ، وناقم على حالهم ، ما دامت البطلة الخيالية في السجن بحميتها وبطولتها وجرأتها •• بل وجمالهـــا النادر ؟!!

ثم يصوِّر جرجي سجنها : « سقف الحجرة واطىء ، تتصاعد منه رائحة الرطوبة والعفونة ، طحالب نبتت على جدرانها ، قعدت على حصيرٍ بالٍ •• طنين بعوض ، نقيق ضفادع •• خوفها من لسعة عقرب •• أو لذغة ثعبان على غرة •• وأرادت أن تسند ظهرها إلى الحائط فأحسَّت برطوبة فابتعدت »[2] •

ولتتم القصـــة الخيالية •• يجيء رجل « ما » ليخلصها ، فيصـــادف أن السجان قد نسي باب السجن دون أن يقفله •• وتخرج أسماء لتكون في كـــل مكان ، حيث تدور الأحداث ••• في دمشق ، في المدينة ، في مكة ، في الكوفة ، في القدس ، في أنطاكية ، في صفين ، وفي مكان التحكيم في مصر[3] •••

وتسير أسماء إلى صفين بلباس رجل ، لتدخل معسكر معاوية والحـــرب

(١) والبضع كما هو معروف من ٣ الى ٩ ، وعلى ذلك •• فالذين شدوا وثاقها حوالي ٣٠ الى ٩٠ شخصا !؟!

(٢) صفحة : ١٥١ •

(٣) صفحة : ١٦٥ •

محتدمة ، ولتظهر بطولات أعظم من الرجال الأبطال ، وإذا بها مع لجنة التحكيم مع القيادة العليا مباشرة .

فهي في الصفحة ١٧٠ مع المحكمين ، مع الطرفين في آن واحد ، مع معاوية في مجلسه الخاص ، ومع علي رضي الله عنه مباشرة ، تخاطبه بجرأة ، وهي في الوقت ذاته مع المحكمين في مجلسهم !!

وتعود بعد التحكيم إلى مصر وحدها ، لا تخاف أحداً ، ودون أن يشك في أمرها أحد ، لترى ــ حيث مسرح الأحداث ــ مقتل محمد بن أبي بكر .

وتنتهي الرواية ، بانهاء البطلة الخيالية ، بأن تحرق نفسها .. وتموت .

★ ★ ★

١٨

أمّا عن عثمان رضي الله عنه والفتنة الكبرى ..

فعثمان ما خالف عهداً ، ولا نكث عقداً ، ولا اقتحم مكروهاً ، ولا خالف سُنّة . وفي عهده عمّ الرفاهُ الدولةَ الإسلامية كلها .

قال الحسن البصري شهدتُ منادي عثمان ينادي يا أيها الناس اغدوا على أعطياتكم ، فيغدون ويأخذونها وافية ، يا أيها الناس اغدوا على أرزاقكم فيغدون ويأخذونها وافية ، حتى ــ والله ــ سمعته أذناي يقول : اغدوا على كسوتكم فيأخذون الحُلَل ، واغدوا على السمن والعسل ، قال الحسن : أرزاق دارّة ، وخير كثير ، وذات بَيْنٍ حسن ، ما على الأرض مؤمن يخاف مؤمناً إلا يودّه وينصره ويألفه .

وقال ابن سيرين وهو صنو الحسن البصري وزميله ، وهو أيضاً كان

معاصراً لعثمان رضي الله عنه : كثر المال في زمن عثمان حتى بيعت فرس بمائة ألف درهم ، ونخلة بألف درهم •

وسئل عبد الله بن عمر بن الخطاب عن علي وعثمان ، فقال للسائل : قبّحك الله ، تسألني عن رجلين كلاهما خير مني ، تريد أن أغض من أحدهما وأرفع من الآخر[1] ؟!

هذا •• ولم يسعَ عثمان إلى الخلافة ، ولا دعا إلى بيعة ، بل أتته منقادة على غير تشوّف منه إليها •• ولكن أهل الفتنة أخذوا عليه ـ كما ركّز جرجي زيدان ـ ايثاره ذوي قرابته كمعاوية ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة •••

والمعروف أن معاوية ولاّه عمر رضي الله عنه ، وجمع له الشامات كلها ، وأقرّه عثمان •

ومروان بن الحكم رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين ، روى عنه سهل بن سعد الساعدي وفقهاء الأمصـــار ، فكلهم على تعظيمه واعتبار خلافته •

وقيل لعثمان إنّك وليت الوليد لأنه أخوك لأمّك أروى بنت كريز بن ربيعة •• قال : بل لأنه ابن عمة رسول الله ﷺ أم حكيم •

والفتنة أمر مدبر مرسوم قامت به شخصية ذكية هي « عبد الله بن سبأ »، والتي لم يذكرها جرجي إلا مرّة واحدة صفحة ٣٤ فقط •

« إن يداً خفية حركت الفتنة ، وأثارت الثائرين على عثمان ، واستمرت في الفتنة من بعده ، يد •• كانت خلف الثائرين في تحريضهم كلما هدأت الأمور ، هذه اليد تغافل عنها جرجي ولا يروق له معرفتها •

---

(١) راجع « العواصم من القواصم » صفحة : ٥٢ وما بعدها • لمعرفة ما قيل اجحافا بحق عثمان والرد السليم على ما قيل •

إن الأسلوب الخبيث الذي اتبعه ابن سبأ كان رَفْعُ منزلة علي ، وجَعَلَ من عثمان مغتصباً ، ليوقع بين اثنين من الصحابة الكرام ، أحدهما يظهره مهضوم الحق وهو علي رضي الله عنه ، ثم حاول ابن سبأ أن يحرك الناس على أمرائهم ، فجعل الناس يثورون لأصغر الحوادث ، وحضّ أتباعه على إرسال كتب تحمل أخباراً سيئة مفجعة عن مصيرهم إلى بقية الأمصار ، ليخيَّل إلى كل مصر أن الأمصار الأخرى أسوأ حالاً من حالهم ، وتلقت المدينة كتب الأمصار جميعاً تخبر بسوء حالها ، كل ذلك من أتباع ابن سبأ .

وعثمان شعر بما يحاك في الأمصار ، وطلب من كل إنسان رفع ظلامته إليه في موسم الحج وبوجود عمال الأمصار ، وهذا نص كتاب عثمان إلى الأمصار :

* « أما بعد فإني آخذ العمال بموافاتي في كل موسم ، وقد سلَّطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلا يُرفع علي شيء ولا على أحد من عمالي إلاّ أعطيته ، وليس لي ولعيالي حق قبل الرعية إلا متروك لهم ، وقد رفع إليّ أهل المدينة أن أقواماً يُشْتَمون ، وآخرين يُضْرَبون ، فيامن ضُرِب سراً ، وشتم سراً ، من ادعى شيئاً من ذلك ، فليواف الموسم ، فليأخذ بحقه حيث كان ، مني أو من عمالي ، أو تصدّقوا فإن الله يجزي المتصدّقين » .

فلما قرىء في الأمصار ، بكى الناس ، ودعوا لعثمان بالخير ، ولكنهم قالوا : إن الأمة لتمخّض بِشَرٍّ .. لأن ابن سبأ مازال يغري قلوب الناس .

ونحن هنا لن نستطرد ونَسرُد أحداث الفتنة من وصول الثائرين إلى المدينة إلى مبايعة علي إلى الجمل وصفين وانتقال الحكم إلى بني أمية ، فهذا مافصلناه مع رأينا في كتابنا : « عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الاسلامي »، فصل « المنافقون ، الطابور الخامس » ، ونقول مؤكدين : ان ابن سبأ وزمرته « المنافقين » ، خذلوا علياً أيضاً في صفين ، لانهم كانوا يستعجلون الامور ، مستمرين في الفتنة، مهدّمين كل ظرف للصلح أو التقارب بين الفئتين المتحاربتين.

وجرجي لم يظهر هذه الحقائق • وكيف يظهرها وهو الصليبي في روحه ، يكفيه أن يعمل خياله في « أسماء القبطية » ليعظّم بطولاتها ومروءتها وشجاعتها، ويجعل الاحداث تنطلق من الاديرة ويصف الرهبان بشكل دقيق ،قال في وصف راهب : « عيناه تشعان قوة وصحة ، وقامته مستوية تدل على نشاط وهمم ، صب ماءً مقدساً رش وجه أسماء بالماء المقدس ، ودهنه بزيت من مصباح الدير المضيء أمام صورة المسيح » بركة صاحب الدير ، ما مَسَحَ مريضاً بهذا الماء المقدس إلا شفاه الله ، الشفاء التام ببركة الماء المقدس وزيت المصباح وبركة صاحب الدير ، البطريرك الانطاكي والاسرار المقدسة ، صور صلبان وقديسين، شعور الراهب المرهف من صوت صلاة المسلمين وقوله إن المسلمين في المسجد في عويل وبكاء •• كل هذه العبارات من الصفحات : ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ،١٤٨، ١٦٣ ، ١٦٤ على التوالي ••

من يذكر هذا •• سيغفل عن دور عظماء الاسلام كما جاء في كتب التاريخ المعتمدة الصحيحة ، ومانظن جرجي غافلا عنها ، ولكنه قصد الدس والتشويه•

وختام هذه الرواية نقول : لقد نسج جرجي رواية حول شخصية لا وجود لها على أرض الواقع أو على مسرح الحياة ، فكل ماقاله عنها خيال ، ولكنه أدخل خلال هذه البطولة الاسطورية وخزات وطعنات وتشويها على تاريخ الاسلام ، وعلى رجالاته الكرام •

١٧ رمضان

★ « أنا سعيد الأموي ، أعاهد قطام بنت شحنة على قتل علي بن أبي طالب مهراً لزواجي بها ، فإذا لم أفعل لم أكن كفؤاً لها ، وعَلَيَّ عهد الله وميثاقهُ » !!

جرجي

الروايات « الزيدانية » منحاها واحد ، وفكرتها واحدة •• وسنرى ذلك في هذه الرواية « ١٧ رمضان » التي قال عنها جرجي انها : « تتضمن تفصيل مقتل الإمام علي ، وبسط حال الخوارج ، وتتمة الفتنة التي حدثت بسبب مقتل الخليفة عثمان ، واستئثار بني أمية بالخلافة وخروجها من أهل البيت[١] » •

وأبطال الرواية هم :

علي بن أبي طالب	: رابع الخلفاء الراشدين
معاوية بن أبي سفيان	: أول ملوك الدولة الأموية[٢]
عمرو بن العاص	: والي مصر
قطام بنت عدي	: غادة الكوفة
العجوز لبابة	: مربية قطام
سعيد الأموي	: عاشق قطام[٣]

(١) هذا ما كتبه جرجي تحت العنوان في الصفحة الأولى •

(٢) هكذا أوردها جرجي ص : ٢ •

(٣) هكذا أوردها أيضاً ص : ٢ •

عبد الرحمن بن ملجم	: قاتل الإمام علي
الحسن والحسين	: ابنا علي
عمرو بن بكر	: المتآمر لقتل عمرو بن العاص
البرك بن عبد الله التميمي	: المتآمر لقتل معاوية

أما المراجع •• فقد استبعد جرجي منها كتب المستشرقين جميعها ، لقد جاءت كما يلي حرفياً :

*تاريخ ابن الاثير	* أُسد الغابة
* التقويم العام	* مروج الذهب للمسعودي
* تاريخ الخميس	* تاريخ المقريزي
* السيرة الحلبية	* تاريخ ابن دقماق

ولكنه يُظهِر دَجَلَه في ايراد هذه المراجع ، عندما نقلّب الرواية فلا نجد تخريجاً لقول ، أو سنداً لحادثة ، أو اشارة الى مرجع !!

البطلة هنا فتاة الكوفة الفتّانة ، التي ذاع صيتها في الآفاق ، وسمع بجمالها القاصي والداني ، حتى أصبحت فتنة الكوفيين ، ومضرب أمثالهم ، وشخصت اليها الابصار ، وحامت حولها القلوب ، فباتت معجبة بجمالها[١].

وهي ذات حيلة ودهاء ، تريد الانتقام لمقتل أبيها وأخيها اللذين قُتِلا في النِهْرَوان ، فهي من الخوارج ، وأخذ جرجي يركز فكرة الانتقام في الصفحات ٦ و ٧ و ١١ • وحبيبها الخيالي « سعيد الاموي » ، انه سعيد ، وأي سعيد هو؟ ابن مَن ؟ والى مَن ينتهي نسبه ؟ يكفيه قول جرجي « سعيد الاموي » !! مفتون بها « بسواد عينيها » ، وما هو مهرها ؟ انه قتل علي رضي الله عنه ،

(١) الصفحة : ٥ .

وتقول قطام لمربيتها : « ألم أقل لك لا تذكري الحب والغرام ، بل اذكري القتل والانتقام . اني لا أحب إلا الانتقام ، ومن ينتقم لي فهو الخليق بأن أعطيه قلبي »[١] .

فيسمع سعيد فيقول : « ألا ترضين ياقطام أن أكون أنا المنتقم لك ؟ »» .

وأخذت قطام تتفنن في أساليب الدلال والتمنع ، تشترط ألا زواج منها إلا بعد مقتل علي ، وبذلك سيَّرت أحداث التاريخ الاسلامي برأي جرجي ، وسعيد « الأموي » : « قلبه يخفق ، وركبتاه ترتعشان رعشة الحب والبغتة»[٢] .

ويقول جرجي في الصفحة ١٢ :

« فلما تحققت قطام وقوعه في الشرك ، أرادت أن تتمكن من عهده بصك تستكتبه إيّاه ، فأمسكت نقابها بيدها ، وتظاهرت باصلاحه ، فانكشف معصمها عن الاساور والدمالج ، وبانت عيناها وقد ذبلتا مـن البكاء فازدادتا جمالا ، ورنت إليه وتأملته كأنها تزن مقدرته على ما وعد به ، أما هو فلا تسل عن حاله بعد تلك النظرة ، فثارت عواطفه ، ونظر الى العجوز كأنه يحرّضها على التوسط في الامـر .. » .

صحا ــ سعيد ــ من سُكْرِهِ لحظة تبيَّن فيها خطر الامر ، على أنه مالبث أن عاد الى سكرة الغرام ، وقال لها : أتحسبين سكوتي ياقطام عن تردد أو خوف ؟ لا وحبك ، فما أنا ممّن يضنّون بالنفس في سبيل الحب ، فكتب لها عهداً على نفسه أن يقتل علياً ، فقالت له : لاتعرّض نفسك للقتل ياحبيبي ، مالنا وللصكوك ، ألا يكفينا القول ؟

فلما آنس سعيد هذا التقرّب وسمع قولها « حبيبي » ، أخذ يبثها حبه وغرامه وتفانيه في سبيلها ، وطابت له تلك الخلوة القصيرة ، وانتشى بمبادلتها

(١) الصفحة : ١١ .
(٢) الصفحة : ١١ .

ايّاه عواطف الحب ، واعتقد أنه أسعد انسان على وجه الارض بفوزه بحبها له.

وكتب سعيد ـ حسب مايدعي جرجي ـ مانتقله حرفياً بنقاطه وفراغاته:
« أنا سعيد بن ... الأموي ، أعاهد قطام بنت شحنة على قتل علي بن أبي طالب مهراً لزواجي بهـا ، فاذا لم أفعل لم أكن كفؤاً لها ، وعلي عهد الله وميثاقه » ، كتبه سعيد الأموي .

نلاحظ أن سعيداً مازال مجهولا : « سعيد بن ... الأموي » ، هكذا كتبه جرجي ، وما أبسط سعيد هذا ؟!! انه في منتهى السذاجة والحمق ، يقتل عليّاً ليتزوّج قطام ؟!! وشيعة علي يتركونه حراً طليقاً ينعم بجمالها ؟!!

ومن الصور المبتذلة يقول جرجي على لسان قطام : « أما وقد كتبته ـ أي العهد ـ فإني أحفظه عندي تذكاراً لهذه الليلة التي أعدها أحسن ليالي العمـر وأرجو أن نجتمع قريبا لنيل المرام ، قالت ذلك وفي صوتها رنة الدلال » .. فيهون على سعيد في سبيل « نيل المرام » كل عسير .

وبطل الرواية الخيالي ـ سعيد ـ شخصية قلقة مترددة ، فبعد عهده هذا .. عاهد جدّه الخيالي أيضاً (الصفحة ٢١) : « على حماية علي والدفاع عنه لانه مظلوم وأفضل من معاوية . » فمرة تراه ـ على رأي جرجي ـ يجعل من قتل علي رضي الله عنه فخراً ، يعلّل نفسه بما يناله من الفخر ، وتراه يسمع هاتفاً « الصفحة ٢٣ » يكرر قوله : إن علياً بريء وانما يتهمه أهـل المطامع وذوو الاغراض » .

وهكذا تسير وتمرّ حوادث الرواية . وقبل الدخول في طعناتها الرئيسة نقـــول :

في التاريخ الاسلامي شخصية حقيقية اسمها قَطام بنت الشجِنة التيميّة ،

كمـا في الطبـري ، أو قَطـام بنت علقمـة كمـا في الكـامل للمبـرد ، أو قَطـام بنت الأخضـر كمـا في شـرح ابن أبي الحـديد ، أمـا قطـام بنت شحنة بن عـدي فلا • قتـل أبوهـا وأخوهـا يوم النهروان فخطبهـا عبد الرحمن بن ملجم فاشترطت عليه قتل علي ، وكانت مؤمنـة طاهرة ورعة تعتكف للعبادة أياماً وأياماً[1] •• أما قطام العاشقة الغنوج ، فهذا ما لا نجده كما لا نجد في حياتها سعيداً أو غيره ، وليس في ترجمتها إلا ما جرى بينها وبين ابن ملجم فقط •

أما النقاط الرئيسة في هذه الرواية فهي :

١ً ــ سعيدٌ قطامُ أغلى عليه من علي رضي الله عنه ، فينقله جرجي بسرعة مذهلة بين العراق ومكة المكرمة ، ويجعل مكة المكرمة مكاناً للتآمر على علي، بل يجعل الكعبة المشرّفة مكان التآمر لقتل عليّ •

ولما يعود سعيد الى العراق يقول جرجي في الصفحة الاربعين : « غرامه بتلك الغانية الفتّانة غلب على كل عواطفه » ، « اختلج قلب سعيد اذ عادت اليه ذكرى لقياه قطام هناك ، وماتبادلاه من آيات الغرام » وأخذ يتكلم « بنغمة المحب المفتون » ، [الصفحة ٤١/٤٢] •

الفتاة ذكيّة تسيّر الاحداث بدهاء وشجاعة للانتقام ، « الانتقام » هذه الكلمة التي يكررها عشرات المرات ، وسعيد ومن حوله بسطاء سذّج أغبياء بلهاء ، تسيّرهم هذه الفتاة أينما شاءت ، ومن الكوفة الى الكعبة المشرفة ، الى الكوفة ثانية وثالثة ورابعـة •• الى الفسطاط في مصر ••• وهـذا شأن روايات جرجي •

٢ً ــ حماية المظلوم ، ورعاية الملهوف في الاديرة وعند الرهبان •• كما

(١) ولا ندري كيف اجتمع ورعها وايمانها مع اشتراطها قتل علي رضي الله عنه •

في الصفحات من ٥٨ الى ٦٦ • خارج الاديــرة والكنائس الفتــن والدسائس والمؤامرات والاغتيالات • مع صور من العشق والغرام المبتــذلين •• أما في الاديرة عند رهبان جرجي فالامن والامان ، والعدل والطمأنينة •• وكل ذلك في روايات تحمل اسم « تاريخ الاسلام » •

٣ً ــ يقول جرجي في الصفحة ٦٧ : « خليج أمير المؤمنين وقد حفره عمرو ابن العــاص لمــا فتح مصر منذ عشرين عاما لإرسال المؤونة فيــه الى الحجــاز تلافيــاً لمــا كانوا يخــافونه من القحط هنــاك ، وكــان قد حفره بإشــارة الخليفة عمر بن الخطاب لما كانت الخلافة في المدينة » •

والحقيقة التاريخية تقول : خليج أمير المؤمنين ، قناة قديمة تصل بين خليج السويس ونهر النيل ، واسمها القديم منذ أيام الفراعنة : « سيزوستريس » ، جدّدها المسلمون بتنظيفها واصلاحها للتجارة العامة ، ولاصلاح مشروع يجلب الخير العميم لمصر بإنعاش تجارتها وليس لنقل الخيرات الى الحجاز •• أما نقل الطعام الى الحجاز عام الرمادة ، فهذا أمر طبيعي يحدث عالمياً في كل عام بدافع انساني بين دول عبر القارات ، لا ضمن دولة واحــدة أميرها عمر بن الخطاب رضي الله عنه !!

٤ً ــ ومن صور الغرام في هذه الرواية « صفحة ٦٧ » :

ــ « فخفق قلبه وغلب الخجل عليه لما رآه من جرأتها وإقدامها ليلا ، وهي فتــاة لا يحملهــا على القدوم إلا السعي في انقــاذ عبد الله ، فحدثته نفسه أن يختبىء خجلا ••• » •

فلما رأى حميتها وشجاعتها « ازداد حباً لها وإعجاباً بشهامتها » ، ورأى نفسه أيضاً ضعيفاً بين يديها ولم يستطع مخالفتها ، وأخذ « يوبّخ نفسه لضعفه وتردّده » •

ــ وتقول العجوز لبابة « مربية قطام » : « أما تحريض المتآمر على القتل فهو أسهل ، ولا سيما إذا رأى هذا الوجه الجميل ، فيفتن به لا محالة ، فما عليك حينئذ إلا أن تعديه بالزواج ، وتجعلي قتل علي مهراً لك فما قولك » ؟

ــ ابتسمت له ابتسامة عوضت عليه كل شقائه • « صفحة : ٧٢ » •

ــ إنه مغرم بالحِسَان ويتفانى في سبيل مرضاتهن •

ــ عبد الرحمن بن ملجم من القراء المشهورين ، قرأ على معاذ بن جبل •• هذه صورة يذكرها جرجي ، أما الصورة الثانية فهي ــ وفي الصفحة ٧٦ ذاتها ــ: « وكان عبد الرحمن ينظر إليها من طرف خفي ، فافتتن بها أيما افتتان ، وكان قد سمع بجمالها فود أن يحوزها » •

ــ وقالت لبابة لعبد الرحمن : « أعلم أنك تحب الحِسَان وعندي واحدة منهن ليس أجمل منها في العراق ، فجاء •• ولمـا رآها تحقق ما سمعه فشغف بها » ، ومن عجيب أمر هذا الرجل أنه مع عظم ما ندب نفسه له من قتل أمير المؤمنين ، وقرب اليوم الموقوت ، لم يشغله ذلك عن مغازلة الحِسَان ، فلمـا سمع كلام قطام ورأى بكاءها قال : « وما الذي يحزن مولاتي ؟ ألا أستطيع تفريج كربتها ؟•• فتكرر أن مهرها قتل علي ثأراً لأبيها ولأخيها » ••

ــ وكرر جرجي عبارة « فرآها مستلقية على الفراش » في روايات تاريخ الإسلام !! « صفحة ١١٦ مثلاً » •

ــ وبعد نجاة أحد العشاق يقول جرجي : « وازداد شوقاً إلى رؤيتها ولو إلماماً ، فلما أشرفت على الغرفة وتبيَّن جمالها واعتدال قوامها انشرح قلبه وحمد الله على توفيقه بعد نجاته من الموت » فدخلت وحيَّت بما يجدر بمثلها في مثـل هـذا المقام ، وجلست على وسادة بجانب أبيها ــ أبي خولة ــ وكان عبـد الله يسارقها اللحظ ، فلا يزداد إلا إعجاباً بها ، ولم تمض تلك الليلة حتى علق بهـا

ووقعت من نفسه موقعاً سامياً لما آنسه من جمالها وذكائها وتعقلها في أثناء الحديث مما يندر مثله في أمثالها من ربات الخدور ، فخرج مأخوذاً بخولة » ..

ومما سبق يتضح ظهور عاشق جديد اسمه عبد الله ، وملكة جمال من ربات الخدور جديدة اسمها خولة .. والعشـاق هؤلاء يسيِّرون التاريخ الإسلامي حيثما شاؤوا ، وفي أي اتجاه أرادوا ؟!!

ــ اذكر لها أن شوقي إليها لا يوصف ، وأن ما عندي أضعاف ما عندها ، ولها مني عهد الله أن لن ينالها سواي .

٥ً ــ يذكر جرجي أن عَمْراً علم بالمؤامرة من امرأة اسمها خولة ، فأرسل خارجة بن أبي حبيبة مكانه إلى الصلاة ، ولو صحت روايته لوضعوا من يراقب القاتل ، فعندما يهم بفعلته قاموا له ؟!!

فالأمر كان قدراً ، بدليل ايراد جرجي عبارة لعمرو بن العاص يخاطب بها عمرو بن بكر بعـد قتله خارجة وهـو يظن أنـه عَمْرو : « أردتني وأراد الله خارجة » .

٦ً ــ وعمرو مشهور بدهائه ، مع ذلك يقول جرجي : « تصوَّر عبد الله جمالها وفصاحتها وحيلتها فعلم أنها غلبت عَمْراً على رأيـه » . وهكذا أراد جرجي : امرأة تغلب داهية العرب ، والمرأة خيالية طبعاً لا أصل لهـا على أرض الواقـع .

٧ً ــ وقال جرجي في الصفحة ١٣٠ ، عبارة بحق الإمام علي رضي الله عنه، لا تليق بمقامه الرفيع ومنزلته العالية ، قال على لسان أبي خوله : « فقد أرسلته من حبيبك ليساعده على انقاذ أبي تراب » ، وكتب بين قوسين بعد كلمـة أبي تراب مباشرة (علي بن أبي طالب) . رحم الله أبا الحسن وطيَّب مثواه .. ولعن

الله من يقلل من مكانته[١] •

٨ً ـ وفي الصفحة ١٠٨ وما بعدها تصبح قطام رحّالة لتكون حيث مسرح الأحداث ، لا لمشاهدة هذه الأحداث ، بل لتسييرها حسب أهوائهـا • فهي في دمشق تلتجىء إلى معاوية بعد مقتل الإمام علي ، فهي الآن عند منافسه ، لماذا ؟ لتسيير الأحداث كما تهوى • وبما أن قطام بنت الشجِنة التيمية لم تسافر إلى دمشق وتقابل معاوية ، فكل ما بني على ذلك محض خيال ، بل تشويه للروايـة التاريخيـة •

٩ً ـ وفي الصفحة ١٤٠/١٤١ يقتل جرجي قطام ، وتاريخياً قطام لم يذكر المؤرخون مصيرها ، وهذا يعني أنها انهت حياتها كأي فرد في الأمة ، ولو وجد في حياتها ما يخالف ذلك لذكر ، لأنه ملفت للنظر •

١٠ً ـ وفي نهاية الرواية ، موقف مؤلم ـ ولكنه خيالي طبعـاً لأن سعيداً يؤديه ـ ، هذا الموقف بعد قتل قطام ـ والذي لم يحدث ـ يقول جرجي على لسان سعيد الأموي : « مدّ سعيد يده إلى جبين جمجمة قطام ولمسه فإذا هـو بارد كالثلج ، فقال : آمنت بالله ، كأنّه سبحانه وتعالى قد كتب لي ألاّ ألمس هذا الجبين إلا وهو ميت • وقد كنت اشتاق لمسه منذ أعوام • ثم وجّه خطابه إلى الجمجمة وقال ملخّصاً الروايـة : أأنت قطام بنت شحنة ؟! وقـد جاز دهاؤك ومكرك على مئـات من الرجال ، أبهاتين العينين فتنت ابن ملجم كمـا فتنتني ؟ وبهاتين الشفتين أغريته بقتل الإمام كما فعلت معي ، إنك ستلاقينه عاجـلاً في مكان لا تخفى فيه خافية ، في مكان تنال فيه كل نفس جزاء ما قدّمت » •

---

(١) « ابن أبي تراب » قالها زياد بن أبيه عندما كان على الكوفة والبصرة سبة عندما أحضـر حجر بن عدي : (زياد لحجر : يا عدو الله ما تقول في أبي تراب ؟ قال ، ما أعرف أبا تراب ، قال : ما اعـرفك بـه ! قال : ما أعرفـه ، قال : أمـا تعـرف علي بن أبي طالب ؟ قال : بلى ، قال : فـذاك أبو تراب ، قال : كلا ، ذاك أبو الحسن والحسين) ، (الطبري ، ج : ٥ ، ص : ٢٢٦) ـ فلماذا نكرر [السـ]بة والشتيمة ؟!؟

ثم قطع الاذنين وفيهما الأقــراط ، وقص شعر الجمجمة وفيــه الضفائر الذهب ...

هذه الصورة الأليمة ، والوحشية ، تجعل القارىء يميل بطبعه إلى قطام ويتعاطف معها بكل شعوره ، وبالتالي ينقم على الطرف الآخر .. علي ، عثمان .. وهذا تخريب فكري في نفوس الناشئة والذين لا يعرفون أن كل ما كتبه جرجي يحذف منه ٩٩٪ . كما أسلفنا[١] !؟!

* * *

(١) رأي الدكتور أحمد الشرباصي في روايات جرجي زيدان :

« إن هذه الروايات لا تليق بالمسلم قراءتها ، لانها وضعت لتشويه التاريخ الإسلامي ، وتحريف حوادثه ، وقلب أموره رأساً على عقب ، والنيْل من جلاله وجماله ، وكأنما كانت هذه الروايات نتيجةً لخطة أريد بها مسخ التاريخ الإسلامي في أنظار أهليه ، حتى يفقدوا اعتزازهم بما فيه ، ولسنا نرسل القول ارسالاً بلا دليل ، بل بين أيدينا أدلة وبراهين . فهذه الروايات أولاً تشتمل في كثير من مواقفها على حوادث مصطنعة وأمور مختلفة ، ولعل صاحبها يوهم قراءة بأن هذا من قواعد الفن القصصي ، لجذب القراء وإثارة الاهتمام ؛ ولكن هذا إذا صح في القصة الخيالية ، فإنه لا يصح بحال من الاحوال في القصة التاريخية ، لأن التاريخ له حرمته وله مكانته ، وهو تراث السابقين للاحقين ، وصور الاجداد بين أيدي الاحفاد ، ولو فرضنا ووجدنا من يتجرأ باسم الفن ، ويبيح هذا الاختلاق ، في القصة التاريخية ، فإنه لا يجوز أن يكون في التاريخ الإسلامي ، لأن تاريخ المسلمين وثيق الصلة بعقائدهم ومبادئهم ، ومن هنا نراه يستظل بلون من الحرمة أو القداسة فيجب أن يكون بمأمن من تحريف المبطلين وتشويه المغرضين .

ومن مكايد هذه الروايات أنها تصبغ حوادث الابطال وأعمال الرجال بصبغة غرامية تتمثل في الهيام بالمرأة والخضوع لها والحرص عليها ، وكأن العظماء المسلمين في نظر هذا الكاتب لم يكونوا إلا مجانين تسيِّرهم العاطفة ، ويستبد بهم الهوى ، مع أننا حين نراجع تاريخ هؤلاء الابطال لا نجد في حياتهم متسعاً لغرام الرخيص والهوى العابث . فقد شغلهم القرآن والدين والكفاح في ميـادين الشهادة ، عن التفرغ لحياة اللهو واللعب ، وبذلك خلفوا وراءهم صفحات مشرفات من البطولة ، ولكن المؤلف أبى إلا أن يملأ حياة هؤلاء الغُر الميامين بالصبوات والصبابات ، فأبعد في الاختلاق والافتراء .

ونجد في هذه الروايات أن صاحبها يدس في كل واحدة منهـا راهباً من الرهبان ، يصوره بصورة بطولة ، ويظهره بمظهر البطل الذي يدافع عن الحريات ، أو يدعو إلى المكرمات ، أو يعاون في إتمـام الجلائل من الأعمال ، فإن لم يختلق راهباً اختلق ديراً يصوره على أنه معقل الجنود المسلمين الهاربين ، وحصن المجاهدين المطارَدين المضطَهدين ، وكأن المؤلف يهدف من وراء ذلك إلى أن يجعل لغير المسلمين دوراً في نصرة المجاهدين المسلمين ، أو معاونتهم في إتمام مهماتهم ، وأحيانا يسرف المؤلف في تشويهه ، فيرجع الفضل في فتح بعض الاقطار ، كالأندلس مثلاً ، إلى جهود غير المسلمين ومن لفَّ لفهم » .

[يسألونك في الدين والحياة ، ج : ٢ ، ص : ٤٨٤] .

غادة كربلاء

★ « وكان قد اسلم معظم الغساسنة على اثر الفتح ، إما فراراً من الجزية ، وإما تزلفاً إلى المسلمين » .

جرجي

تتابع هذه الرواية ما انتهت عنده الرواية السابقة « ١٧ رمضان » فهي تتابع ما جرى من أحـداث بعد مقتل علي رضي الله عنه ، وانتقال الحكم إلى الدولة الأمويّة .

وجرجي في هـذه الرواية كعادته فيما سبق من روايات ــ وكالتي سيأتي منها ــ جعل ملكة جماله في هذه الأحداث سلمى بنت حجر بن عدي « غـادة كربلاء » ، تتبادل الحب والهيام مع عبد الرحمن الكندي ابن عمهـا ، وينافس يزيدُ بنُ معاويـة « ثاني ملوك الأمويين كمـا يقول جرجي » عبدَ الرحمن ، ويشاركه في تعلقه وهيامه وحبه لسلمى ، ويسعى بهـا لنفسه بحكمه خليفـة المسلمين !!

أبطال الرواية كما في الصفحة الخامسة :

ــ الإمام الحسين	: ابن علي بن أبي طالب .
ــ يزيد بن معاوية	: ثاني ملوك الأمويين .
ــ حجر بن عدي الكندي	: من شيعة علي .
ــ غادة كربلاء	: سلمى بنت حجر بن عدي .
ــ عبد الرحمن الكندي	: ابن عم سلمى .

ـ عامر الكندي : كفيل سلمى .
ـ شمر بن ذي الجوشن : قاتل الحسين .
ـ عبيد الله بن زياد : ابن عم يزيد .
ـ مسلم بن عقيل : ابن عم الحسين .
ـ عبد الله بن الزبير : ابن الزبير بن العوام .
ـ زينب بنت علي : أخت الحسين .

* * *

سلمى : « فتاة في مقتبل العمر » ، وهي كما يقول جرجي في الصفحة ١٢ « عروس الرواية » ، رآها رئيس « دير خالد » : « فلم يلبث الرئيس عند النظر إليها أن أعجب بجمالها الذي لم يسبق أن رآه في فتاة قبلها طول عمره الذي قضاه في دمشق وضواحيها ، مع كثرة ما شهد من بنات الروم والعرب والنبط والسريان واليهود ، فلم تقع عيناه قبل تلك الساعة على فتاة في وجهها من الجمال والهيبة مثل ما في هذا الوجه ، وقد أدهشه منها بنوع خاص جمال عينيها ، وإن لم تكونا كبيرتين كعيني رفيقها الشاب ، ولكنهما كانتا حادتين ينبعث النور من بين أهدابهما مع لمعـان ، ولو أراد الرئيس الشيخ ـ شيخ الـدير ـ أن يعبّر عن جمالهـا ما استطاع ذلك بأوضح من قوله أنهما جذابتان لأن من يراهما لا يستطيع سوى الاستسلام لهما والرضوخ لسلطانهما ، وقد زادهما تأثيراً على القلوب ما فيهما من ملامح الصحة .

ولم يكن في وجه الفتاة بدانة ظاهرة ، ولكن وجهها كان ناضراً وفيه رونق ينطق بما وراء ذلك من الصحة .. وبخاصـة في تلك الساعة ، على أثر السفر الطويل ، وقد تورّدت وجنتاها حتى كاد الدم يقطر منهما ، والتفت الرئيس إلى بساطة ثوبها ، فَخُيِّل إليه أنها من الفقراء ، وقال في نفسه : إذا كان أبوها فقيراً بالمال ، فإنه غني بهذه الفتاة ، ولكنها لو حسرت أكمامها وأزاحت لثامها لبدا له

أنها ليست من الفقر في شيء ، ففي أذنيها أقراط من اللؤلؤ ، وفي معصميها أساور ودمالج من الذهب والفضة والعاج . ناهيك بما يراه حينئذ من جمال فمها ومافيه من المعاني التي تسلب القلوب ، مما يقصر القلم عن وصفه ، ويكلّ اللســان ، والجمال الذي يعبَّر عنه باللسان أو القلم ليس جمالاً ، وإنما هو صورة يمثلها الكاتب والمتكلِّم بألفاظه ، ولكن الجمال ما أعجزكَ وصفه ، وخانتك القريحة في التعبير عنه .. ذلك هو جمال « سلمى » عروس روايتنا .

وربما دلنا على بعض ما أحدثه من التأثير في قلوب الناظرين .. فقد كان في محيَّاها شيء لا يعبَّر عنه إلا بالسحر ، إذ لا يراها أحد إلا وينجذب نحوها ، ولا يكلمها بشر إلا ويشعر بسلطان لها عليه ، فلا يقوى على جدالها . فضلاً عما فطرت عليه من الذكاء وحدّة الذهن ، وأصالة الرأي ، مع ما يتجلَّى في وجهها من عزّة النفس والأنفة .. وهما زينة العذراء ، وسياج عفافها .

هذه « السَّلْمى » التي وصفها جرجي بما سبق ، وسينسج على جمالهـا وهيبتها .. روايته وقال عنها إنها بنت الصحابي الجليل «حُجْر بن عَدِيّ[1]» ، ليس لها وجود في مراجعنا العربية :

ــ أعلام النساء ، الجزء الثاني ، ومن الصفحة : ٢٣٩ إلى الصفحة : ٢٥٥ ذكر من اسمه سلمى ، فلم نعثر لها على اسم .

ــ الطبقات الكبرى لابن سعد ، الجزء السادس ، في الصفحة ٢١٧ ذكــر ترجمة « حُجر » وكيف استشهد في قرية « عذراء » قرب دمشق ، ولم يذكــر

(١) حُجْر بن عَدِي : ويسمى « حُجْر الخير » صحابي شجاع من المتقدمين ، وفد على رسول الله ﷺ ، وشهد القادسية ، ثم كان من أصحاب علي ، وشهد معه وقعتي الجمل وصفين ، وسكن الكوفة الى أن قدم زياد بن أبي سفيان والياً عليها ، فدعاه ابن زياد فجاءه ، فحذره زياد من الخروج على بني أمية ، فما لبث أن عرفت عنه الدعوة إلى مناوأتهم والاشتغال في السر بالقيام عليهم ، فجيء به الى دمشق ، فأمر معاوية بقتله ، فقتل في مرج عذراء (قرب دمشق) مع أصحاب له .

[الأعلام : ج : ٢ ، ص : ١٧٦] .

سلمى مطلقاً ، لأنه لا وجود لها في أحداث التاريخ الإسلامي •

ـ وفي تاريخ الطبري ، الجزء الخامس من الصفحة (٢٥٣) والى الصفحة (٢٧٠) خبر مقتل حُجْر وحياته ولا ذكر لسلمى مطلقاً •

ـ وفي الكامل في التاريخ ، الجزء الثـاني ، وفي الصفحة ٢٣٣ ذكر مقتل حُجْر ولا ذكر لسلمى في حياته مطلقاً •

ـ وفي البداية والنهاية ، الجزء الثامن ، وفي الصفحة ٤٩ ذكر مقتل حُجْر ، ولا ذكر لسلمى مطلقاً •

ـ وفي مروج الذهب ، الجزء الثالث ، وفي الصفحة ١٢ ذكر مقتل حُجْر ، ولا ذكر لسلمى مطلقاً[١] •

وهكذا •• كل ما قاله جرجي عنها ، وما بناه من أحداث هي سببها ، وافتتان سببه جمالها ، وانتقام سيَّرته •• هو محض خيـال • ومع ذلك نناقش بعضَ النقاط التي جاءت في رواية جرجي « غادة كربلاء » :

١ً ـ قال جرجي في الصفحة : ٧ : « اعتز الهاشميون بالإسلام » عند بدء الدعوة ، وانتشار الإسلام ، وهذا كلام فيه تخصيص ، والأعم الأصح : اعتـز العرب كلهم بالاسلام ، ثم اعتزت به الشعوب التي فتحت بلادها واعتنقته •

٢ً ـ وقال في الصفحة ذاتها « ٧ » : هاجر العباس إلى المدينة ، وهذا خطأ تاريخي ، العباس لم يهاجر ، وبقي في مكة حتى الفتح •

٣ً ـ وقال : لم ينل بنو أمية وسائر قريش من المناصب ما ناله المهاجرون الأولون ••

---

(١) وحتى « الاغاني » ـ ومع اننا لا ناخذ ما فيه تاريخيا ـ في بداية الجزء السادس عشر اخبـار حُجْر مطولا ولا ذكر لسلمى مطلقا •

وهـــذا القول لو ارتقى إلى مصـــاف الحقيقة لقلنا هـــذا أمر طبيعي ، إن المهاجرين الأولين الذين لاقوا مالاقوا من قريش ، أمر طبيعي أن يكون القـــادة منهم ، ومن ناحية ثانية : المهاجرون الأولون من أي القبائل هم ، أليســـوا من قريش ؟

علماً أن أبا بكر جعل منهم يزيد بن أبي سفيان قائداً على جيش إلى الشام، وجمع لأخيه معاوية ما كان تحت يده ، وزاد له « الشامات » كلها ، فكيف يصح قول جرجي : « لم ينل بنو أميـــة وسائر قريش من المناصب ما ناله المهاجرون الأولون .. » ؟.

٤ً ــ وفي الصفحة السابعة قال : أحزاب معاوية كلها من قريش ــ أهـــل البأس والشدّة ــ ثم قال : « وهم جند الشام » .. وهذا خطأ تاريخي أيضاً ، جند الشام ليسوا من قريش ، وان كان بعضهم بين هذا الجند .

٥ً ــ أحداث الرواية في الأديرة ومع القسس وعنـــد الراهبات ، كعادة جرجي في كل رواية :

ــ في الصفحة ٨ : في « دير خالد » حيث الأمان للخائف ، والمأوى للضائع، والملاذ للمظلوم ، والسلوى للحزين ..

ــ وفي الصفحتين ٨و٩ : وصف دقيق للدير ، حتى وصف جرجي زريبته ، وحتى بابها مما صُنع ، ووصف الناقوس ، والراهب رفيع الخُلُق « وكـــان معاوية يحترمه وربما مازحه !! » ، ولما تولى يزيد الخلافـــة ظل على احترامـــه وإكرامـــه .

ــ وفي الصفحة ١٦ : الدير مأوى المسافرين .

ــ وفي الصفحة ٢٠ : « فكان إذا جاء دمشق أقام فيهـــا مدة يتردّد على

الأديرة والكنائس يجالس أهل المعرفة !! فيقصون عليه شذرات من تاريخ اليونان وما يتعلّق به من تاريخ الشام وغيرها » ..

ــ وفي الصفحة ٣٠ : ضوضاء الرهبان في باحة الدير « إن أهل الـدير يستعدون لاستقبال يزيد بن معاوية » .

ــ وفي الصفحة : ٣١ : احترام رئيس الدير وتقديره وتبجيله .

ــ وكذلك في الصفحات : ٥٩/٦٩/٦٧/١٦٩/١٧٢ .. فصول في الأديرة والكنائس ..

ــ وفي الصفحة ١٧٢ : « ولكنني أطلب منك أن تتركي هذا العالم وتأتي معي إلى دير نقيم فيه لا نرى فيه الناس ولا نسمع بمظالمهم » .

ــ وفي الصفحة ١٧٣ فصل كامل بعنوان الرحيل إلى الدير ، يليه في الصفحة ١٧٦ فصل كامل آخر بعنوان « دير بحيراء » ...

ــ وفي الصفحة ١٧٧ : « وأتوا لسلمى بثوب مما تلبســه خادمات الدير فلبسته » .. سلمى خادمـــة في الدير ، وهي المسلمة الغيــورة على آل البيت رضي الله عنهم !! « ثم أرسل رئيس الدير سلمى إلى قيمة الدير فرحّبت بهـا وأعجبت بما شاهدته فيها من الجمال والهيبة .. فكل من يرى بطلته المسلمة .. خليفة ، فرد من الشعب رجل أم أمرأة .. يعجب بها ، وتبهره بنور وجهها » ..

فالأحداث في الأديرة ؟!!

٦ً ــ قال جرجي في الصفحتين : ١٢ و ٣٨ : « حمل النصارى على ضيافة المسلمين ثلاثة أيام يخدمونهم ويقدّمون لهم كل ما يحتاجون إليه » .. والحق.. كلمة مسلمين هنا تعني ألوفهم وملايينهم .. والصحيح المسافر منهم فقط .. والمسلمون بالمقابل يقدّمون الضيافة للمسافر المسيحي فهو من أهل ذمتنا .

٧ً ــ وفي الصفحة ٩٧ قال جرجي : وكان قد أسلم معظم الغساسنة على أثر الفتح ، إما فراراً من الجزية ، وإما تزلّفاً إلى المسلمين ..

وهذا يعني من ناحية أنه لم يسلم أحد عن قناعة وبحث .. وهذا يخـالف الواقع .. ومن ناحية ثانية الفرار من الجزية لا يعني عدم دفع المسلم مالاً للدولة للانتفاع بالمرافق العامة ولتجهيز الجيش ونحوه .. فالمسلم يدفع مال زكاته وهو أضعاف أضعاف ما يدفعه الذمي .. وهذه الجزية التي يدفعها الذمي في واقعهـا لا تساوي عشر ما كان يدفعه لدولة الروم في الشام ومصر .

٨ً ــ يقول جرجي في الصفحة ٢٧ على لسان حُجْر : « اتركوني أتوضأ وأصلي .. فاني ما توضأت ولا صليت » . والمراجع كلها تقول حرفياً : « فاني ما توضأت إلاّ صليت[١] » .. وشتان بين العبارتين .. فما قاله جرجي يجعل حُجْر كافراً « ما توضأ ولا صلى » ، والثانية هي حقيقة حُجْر .. منتهى الإيمان « ما توضأ إلا صلّى » !!

٩ً ــ ويقول جرجي بحق يزيد بن معـاوية بن أبي سفيان وحبّه لسلمى الخياليـة :

ــ « وقبل أن تستتر أطل يزيد ورآهـا ، فانذهل لجمالها ، ووقف مبهوتاً لا يدري ما يقول .. فغمرت يزيـد موجة من الاعجاب بجمالهـا وهيبتها ، فلم يستطع سوى الانعطاف إليها ، فقال لها بنغمة المحب المفتون : لا تحجبي وجهك عن خلق الله يا أجمل خلق الله »[٢] .

---

(١) راجع المصادر التي ذكرناها عندما تحدثنا عن التحقق من شخصية (سلمى) ، وذلك في الصفحة : ٩٣ و ٩٤ من هذا الكتاب .

ـ واهتمت العجوز بتسريح شعرها وتجميلها فمشطتها وهيأتها ـ ليزيد ـ، فأصبحت سلمى بعد أن تزينت أشبه بالملائكة منها بالآدميين ، حتى أن العجوز عشقتها وتعلّق قلبها بها • [الصفحة : ٧٢] •

ـ ومد يده ورفع الغطاء عن وجهها ، وقلبه يكاد يطفح سروراً للظفر بها ، لأنه لم يشهد من قبل مثل ما في وجهها من الجمال والهيبة ، وقد زاده ذلك التمنع رغبة فيها وشوقاً إليها • [الصفحة : ٧٤] •

ـ فمشى رويـداً رويـداً حتى أقبل على الفراش ، ودنا من رأسها وكان مغطّى إلى الجبهة فانحنى وأمسك الغطاء بأطراف أنامله ورفعه •• فظلت سلمى ساكنة وعيناها مغمضتان ، وقد أشرق محياها وزاده الدفء إشراقاً وإحمراراً ، فلم يتمالك يزيد عند رؤيتها من الإعجاب بذلك الجمال الجذّاب ، وحدثته نفسه أن يوقظها ويجلس إلى جانبها ، فأومأت العجوز إليه أن يتركها تنام ، وأمسكت بيـده ، فمشى إلى جانب النافذة وقالت له همساً : لا تتعجّل يا مولاي !! إن العروس عروسك تتمتع بها متى شئت ، دعها تهدأ الآن وتسترح ، فإذا جاء الليل كانت كما تبتغي ، فقال : ولكنني لا أريد منها إلا قبْلَة ، قالت : لم يكن ثمـة بأس من ذلك لولا خوفنا من أن تستيقظ ، فقال لها : هل أدخلتها الحمام ؟ قالت: نعم يا سيدي ، كن مطمئناً من هذا القبيل •• فقال لها : أعدي لنا ما نحتاج إليه من الشراب والطعام لنقضي الليلة في هذه المقصورة ، قالت : سمعاً وطاعة وسارت في أثره • [الصفحة ٧٨ و ٧٩] •

ـ فنهض يزيد والطنبور بيده وقد وقعت العمامة عن رأسه ووقف بالباب• [الصفحة : ٨٦] •

ـ أما يزيد •• فإن شغفه بسلمى وإعجابه بجمالها هوّنا عليه التماس العذر لها • [الصفحة : ٨٩] •

ـ فلما أقبل عليها ورأى جمالها قال في نفسه : حرام أن يمس هذا الجسم بسوء . [الصفحة : ٨٩] .

ـ أما يزيد فإنه شُغف بالفتاة . [الصفحة : ١٨٠] .

ـ فوافقها يزيد على رأيها ترغيباً لها في خدمته ، على أن ينال منها مرامه بعد سفره ، واكتفى بأن يتمتَّع برؤية ما ظهر من عينيها .. وهو يريد أن ينام ليبكِّر في الرحيل ويخلو بالفتاة في حوران . [الصفحة : ١٨٢] ...

هذا وغيره كثير بحق يزيد .. خمر ، طنبور ، خلاعة ، عشق ... فهل كان يزيد كذلك حقاً ؟! إنَّ قصة سلمى هذه وعلاقتها بيزيد تمثل افتراء أصحاب الأغراض بحق يزيد .. ويكفينا الخبر التالي بحق يزيد بن معاوية :

نقل الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (ج : ٨ ، ص : ٢٣٣) : أن عبد الله بن مطيع (داعية ابن الزبير) مشى في المدينة هو وأصحابه إلى محمد بن علي بن أبي طالب (المعروف بابن الحنفية) فأرادوه على خلع يزيد ، فأبى عليهم، فقال ابن مطيع : إن يزيد يشرب الخمر ، ويترك الصلاة ، ويتعدّى حكم الكتاب. فقال لهم : ما رأيت منه ما تذكرون ، وقد حضرته ، وأقمت عنده ، فرأيته مواظباً على الصلاة ، متحرّياً للخير ، يسأل عن الفقه ، ملازماً للسُّنَّة . قالوا : فإن ذلك كان منه تصنُّعاً لك ، فقال : وما الذي خاف مني أو رجا حتى يظهر إليّ الخشوع ؟ أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر ؟ فلئن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه ، وإن لم يكن أطلعكم فما يحلّ لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا . قالوا : إنه عندنا لحق وإن لم نكن رأيناه . فقال لهم : أبى الله ذلك على أهل الشهادة .فقال : « إلا من شهد بالحق وهم يعلمون » ، [الزخرف : ٨٦]. ولست من أمركم في شيء ..

هذه شهادة من رجل من آل البيت بحق يزيد .. فأين هذا من ذكر بعضهم

له في الخمر وأنواع الفجور ، والتي جاء جرجي ليفتري ويؤكدها ؟!؟

١٠ً ـ وفي الصفحة ١٠٦ ، يقول جرجي على لسان أبطاله : ابكِ الإسلام، واندب المسلمين لما أصابهم من الحيف وبخروج الخلافة إلى هؤلاء الظالمين •

لماذا كل هذا التهويل •• لم يضع الإسلام مطلقاً •• بل وصلت فتوحاته أيام الأمويين حتى قلب فرنسة ، وقلب الصين ، وأرمينيا ••

ـ وفي الصفحة : ١٥٨ ذكر جرجي أن جنـد الأمويين نزعوا ثياب نســاء آل البيت •• وهذا يتفتت له الصخر •• ومنعوا الحسين رضي الله عنه ماء الفرات الجاري الذي يشرب منـه اليهود والنصارى والمجوس وتتمرّغ فيـه خنازير السّواد وكلابه ، فهاهم قد صرعهم العطش •• ويتابع جرجي عن هذا معلّقاً في الصفحة ١٦٤ : « لم يحـدث أفظع منهـا في التاريخ » ، « لو علم القمر بموقع أشعته تلك الليلة لحبسها ليستر ذلك الجـرم الـذي لم يرتكب مثله في تاريخ العمران » ••

لقد استشهد الحسين رضي الله عنه لخذلان أهل العراق له •• قلوبهم مـع الحسين ، وسيوفهم مع بني أميـة ، أفئدتهم تهـوي إلى الحسين ، وسيوفهم مشهورة عليـه ••

وأُرْسِل رأسُ الحسين مع أهله الى يزيد ، وفيهم ابنـه علي طفل يكاد ببلغ مبلغ الرجال •• ولما رأى يزيد الحسين وأهله دمعت عيناه وقال : قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ، لعن الله ابن سميّة (عبيد الله بن زياد) أما والله لو أني صاحبه (يقصد الحسين) لعفوت عنه ، فرحم الله الحسين » •

ثم أدخل يزيد أهل بيت الحسين إلى حرمه ، فتلقاهم نساء يزيـد بالبكاء الشديد ، وأقاموا المناحة على الحسين ثلاثة أيام ، وكان يزيد لا يتناول طعاماً إلا دعا عليّ بن الحسين إليه ، ثم سرّح يزيدُ عليّ بن الحسين وأهله إلى المدينـة

المنورة ، وأمر بحسن خدمتهم في الطريق ، واستمر يوصي خيراً بعلي حتى آخر خلافته •

واستشهاد الحسين رضي الله عنه ومن معه من آل البيت ، عمل لا يقبله عاقل ، كما أن التهويل وتكريس الحقد والبغضاء فكرة لايقبل بها عاقل أيضاً لان الحادثة انتهت وحكم الطرفين انتهى ، فلنركّز على اللقاء والمحبة ووحدة الصف!!

١١ً ــ ويروي جــرجي كاذباً على لسان مسلم بن عقيـــل مخاطباً سلمى «الخيالية» بعد أن أعجب بحميتها : « والله لو أن في رجالنا عشرة مثلك ماأصابنا ما أصابنا » ، [الصفحة : ١٢٧] •• ويذكر جرجي : مسلم بن عقيل لم ير مثلها في حياته •• تناولت سلمى سيف الرجل المقتول ، وشدت وسطها وهجمت ، وهي تفضّل الموت •• وكان ابن عقيل ينظر إليها ويعجب بحميتها ويقول لها : ارجعي ياسلمى ، مالك ولهذا الخطر •• ولكن سلمى : هاجــت عواطفها ، واستماتت وصارت تحارب بسيفها وتناضل نضال الابطال •• [الصفحة: ١٣٠]•

فأبطال جرجي ــ سلمى وعبد الرحمن •• ــ دخلوا المعارك كلها ، وخاضوا الاخطار جميعها •• ولم يموتوا ، انهم أبطال لا يموتون ولو في الجحيم ، لأنهم خيال ، ولن يتم الدس والتشويه مع التشويق إلا ببقائهم أحياءً رغم الاخطار : « ونجونا نحن واختفينا في مكان ريثما نرى مايكون من أمر الحسين ورجاله»• وتتساءل •• أين رجال الحسين من آل البيت ليقول جرجي : « والله لو أنه في رجالنا عشرة مثلك ما أصابنا ما أصابنا » !• أليس في هذا القول تحقير لجنـــد آل البيت ؟!!

١٢ً ــ والحديث إن أردناه طويلا •• فالملاحظات بالمئات يمكن كشفها•• ولكننا كعادتنا نذكر أهمها ليتذوّق القارىء نهج جرجي ، ومن ذلك يلمس دسّه وتشويهه وما قدم من هدم في هذا التاريخ الاسلامي •

خاتمة الرواية « لقاء المحبين » حتماً، [الصفحة : ١٨٩] : « ونظـر اليها عبد الرحمن نظرة المحب المفتون ، وقال : لا أدري كيف أبدي لك حبّي ؟ وقد أحرزتِ أشرف خلال النساء ، وأندر خلال الرجال ، فجمعت بين الجمال والوقار والحكمة والعقل والشجاعة •• وحسبك أنك قتلت ذلك الدعيّ ــ يعنـي يزيداً ــ وأنقذت المسلمين من ظلمه ، وانتقمت لأبيك انتقاماً عجزنا كلنا عنه » [الصفحة ١٠٩]

ماهذا التزوير •• « وحسبك أنك قتلت ذلك الدعي »••

والحقيقة التاريخية تقول : ان يزيداً توفي سنة ٦٤ هـ/٦٨٣ م وفاة طبيعية، لم يقتله أحد ••

ويخطىء جرجي أيضاً حين يقول في الصفحة : ١٩٠ : « ولكني سمعـت بموت يزيد على حدود حوران » • قال هذا •• على لسان رسول أوفده جرجي الى بصرى ••

والحقيقة التاريخية تقول : [الطبري ج : ٥ ص : ٤٩٩] : « وكانت وفاته ــ وفاة يزيد ــ بقرية من قرى حمص يقال لها حُوّارين من أرض الشام ، لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة أربع وستين،وهو ابن ثمان وثلاثين سنة••»•

كل ما سبق لاغرابة فيه مادام جرجي يكتب التاريخ الاسلامي بشخصيات خيالية أسطورية يفتري على ألسنتها ما يشاء •• ويدس ما يشاء •• حتى أنه يدري مايجول في خواطر الشخصيات :

ــ وسمع هاتفاً [الصفحة : ٢٨] •

ــ قال في نفسه •• [الصفحة : ٨٩] •

ــ وكأنه يقول : •• [الصفحة ١٤٥]•

ـ تصوّرت .. [الصفحة ١٤٨] .

ـ وقالت في نفسها .. [الصفحة ١٥٨] .

ـ حدثتها نفسها .. [الصفحة ١٥٧/١٥٩] .

ـ تخيّلت .. [الصفحة : ١٥٩] .

ـ ويكتب الخواطر في النفس .. [الصفحة : ١٧٠] .

أبمثل هذا تكتب الرواية التاريخية ؟!؟

وبالتالي .. يا عرب : أبمثل هذا يسجّل تاريخكم ؟!!

الحجاج بن يوسف

★ عبد الله بن الزبير
« ملحد » !؟!

جرجي •

يذكر جرجي أن هذه الرواية : « تتضمَّن حصار مكة على عهد عبد الله ابن الزبير الى فتحها ، ومقتله وخلوص الخلافة لعبد الملك بن مروان ، مع مايتخلـَّل ذلك من وصف مكة والمدينة » ، [الصفحة : ١] •

وأبطال هذه الرواية كما يقول جرجي في الصفحة الثانية :

* عبد الله بن الزبير	: ابن الزبير بن العوام
* عبد الملك بن مروان	: أحد ملوك بني أمية
* الحجاج بن يوسف الثقفي	: عامل عبد الملك على العراق
* سكينة بنت الحسين	: بنت الحسين بن علي
* ليلى الاخيلية	: الشاعرة المشهورة
* عـزة الميلاء	: زعيمة الغناء بالمدينة
* سميَّة بنت عرفجة الثقفي	: من فتيات المدينة
* حسن (خطيب سمية)	: من أهل العراق
* محمد بن الحنفية	: أخو الحسين بن علي
* عبد الله بن صفوان	: من أتباع ابن الزبير

والرواية كلها خلاصتها حب سميَّة لحسن ، ينافسه الحجاج بن يوسف في حب سميَّة التي رفضت الحجاج •• والنتيجة •• الحجاز كلها بمن فيها أقل شأناً من سمية •• بل أحداث الدولة الاسلامية تسيِّرها سميَّة لتصل الى حبيبها: « إني لا أريد غير حسن ، حسن خطيبي هو وحــده حبيبي حياً أو ميتاً » ، [الصفحة : ٧١] • وحســن يقول : « فإما أن أنقذها أو أموت في سبيلها »، [الصفحة : ١٠٥] ••

ولنعد الى هذين البطلين :

أ ــ سمية بنت عرفجة الثقفي : لا أصل لها في « الأعلام » جـ ٣ ، ص : ٢٠٥ ولا وجود لها في « أعلام النساء » ، جـ : ٢ ، ص ٢٦١ •

ب ــ وحسن : شخصية خيالية لا وجود له على مسرح الحياة مطلقاً • هذان نسجت رواية جرجي عليهما • فبالتالي كل ما قاله عنهما ، أو بلسانهما •• وما ربط بهما من أحداث ثورة ابن الزبير لا يمت الى الحقيقة التاريخية بصلة•

ومع ذلك نورد هذه الملاحظات حول رواية جرجي « الحجاج بن يوسف »:

١ ً ــ جعل من أبطال روايته التي تحمل « تاريخ الاسلام » عَزَّة الميلاء ، وقال عنها : وكانت جميلة الوجه ، ظريفة اللسان ، كريمة الخلق ، سخيَّة النفس، لايقدم قادم الى المدينة إلا التمس أن يراها ويسمع غناءها •• وكان العرب يومئذ لا يعدّون الغناء من الصنائع اللائقة بأهل الشرف ، على أن عَزَّة كانت مع ذلك ذات دين حسن ، وهيبة ووقار ، اذا جلست للغناء في حفل عام ، أنصت لها الحاضرون وكأن الطير على رؤوسهم •• » [الصفحة : ٥]•

هذا الثناء على عَزَّة الميلاء •• قاله عنها طُوَيس المغني(١) ، فهي شهادة

(١) وهو « عيسى بن عبد الله ، أبو عبد المنعم : مولى بني مخزوم ، أوّل من غنى بالمدينة غناء

مغني معجب بمغنية ، وأورد هذه الشهادة بحقها صاحب « الاغاني » [في الجزء ١٦ ، صفحة ١٣ ــ طبعة بولاق] ، فقال :

« أقدم من غنى غناءً موقّعاً في الحجاز ، كانت تضرب بالعيدان والمعازف، اقامتها بالمدينة ، وهي مولاة للانصار ، وكانت وافرة السمن ، جميلة الوجه ، لقّبت بالميلاء لتمايلها في مشيتها •• قال طويس : هي سيدة من غنى من النساء، مع جمال بارع ، وخلق كريم ، واسلام لايشوبه دنس ، تأمر بالخير وهي من أهله، وتنهي عن السوء وهي مجانبة له[1] » •

فشهادة طويس هذه لم يقلها غيره ، ولاندري ما مقدار صحتها ؟!!

وقول جرجي : « لايقدم قادم الى المدينة إلا التمس أن يراها ويسمع غناءها » • هذا يشمل جميع الحجيج الذين يزورون المدينة المنورة في حجهم ، أي زائرو رسول الله ﷺ •• فهل هذا صحيح ؟ هل صحيح أن الصالحين المؤمنين ، والاولياء المحبين لرسول الله •• على مرّ حياة عَزّة ••• ما أمّوا المدينة إلا التمسوا أن يروها ، وأن يسمعوا غناءها ؟!!

وقول جرجي: «اذا جلست للغناء في حفل عام ، أنصت لها الحاضرون وكأن الطير على رؤوسهم •• » • وصاحب « الاغاني » لم يذكر مطلقاً أنها غنت بحفل عام كأنها كوكب الشرق أم كلثوم •• بل كان يزورها عمر بن أبي ربيعة ؛ وطويس •• أناس من طبيعتها •• يزورونها في دارها ويسمعون منها •• «وكأن الطير على رؤوسهم » •• وهؤلاء معظمهم من« المخنثين » كما يذكر جرجي نفسه

=

يدخل في الايقاع ، كان ظريفا عالما بتاريخ المدينة وأنساب أهلها ، يجيد النقر على الدف ، وهو من أشهر المغنين والعارفين بصناعة الغناء في صدر الاسلام ، وفيه المثل : « أشأم من طويس » لأنه ولد يوم وفاة النبي ﷺ ، وفطم يوم مات أبو بكر ، وختن يوم قتل عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وولد له يوم قتل علي ، فتشاءموا به •
« الأعلام ، ج : ٥ ، ص : ٢٨٩ »

(١) وردت ترجمتها نقلا عن الأغاني في « الاعلام » ج : ٥ ، ص : ٢٣ •

في الصفحة الثامنة•• وهذه صورة طيبة رائعة للمجتمع في صدر الاسلام ، أخذنا جزئية ضيقة وعممناها ؟!!

٢ً ـ وفي الصفحة ١٨ بدل زيارة مقام الرسول الاعظم ﷺ ، وذكر الفيوضات والانوار والاحوال الراقية في حضرته ﷺ ، ركز جرجي في الفصول الاولى على المخنثين والمغنيات في المدينة المنورة ، ثم قال على لسان حسن بعد أن جاء عزّة الميلاء : « اني أحب فتاة من أهل المدينة ، ولكنني لا أعرف منزلها ولا أدري أمقيمة هي هنا أم سافرت الى بلد آخر ، قالت ـ عزّة ـ : ما اسمها؟ قال : اسمها سميّة بنت عرفجة الثقفي » •

ـ واشتد هيام حسن بسميّة « وخفق قلبه وهو يفكر في لقياها ، وشقّ عليه أنه لا يستطيع مخاطبتها أمام أبيها لكي يبثها شوقه وهيامه ••• » ، [الصفحة : ٢٠] •

ـ ودخل حسن الى دار عشيقته سميّة دون استئذان ، لأن الشوق أعمى بصيرته ، فوقف مبهوتاً وقلبه يخفق ، والشوق يدفعه الى رؤيتها•••

كيف لا وسمية يتحدث بجمالها أهل المدينة ؟! وكان أبوها يريد أن يتّجر بذلك الجمال فيزوجها بحاكم أو أمير فيكسب بزواجها منصباً أو مالاً، [الصفحة : ٢٨] •

ـ ويقول جرجي في الصفحة : ٣٠ ، عن سميّة : « فنهضت ومشت وهي صامتة تمسح عينيها بكمها حتى أتت حجرتها فدخلت وأقفلت الباب ثم استلقت على فراشها وقد تمثل لها عظم الارتباك المحيط بها والخطر الذي يهدّد خطيبها، فأظلمت الدنيا في عينيها وأطلقت لدمعها العنان ، ثم استرجعت رشدها وفكّرت في أمرها وأمر أبيها وما تعرضت له بسبب حبها لحسن ، فجعلت تناجي نفسها قائلة : كيف تعلقت بهذا الرجل الغريب وفي تعلّقي به خطر على حياتي وحياته ؟•

ماذا يربطني به ؟ الحب ؟ وما معنى الحب ؟ ان هذا الحب سبب عذابي وعذاب أبي وعذاب حبيبي ، لا ، الحب عذابه عذب . آه ما أحلى الحب وما أشرف عواطف المحبين .. كيف يعيش الناس بدون الحب وما الفائدة من الحياة بلا محبة ؟ اني لا أرى في العيش لذة إلا حين أفكر في حسن . آه ما ألطف هذا الاسم ، ولكن كثيرا ما كنت أسمعه قبل أن أعرف الحب فلا ألتذ لفظه كما ألتذ الآن ، فأنا انما أتلذذ بالحب ، آه ما أحلاه وما أحلى لفظه بفمي وذكره بفكري، وما أحلى صورته في عيني !..

* ومن ألفاظ الغرام والصور المضحكة في رواية تحمل عنوان « روايات تاريخ الاسلام » :

ـ سمية مشهورة بجمالها وتعقلها ولطفها .. [الصفحة : ٣٣] .

ـ سكينة بنت الحسين اتخذت أشعب الطماع مضحكاً لها..[الصفحة٣٤].

ـ أمرته ـ أمرت أشعباً ـ سكينة لذنب ارتكبه بين يديها أن يقعد على بيض حتى يفقس وقد مضى عليه أيام وهو على هذا الحال ، [الصفحة : ٣٥].

ـ حضن بيضاً مرّة حتى فقّس وخرجت فراريجه فملأت الدار وهي تسميها « بنات أشعب » ، [الصفحة : ٣٧].

ـ فتقطع قلب حسن ، ومدّ يده فأمسك أناملها ، وهي أول مرّة قبض فيها على تلك الانامل ، فأحسّ برعشة تملّكته ، وقال لها : ماذا ؟ قولي ياسميّة، يامالكة قلبي ، هل تخافين عليّ أحداً في هذه المدينة أيضاً ؟ إنك مادمت لي لاتحبين سواي لستُ أبالي بعد ذلك اذا كان أهل الارض كلهم أعدائي ، [الصفحة : ٤٢] .

ـ ممّن تخافين عليّ ؟! فأريك دمه مسفوكاً ولو كان حوله جيش جرار قولي .. [الصفحة : ٤٣] .

ـ وعند لقاء الحبيبين : وكان قلب حسن في أثناء ذلك يضـرب ضربات سريعة مخافة أن يرى من الحبيبين ما يخجله أو يهيج غيرته ، وملتقى الحبيبين على هذه الصورة تميل النفس الى رؤيته ولاسيما عند أهل الغرام ، فلا عجب اذا اختلج قلب حسن واصطكت ركبتاه واقشعر بدنه .. [الصفحة : ٤٩].

ـ قال جرجي على لسان بطله الخيالي حسن : « فإما أن أنقذها أو أموت في سبيلها » ، [الصفحة : ١٠٥] .

ـ سمية لحسن : « أنت هو منقذي من أحزاني ومتاعبي ، أنت وحدك معيني على قهر ذلك العاتي وانقاذي منه » ، [الصفحة : ١٣٢] .

ـ « فثارت الحمية في رأس حسن ، وهان عليـه لقاء الالوف تفانياً في الدفاع عنها ، فقال : لاعاش من يمسّك بسوء وأنا حي » ، [الصفحة : ١٤١].

ـ وبينما حسن وسمية سابحان في ملكوت المناجاة .. [الصفحة ١٤٢].

ـ إنني ذهبت شهيداً في سبيل هواك .. [الصفحة : ١٤٣] .

ـ حبيبي .. روحي .. منيتي .. ماذا أصابك ؟ تجرّعت السم يأساً من حياتي ، إني حي ياسمية،سميةإما أن تحيي مثلي أو أموت مثلك [الصفحة١٥٢] .

ـ أقسم لها بحبها .. [الصفحة : ١٥٣] .

ـ فثبتت بصرها في حسن وثبت هو بصره فيها واكتفيا بتفاهم اللواحظ[1]، [الصفحة ١٥٤] .

على هذا المنوال فصول كاملة في روايات تاريخ الاسلام ، فأين التاريخ؟ وأين الاسلام ؟ .

(١) من العبارات التي يكررها جرجي : خفقان القلب (ص : ١٤١) ، اصطكت ركبتاه (ص : ١٤١ ، ١٦١) ، ارتعدت فرائصه (ص : ١٤١) ، اقعشر بدنه (ص : ١٤١) ، ولواعج الغرام في كـل رواية .. وكل ذلك يحمل اسم « روايات تاريخ الاسلام » !!

٣ً ــ قال عن الحسين رضي الله عنه «المقتول ظلماً» وقال على لسان حسن: « كنت من التوابين الذين ندموا على تخلفهم عن الحسين بن علي ، حتى قتل ظلماً في سهل كربلاء » ، [الصفحة : ٥٨].

اثارة الفتنة من جديد ، لترسيخ الخلاف ، ولتعميق الهوة لصالح من ؟

٤ً ــ « لقد مللنا المدينة وأسواقها ونخيلها .. » ، [الصفحة : ٦٤].

غريب .. ماسمعنا من انسان من أهلها أنه ملّها ، وما سمعنا من زائر أنه ملّها وفيها بركة رسول الله ﷺ .. وما سمعنا من جرجي أن أحد أبطاله ملّ الاقامة في دير بين جدران أربعة ، بل سمعناه يؤكد أن سلمى في الرواية السابقة فرحت بالدير وأعجبت بما شاهدته فيه ، وأرادت الحياة فيه للابتعاد عن المظالم، حيث الهناءة والطمأنينة في الاديرة ؟!؟

٥ً ــ جعل جرجي من أبطاله أشباحاً يتنقلون دون رقيب من معسكر ابن الزبير الى معسكر الحجاج . وما ذلك إلا ليسيِّروا الاحداث كيفما شاؤوا ؟!!

٦ً ــ كما وصف جرجي عبد الله بن الزبير .. البطل المسلم الذي أمضى شبابه في الجهاد في سبيل الله .. وانتصر في شمال افريقية ، والمشهور في ايمانه العميق العميق ، بكلمة « ملحد » ، [الصفحة : ٩٢] . وهذه الكلمة غنية عن التعليق بحق بطل مسلم مجاهد.

٧ً ــ قال جرجي ان عبدالملك قال للقرآن الكريم «هذا فراق بيني وبينك».

وجرجي في كتابه « تاريخ التمدن الإسلامي » ، [ج : ٤ ، ص : ٧٨/٧٩] يقول في هذا الصدد أيضاً :

« أما عبد الملك فكان يرى الشدّة ويجاهر بطلب التغلب بالقسوة والعنف ولو خالف الدين ، لانه صرح باستهانة الدين منذ ولي الخلافة .. ذكروا أنه لما

جاؤوه بخبر الخلافة كان قاعداً والمصحف في حجره فأطبقه وقال : هذا آخر العهد بك ، أو : « هذا فراق بيني وبينك » ، فلا غرو بعد ذلك اذا أباح لعامله الحجاج أن يضرب الكعبة بالمنجنيق ، وأن يقتل ابن الزبير ويحتزّ رأسه بيده داخل مسجد الكعبة ، وظلوا يقتلون الناس فيها ثلاثاً وهدموا الكعبة وهي بيت الله عندهم وأوقدوا النيران بين أحجارها وأستارها » •

والحقيقة التاريخية تقول :

أ ـ حاصر الحجاج الكعبة لأن ابن الزبير احتمى بها والتجأ اليها بعد أن ترك المدينة المنورة فلكون ابن الزبير لائذاً بالكعبة المشرفة اضطر الى نصب المنجنيق مع تحرّز عن رمي الكعبة ، فحوّل وجهة المنجنيق الى الزيادة التي زادها ابن الزبير فيها •• (انظر كيف غير المؤلف مجرى الحكاية فصدّر الباب بالاستهانة بالقرآن والحرمين)[1] •

ب ـ أما أن عبد الملك قال للقرآن الشريف : « هذا فراق بيني وبينك »، فحقيقته أن عبد الملك كان قبل الخلافة ناسكاً منقطعاً الى العبادة لايشتغل بشيء من الدنيا ، قال نافع : مارأيت في المدينة أشد نسكاً وعبادة من عبد الملك ، ولمّا سألوا ابن عمر الى من نرجع في الفتوى بعدك ؟ قال : « ولد لمروان » ، وكان يقول ابن الزناد : الفقهاء في المدينة سبعة أحدهم عبد الملك ، وقال الإمام الشعبي ما جالست أحداً إلا وجدت عليه الفضل إلا عبد الملك بن مروان [السيوطي في تاريخه للخلفاء] ، فلما جاءته الخلافة وهو يقرأ القرآن الكريم تصوّر خطورة الامر وأن مثل هذا العبء لايمكن أن يحمله إلا المنقطع إليه، فقال تحسّراً : هذا آخر العهد بك ، أي الآن لايمكن الانقطاع الى العبادة وقراءة

(١) راجع كتاب « انتقاد كتاب تاريخ التمدن الاسلامي » للعلامة الشيخ شبلي النعماني ، طبعة المنار بمصر سنة ١٣٣٠ هـ ، وهو في دار الكتب « الظاهرية » بدمشق تحت رقم : هـ/٦١٩ ، والقول في الصفحة : ١٤ •

القرآن الكريم كما كان دأبي أولا ، وليس هذا على سبيل الاستهانة بالدين مطلقاً . والتاريخ يشهد اشتغال عبد الملك بالفرائض والسُّنن فيما بعد ، فهو يصوم ويصلي ويحج ، وهو الذي حج بالناس سنة ٧٥ هـ ، وهو الذي كسا الكعبة الديباج ، فهل هذا صنيع من يريد الاستهانة بالحرم ؟!؟

جـ ـ وقال جرجي « ويحتز رأسه بيده داخل مسجد الكعبة » ، هـذا الكلام غير موجود لا في الطبري ولاعند ابن الاثير .. بل ذكر الطبري أن عبد الله بن الزبير أصيب في الحجون وقتل هناك ، وما احتز رأسه داخل الكعبة.

د ـ وقال جرجي : « وهدّموا الكعبة » ، والواقع أن الحجارة نالت الزيادة التي زادها ابن الزبير ، ولما كانت متصلة بالكعبة نالت الاحجار من الكعبة،ولكن كان أول ما فعله الحجاج بعدما استتب القتال أمره بكنس المسجد الحرام من الحجارة والدم كما نصّ عليه ابن الاثير ، فهل كنس المسجد الحرام من الحجارة والدم وهدم الكعبة شيء واحد ؟!!

٨ً ـ ويذكر جرجي في الصفحة : ١٢٣ ، أن الحجاج قتل ١٢٠ر٠٠٠ ، ووجدوا في السجون ٣٣ر٠٠٠ بعد موته.

وجرجي يركّز على « جور بني أمية » : « حتى في أيام معاوية فانه أرسل بسر بن أرطأة ، وأرسل معه جيشاً ويقال انه ـ أي معاوية ـ أوصاهم أن يسيروا في الارض ويقتلوا كل من وجدوه من شيعة علي ولايكفّوا أيديهم عن النساء والصبيان » ، [تاريخ التمدن الاسلامي ، جـ : ٤ ص : ٨٣].

وعاد جرجي لما رأى أن المصادر التاريخية الموثوق بها لايوجد فيها مايوافق هواه جنح الى الاغاني ونقل أمر معاوية بقتل النساء والصبيان ، ثم اعتذر عن معاوية بأن المظنون خلاف ذلك لحلمه ودهائه .. ويكفينا القول ان الاغاني من الكتب التي لايؤخذ بها ولا يلتفت إليها مطلقاً من الناحية التاريخية ، وان كنا

لا ننزه بسر من القتل والسفك ، ولا ننزه أبا مسلم الخراساني الذي قتل ما يزيد عن ستمائة ألف وهذا باعتراف جرجي في [ج : ٢ ، ص : ١١٢] فينتحل لذلك عذراً ويحسبه من طبيعة السياسة ، فلا عذر لهذا ولا لذاك •

وركّز أيضا على ما أسماه « بجور العمال » : يقول جرجي عن عمال بني أمية : « واذا أتى أحدهم بالدراهم ليؤديها في خَراجه يقتطع الجابي منها طائفة ، ويقول : هذا رواجها وصرفها » [تاريخ التمدن الاسلامي ، ج : ٢ ، ص : ٢٢] ، واستند في الهامش على كتاب الخراج لأبي يوسف في الصفحة٦٢ •

يقول العلاّمة شبلي النعماني [رئيس جمعية ندوة العلماء في الهند] مخاطباً جرجي :

« أيها المؤلف! أليس لك رادع من ديانتك؟ أتجترىء على مثل هذا الكذب الظاهر ، والمين الفاحش جهرة ؟ فإن القاضي أبو يوسف ماتكلم في شأن عمال بني أمية ببنت شفة ، وانما ذكر ذلك تحذيراً ونصيحة لهارون الرشيد من عماله واساءتهم العمل في جباية الخراج • الله أكبر ! هل سمع أحد بأعظم من هذا التدليس والتلبيس ؟ يحذر القاضي أبو يوسف الرشيدَ الخليفة المسلم من جور أحد من العمال ، فيأخذ جرجي أقواله وينقلها على عمال بني أمية ؟!! ويستمر في كذبه في أمور كثيرة اكتفينا منها بما سبق[1] » •

ومما يذكر هنا ــ استطراداً ــ بمناسبة ذكر جرجي لبني أمية ، ورسمه الصورة المشوّهة عنهم ، أن جرجي حكم بكفر الوليد[2] ، وأنه أمر بالمصحف فعلقوه ، وأخذ القوس والنّبل وجعل يرميه حتى مزّقه وأنشد :

---

(١) كتاب (انتقاد كتاب تاريخ التمدن الاسلامي) ، صفحة : ٢٨ الى ٣٢ •

(٢) الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، اشتهر باللهو والخمر فدخل عليه أكابر أهل بيته ورجالات دولته •• وقتله يزيد بن الوليد •

أتوعد كل جبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد
اذا لاقيت ربّك يوم حشر فقل لله مزقني الوليد

ونقل هذه الرواية عن الاغاني ، فهي من خرافاته ، ومعلوم أن صاحب الاغاني ديانته شنآن بني أمية والحط منهم . وأما الابيات فأثر التوليد ظاهر عليها ، ومن له مسكة بالادب يشهد أن نسجها غير نسج الاوائل ، قال العلامة الذهبي ــ وهو مرجع الرواية ــ : « لم يصح عن الوليد كفر ولا زندقة ..». وان شرب خمراً كما يذكر صاحب الاغاني ، فهذا لا يسمح به المناخ العام في حينه مطلقاً ، وان فعله سراً من علم به ؟!!

ذكر صاحب العقد الفريد ما ينبىء عن تعظيم الوليد للقرآن المجيد ، وتفخيمه شأنه ، وحث الناس على حفظه وتعهّده ، قال صاحب العقد [جـ : ٢، ص : ٢٥٨] : « شكا رجل من بني مخزوم ديْناً لزمه ، فقال الوليد أقضيه عنك إن كنت لذلك مستحقاً ، قال : يا أمير المؤمنين ، كيف لا أكون مستحقاً في منزلتي وقرابتي ؟ قال : قرأت القرآن ؟ قال : لا ، قال : فادنُ مني فدنا منه فنزع العمامة عن رأسه بقضيب في يده فَقَرَعه قرعة وقال لرجل من جلسائه : ضم إليك هذا العلج ولا تفارقه حتى يقرأ القرآن ، فقام اليه آخر فقال : يا أمير المؤمنين اقض دَيْني ، فقال له أتقرأ القرآن ؟ قال : نعم . فاستقرأه عُشراً من الانفال ، وعشراً من براءة ، فقرأ ، فقال : نعم نقضي دينك وأنت أهل لذلك » . وهكذا نرى أن الوليد يسخط على من لايقرأ القرآن ، وجرجي يرى أن الوليد على القرآن ساخط ، دون أن يتحقق من رواية وردت في كتاب أدب شهادات المؤرخين فيه معروفة ، فهو الذي يأتي بالغرائب والاعاجيب بحدثنا وأخبرنا ؟!!

ان أحب جرجي فئة جعل الخطأ محصوراً في من ارتكبه وجعل قومه غير مسؤولين عن أوزاره ، وان سخط على فئة وأراد الدس كعادته ، جعل الخطأ قاعدة يعممها على قومٍ من أخطأ بلا استثناء.

والحاصل لو خص جرجي رجلا أو رجلين من بني أمية بالمطاعن ـ كالحجاج وخالد القسري ـ لاعترفنا به ، ولكن من سوء المكيدة ، وخبث طوية جرجي أنه يجعل الفرد جماعة ، والنادر عاماً والشاذ مطرداً[1] .

٩ ً ـ وقال جرجي في الصفحة : ١١٢ : « وكان بنو أمية قد اقتبسوا نظام الحرس من الرومان ، وتوخاه عمالهم إرهاباً للناس .. ». نلاحظ هنا عبارة « إرهاباً للناس » التي دسها جرجي ، والتاريخ يقول : اتخذ معاوية نظام الحجاب بعد حادثة الخوارج مع علي ومعاوية وعمرو بن العاص وذلك خوفاً على نفسه وتلافياً لازدحام الناس على بابه ، ولشغلهم اياه عن النظر في مهام الدولة.

١٠ ً ـ وفي الصفحة ١٣٨ يشوه جرجي قصة عبد الله بن الزبير مع أمه أسماء ويفقدها روحها البطولية ، بطولة الابن ، وبطولة الام العجوز .

١١ ً ـ بطل جرجي الخيالي « حسن » ، رغم شهامته وبطولته وشجاعته وحميته .. إلا أنه لا يشترك في معركة لا هنا ولا هناك ، بطولاته في (تاريخ الاسلام) فردية من أجل حبيبته . هكـذا أراده جرجي ، بطلا خيالياً حياته وعزيمته لحبيبته : « اني ذهبت شخصياً في سبيل هواك »!!

١٢ ً ـ وخاتمة الرواية كالعادة .. لقاء الحبيبين .. لقد تم زواج حسن بسمية في حفل كبير في المدينة المنورة فيه « مجون » !!

ان صورة المدينة المنورة في ذهن وفكر المسلم ، صورة طهر وصفاء وإيمان .. ففيها مقام المصطفى ﷺ ، الذي تهفو اليه القلوب ، وتحن اليه الارواح ، وتعشقه النفوس .. وبكلمة واحدة يدسها ويفتريها خيال جرجي يشوه هذه الصورة الحقيقية المثالية ، انها كلمة « مجون » .. وكيف لا ومرجعه « الاغاني » ؟!!

* * *

(١) « انتقاد كتاب تاريخ التمدن الاسلامي » ، صفحة : ٢٠ و٢١ .

فتح الأندلس
منقد

★ فاحرق طارق بن زياد سفنه ليبذر اليأس في نفسه وفي نفوس رجاله .

جرجي .

على غلاف هذه الرواية صورة خيالية ملوّنة للقائد المسلم طارق بن زياد، تُفهم الناظر إليه ، أنه كتاب عن تاريخ فتح الاندلس على يد طارق ، فتغريه في اقتنائه .

ومن يدقّق في الكتاب ، ويعرضه على ميزان البحث المنهجي العلمي التاريخ ، يستخلص الملاحظات والمآخذ التالية ، والتي نقدّمها خدمة للحق والحقيقة ، وانصافاً لتاريخنا العربي والاسلامي(١) .

١ً — يقول جرجي زيدان في الصفحة الخامسة:«ثم سطا القوط على مملكة الرومان الغربية قبل سطو العرب على المملكة الشرقية ببضعة قرون ..».

وسطا من السطو ، أي القهر والبطش . والمعروف تاريخيا أن السطو والبطش والهدم..من صفات الغزو القوطي ، وغزو الهون والبرابرة .. حتى سُمّيت غزواتهم وحروبهم « بالبربرية » ، وسمّوا « بالبرابرة » .

أما العرب المسلمون فليس من الامانة التاريخية أن نستعمل كلمة «سطو» لفتوحاتهم ، وبخاصة هنا في اسبانية ، فشهادة المؤرخ والمفكر الاسباني « سانسيت أولبورنوت » في الفتح العربي الاسلامي لاسبانية تبعد كلمة

(١) نشر هذا البحث عام « ١٩٧٦ » ، في كتابنا : « فتح الأندلس : معركة وادي لكة » ، الجزء الخامس من سلسلة « المعارك الكبرى في تاريخ الاسلام » ، صفحة : ٨٠ وما بعد .

« سطو » عن هذا الفتح الحضاري والانساني ، حيث يقول : « ان الفتح العربي لاسبانية جلب إليها كل خير » •

فكلمة « سطو » بحق الفتح العربي الاسلامي للاندلس ، كلمة لا تحمل أمانة تاريخية ، وفي طياتها دسٌ رخيص ، ومقارنة خاطئة •

٢ً ــ من الصفحة الاولى وحتى الصفحة ٢٠٠ ، لم يذكر جرجي خبراً عن الفتح الاسلامي ، أو عن طارق بن زياد ، اذن •• ما الذي سرده هنا ؟!؟

لقد سرد قصة حب عنيف ــ شأنه في كل رواية قدّمها ــ بين فلورندا وألفونس ، عمل بها الخيال عمله ، لتخرج مشوّقة ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، ننقل هذه الاسطر من تلك الصفحات :

ــ « أما فلورندا فقد اندهشت حين رأت ألفونس قادماً ، وظهرت البغتة في عينيها ، وأسرعت دقات قلبها ، وارتعدت ركبتاها ، وأرادت أن تقف لتلقاه ، فلم تستطع من شدة التأثر وامتقع لونها •• [أما حبيبها وعشيقها ألفونس] •• وقرأ في عينيها من تلك النظرة ما لو كتب على ورق لملأ عدة صفحات ، وقال : بنغمة المحب الولهان : السلام يافلورندا السلام •• ومضت فترة وهما يتخاطبان باللحظ ، ولهما من قراءة الافكار ما يغنيهما عـن اللفظ •• وكانت العجوز تتشاغل عنهما بقطف بعض الازهار ، والتواري بين الاغصان ، رفقاً بعواطفهما وإغضاءً عما قد يبدو منهما في مثل هذه الحال ، وظل ألفونس ساكتاً وقد عوّل على الصبر حتى تكون فلورندا البادئة بالكلام ، فقضيا برهة واليـــد باليد ، والعين على العين ، والقلبان يتسارعان كأنهما يتفاهمان بالخفقان . وقد غشى الأعين ماء لامع هو من أسمى علامات الهيام(١) » •

ــ « إني أسير هواك ، وإني حيٌ برضاك ، ميّت بجفاك(٢) » •

---

(١) صفحة : ١٧ •
(٢) صفحة : ١٨ •

ـ « تعالي يا خالة ، كلّمي فلورندا عساها أن تتعطف عليَّ بكلمة أُبرِّد بها لظى وجدي[1] » .

ـ « الى مليكة القلب فلورندا : لبيك ياحبيبتي ، اني موافيك في القصر في الساعة الثانية من الليل القادم ، فتهيَّئي للخروج بما تستطيعين حمله ،وأشرفي من النافذة المطلَّة على النهر ، فاذا رأيت نوراً مثلثاً ، فاعلمي أنني في انتظارك ، تشدَّدي وقوِّي قلبك ولاتخافي[2] » .

فقصَّة الغرام العنيف هذه .. ماعلاقتها بكتاب يحمل عنوان سلسلةروايات تاريخ الاسلام ؟

٣ً ـ يقول جرجي : « وشأن العرب والقوط في فتـــح مملكة الرومان متشابه .. جاءها القوط من الشمال ، وجاءها العرب من الجنوب ، وكلاهما أهل بادية وخشونة فاكتسحوها ، واستولى كل منهما على جانب منها ، ولكن العرب استطاعوا ما لم يستطعه القوط[3] » .

فما الذي حققه العرب ، ولم يستطع القوط تحقيقه ؟

في عرف جرجي : « أنشؤوا على أنقاض الروم مدنيَّة خاصة بهم، وجعلوا الامم التي دانت لهم بتوالي الاجيال أمة واحدة تتكلَّم لساناً واحداً، وأما القوط .. فقضوا في أسبانية نيِّفاً ومائتي سنة ، ثم خرجوا منها ولم يتركوا أثراً يُذكَر[4] » .

إن التشابه الذي ذكره عن العرب والقوط « وكلاهما أهل بادية » .. متناسياً أنالذين فتحوا الاندلس كانوا من البربر وليس من العرب أهل البادية

(١) صفحة : ١٩ .
(٢) صفحة : ٨٤ .
(٣) صفحة : ٢٨ .
(٤) صفحة : ٢٨ .

.. هذا .. وأهم فارق بين الطرفين لم يلمّح له جرجي ، فضلاً عن إظهاره .. ألا وهو أن المسلمين عندما انطلقوا للفتح تفرّدوا بحمل رسالة وحضارة للبلاد التي فُتحت . الفتح عند القوط للفتح والاستيلاء والسطو ، والفتح عند المسلمين لنشر عقيدة تحمل الإخاء والانسانية والرحمة ..

لقد احتوت البلاد التي فَتِحَت الفاتحين كالقوط والجرمان والهون .. واحتوى الاسلام البلاد التي فُتِحَت .. فشتان بين فتحين .. فتح قام ليغيِّر جغرافية الارض وحدودها .. وفتح قام ليغيِّر النفوس ، غيَّر عبوديتها للبشر .. ورفعها الى عزّة العبودية لله وحده .

لم يرَ جرجي من الفتح إلا أنه أنشأ أجيالاً تتكلّم لساناً واحداً ، وهل تكفي اللغة الواحدة وحدها لتوحيد القلوب والآمال ؟!

لقد جعلت فرنسة من الجزائر بلداً يتكلّم الفرنسية لأكثر من قرن من الزمن .. ولكن هل حدث اندماج بين فرنسة المسيحية ، والجزائر المسْلِمة ؟! فاللسان وحده لايكفي ، والمعوّل عليه أولا وآخراً العقيدة التي في النفوس.. وكثيراً ما نرى اثنين يتكلمان لغة واحدة أباً عن جد ، ولكن لا رابطة روحية أو عقائدية بينهما .. بل يتعاطف كل منهما مع آخر في بقعة نائية في العالم ، لوجود عقيدة وفكر يجمع بينهما .. وإن لم تجمع اللغة بينهما .

لم ير جرجي الحضارة الرائعة التي نبتت في الاندلس بعد الفتح ، حين تبوّأت الاندلس مرتين في التاريخ مركز القوة والعلم والتقدم في العالم ، أولاهما زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وثانيهما في القرن السادس عشر ، في الفترة التي كانت فيها الاندلس لا تزال تعيش مرحلة تمثّل وهضم الحضارة العربية الاسلامية .

وجرجي رائع في تجنّب الحق .. فلم ير إلا تشابهاً في البداوة وهو خاطىء

فيما رأى ، ولم ير من التغيير إلا جعل أهل الاندلس يتكلمون لساناً واحداً ٠٠ وهذا يكفي طبعاً لمن يجعل من روايات تاريخ الاسلام ، روايات العشق والغرام ليس غـــير !!

٤ً ـ والغريب كل الغرابة ، أن كتاباً يحمل عنوان : « فتح الاندلس ، طارق بن زياد » يقول مؤلفه أن « ألفونس » هو « بطل رواياتنا »[١] ،وبذلك يكون ألفونس بطلاً من أبطال « روايات تاريخ الاسلام » ، ومن ثم ٠٠ يصبح ألفونس وأمثاله ممن نسج لهم جرجي قصة غرام جارفة جامحة ، أعمل الخيال في معظم أحداثها ، يصبحون رجالات التاريخ الاسلامي !! وفي ذلك تشـــويه لهذا التاريخ الذي نعتز به ، ونستقي منـــه قوة وعزيمة ، ووحدة وفخـــراً ، وروحاً دافعة الى معالي المجد ٠

٥ً ـ حتى صفحة ٢٠٠ ، عرض جرجي قصة حب ألفونس وفلورندا قبل الفتح ، وصفحة ٢٠١ عنوان فصلها : « بعد فتوح الاسلام » ٠٠ أي قصة الحب بعد الفتح ، وكأن هذا الفتح العظيم للاندلس ، لم يحقق سوى ارجاع فلورندا الى دفء حبيبها ألفونس ٠٠٠ وسيعاقَب لذريق ، الذي منع الحبيبين من اللقاء والزواج ، عقاباً عادلا هو الموت ٠

وهكذا استخلص جرجي نتائج الفتح الاسلامي للاندلس : لقاء الحبيبين، ولقي من فرّق بينهما « لذريق » جزاءه العادل ٠٠ لقد تمّ الفتح ، ومات لذريق لأنه فرّق بين ألفونس وفلورندا !!

٦ً ـ من الدس الرخيص قول جرجي : « فلما عرض يوليان على موسى فتح الاندلس ، ويكون هو عوناً له في ذلك ، بعث موسى الى الخليفة الوليـــد يستأذنه ، فأذِن له على أن يخوضها بالسرايا « ولا يغرّر بالمسلمين في بحر شديد

(١) صفحة : ٢٦ ٠

الاهوال » ، فرأى موسى أن يجرّب ذلك برجال من الموالي المسلمين غير العرب، يرسلهم لفتحها ، ولم ير خيراً من طارق يوليه قيادة تلك الحملة •• فأعدّ سبعة آلاف من الموالي والبربر وفيهم بعض العرب ، وسلّم قيادتهم الى طارق ، وأمره أن يعبر بهم بحر الزقاق الى الاندلس[1] » •

والجدير بالذكر ، أن جملة : «ولايغرّر بالمسلمين في بحر شديد الاهوال»، أوردها المؤرخ ابن الاثير ، وذكر ابن الاثير أن موسى أرسل « طريفاً » فغزا جزيرة سُمِّيَت باسمه ، ثم أرسل طارقاً •• فيكون كلام جرجي : « فرأى موسى أن يجرّب ذلك برجال من الموالي المسلمين غير العرب يرسلهم لفتحها » •• كلام لا صحة له . وهو يظهر أن العرب طبقة متميِّزة فوق الموالي البربر ، مع أن الاسلام سوّى بين الجميع . وجعل التقوى أساس المفاضلة ، بغضّ النظر عن الجنس ••

وينقض كلام جرجي •• أن موسى ولّى طارقاً على طنجة ـ وهو بربري ـ من قبل التفكير بالغزو •• فطارق مسلم وكفاه ذلك نسباً •• ولما توفرت فيه مؤهلات القيادة وصل الى مكانه الطبيعي اللائق •

وجملة الخليفة الوليد : « ولا تغرّر بالمسلمين في بحر شديد الاهوال » •• لاتعني التجريب برجال من الموالي غير العرب ، لقد حدّد الخليفة حرصه على المسلمين عامة ، ولم يحدد حرصه على العرب فقط دون غيرهم •

ثم ترى جرجي يخلط بعد كلامه السابق بين ثلاث كلمات : مسلم ، عربي، بربري ، ويحتار في ما يستعمل منها ، ففي عشرات المواضع كان يقول :

ـ إن العرب جاؤوا الاندلس •• « صفحة : ٢٠٦ » •

ـ سمعوا بنزول العرب الى بلادهم •• « صفحة : ٢١٣ » •

(١) صفحة : ٢٠٥/٢٠٦ •

ـ إن العرب غالبون لا محالة •• « صفحة : ٢٢٢ » •

ـ جند العرب •• « صفحة : ٢٧١ » •

ـ إن العرب إنما يريدون الغزو •• « صفحة : ٢٧٤ »•

ـ شاهدوا العرب بخيلهم وإبلهم •• « صفحة : ٢٧٤ »•

ـ معسكر العرب •• « صفحة : ٣٠٧ »•

ـ ثم سمع بقدوم العرب •• « صفحة : ٣٣٤ » •

ـ الانضمام الى العرب •• « صفحة : ٣٤٦ »••

ما سبق ذكرته على سبيل المثال •• والآن • •كيف يقــول جرجي : إن الجيش المرسَل بربري كله ، ويستعمل كلمة العــرب لهــذا الجيش ؟ أمــا كان الاحرى والصحيح ، أن يستعمل كلمة : « مسلمين » ؟! فهي تجمع العرب والبربر ، وتظهر أن عقيدة هي الاسلام ، وحَّدت بينهما •• فقاموا لنشر لوائها؟!

٧ً ـ يصف جرجي خيرات الاندلس قبل الفتح بإسهاب ، ليجعل من هذه الخيرات والثمرات سبباً في اتجاه المسلمين الى الشَّمال ، وعبور بحر الزقاق ، وعدم الاتجاه الى الجنوب •• فمن كلامه عند وصف مدينة «شريش» وكرومها قوله : « وأخذ بعض الفلاحين في قطافها ، وأخذ البعض الآخر في عمل دعامات تحمل ما ثقل حمله من الدوالي لكبر العناقيد[1] •• »•

والذي نقوله في معرض هــذا الكلام : المسلمون لم يتجهوا جنوباً لأن الصحراء الكبــرى تكاد تكون خالية من السكان •• وهدف المسلمين إبلاغ رسالة الإسلام لبشرَ •• فلمن يبلّغونها في الصحراء ؟!

السكان في مواطن الخيرات أمر طبيعي ، انهم في المدن العامرة حيث الحياة

(١) صفحة : ٢١٢ •

والوديان الخصيبة ، لذلك اتجه المسلمون شمالاً ليبلغوا بشراً ، والغنيمة تحصيل حاصل بحسب قوانين الحرب آنذاك .

وعلى رأي جرجي ومن والاه .. لو اتجه المسلمون الى الصحراء الكبرى لاعتبروا محرّرين مخلّصين منقذين ، لا يهدفون غنيمة .. ولكن من بالصحراء الكبرى ليحرَّر ويُنْقَذ ؟ أهي كثبان الرمال[1] ؟!.

هذا .. والمسلمون عندما حاربوا البربر أنفسهم ، سقط منهم مئات الشهداء ، وكانت هذه الحروب في صحراء قاحلة .. فأين مواطن الخصب والثروة ؟!؟

لو أراد المسلمون غنيمة ، فقد أصابوها ، فلماذا لم يرتدوا على أعقابهم بعد تحقيق الهدف ؟ لقد تمَّت الغنيمة ، فلماذا التقدم الى قلب الاندلس ، ثم شمالها ؟.

لقد أراد المسلمون فتح الاندلس للوصول الى القسطنطينية : « إن القسطنطينية انما تُفتَح من قبل البحر ، وأنتم اذا فتحتم الاندلس فأنتم شركاء لمن يفتح القسطنطينية في الاجر آخر الزمان والسلام[2] » . وكان الفاتحون يعرفون ذلك ، قال موسى بن نصير : « لو أطاعني عسكري نفَّذتهم حتى أفتح رومية[3] » .

٨ ـ وملاحظة هامة جداً لفتت نظري[4] :

(١) ورد في كتاب : تاريخ العرب في الأندلس للدكتور أحمد بدر : « ومن الطبيعي أن لا تتطرق أذهانهم لفتحها لندرة البشر وانعدام الثروة فيها ، أما الشمال ، أي مايلي مضيق جبل طارق في شبه الجزيرة الايبرية ، فكان يحوي كل المغريات » ، « صفحة : ٦ » . لقد فطن المؤلف الى ندرة السكان في الصحراء ، ولكنه أتبع ذلك « بتحصيل حاصل » : انعدام الثروة فيها ووجود المغريات في الأندلس .

(٢) النجوم الزاهرة ، الجزء : ١ ، صفحة : ٨٤ .

(٣) غزوات العرب للأمير شكيب أرسلان ، صفحة : ٤٢ ، والنص في تاريخ دول الاسلام ، للامام الذهبي .

(٤) وهذه ملاحظة عامة في كل رواياته على الاطلاق .

يورد جرجي كلاماً طويلاً على لســان طارق أو بدر •• ولكنه لا يذكر المصدر أو المرجع •• وقد لا يذكر المؤرخ المصدر أحياناً لتوافق جميع الروايات عليه ، ولتواتر الخبر أو لوروده في أمّهات الكتب المعتمدة • أما أن يُذكَر كلام على لسان طارق ، يبني عليه ذاكره ما يريد •• فهذا من قبيل عدم الامانة التاريخية ، وهو يدل على هوى مُتّبَع ، وطعن مقصود ••

لقد جمعتُ معظم الكتب التي بحثت في هذه الفترة ، وعدت الى المكتبات العامة أبحث وأطالع فيها ما لم أجده في المكتبات الخاصة •• وبعد جهد •• لم أجد فقرات كاملة يلفقها جرجي على ألسنة الفاتحين المسلمين ••• فأين الامانة ، وأين البحث العلمي ؟؟!

٩ً ــ قال جرجي معلّقاً على إحراق السفن : « فأحرق سفنه ليبذر اليأس في نفسه وفي نفوس رجاله[1] » •• وفي الحقيقة بذور اليأس لاتكون في نفوس تعلم أن الله معها • وكان الاجدر له أن يقول : « فأحرق سفنه ليبذر الامل والتصميم والعزيمة والاستماتة في طلب الشهادة أو النصر » • فكلمة : « يبذر اليأس » لا تليق بفاتحين يأملون فتح أوربة للوصول الى القسطنطينية •

١٠ً ــ أظهر جرجي أن الحب والغرام والشهوة عند سكان الاندلس قبل الفتح ، أقوى من العقيدة والمذهب وحب الوطن••وأخذ يصف عواطف ألفونس والخطر المحيط بفلورندا ، فينحاز ألفونس الى طارق إكراماً لحبيبته[1] ••• ثم يركّز جرجي على تفكك الوضع الداخلي في الاندلس ، ليجعل هذا التفكك السبب الاول والاخير لظفر المسلمين في وادي لكّة •• مع أنه لو لم ينخر الفساد في كيان الاندلس ، ما سهل على الفاتحين النصر وتثبيت الاقدام ••ولو لم يكن مع هؤلاء الفاتحين قرآن كريم يبشّر بالرحمة والمحبة والإخاء لانقضّت

(١) صفحة : ٣٥٤ •

(٢) صفحة : ٣٣٤ •

عليهم الجموع الغاضبة •• ولعادوا الى قواعدهم خاسرين •• ولكن الاسلام يكسب سكان البلاد بعدله وخلقه الوطيد •

وهكذا •• إن كتاباً يحمل عنوان : « روايات تاريخ الاسلام » ، « فتح الاندلس : طارق بن زياد » ، صفحاته ٣٧٦ ، ليس فيه عن طارق والفتح إلاّ ما يقل عن خمسين صفحة •• وما بقي من صفحات رواية غرامية لعب الخيال فيها دوراً بارزاً •• فلماذا نضع لمثل هذه الكتب العناوين الاسلامية ؟ أليست لتمييع تاريخنا ، وللتّهو به •• وطمس دور أبطاله •• ولعدم إظهار الفكر الذي قاد فتوحاتنا بروعته وجلاله وعظيم تأثيره وقدره ؟

على كلٍّ ••

« ليس الباطل إلاّ كالطلاء يزول مع الزمن » •

شارل وعبد الرحمن
منقد

✶ العشاق ثلاثة : عاشق ، وعثويشق ، وذنب العشاق ..

جرجي .

سوء الطويّة يظهر في عنوان الرواية : « شارل وعبد الرحمن » ، لقد قدّم جرجي شارل على عبد الرحمن ، ولا ندري لماذا ؟!

والمتفحّص الدارس لهذه الرواية ، يجدها رواية خيالية نسجها جرجي حول شخصيات لا وجود لها على مسرح الحياة ، ومن حسن الطالع أنني كتبت « بلاط الشهداء »(١) كما جاءت في مصادرنا العربيـة الاسلامية ، ثم عدتُ وتفحصتُ رواية جرجي عن « شارل وعبد الرحمن » ، فكانت الدراسة الثانية تتمة للدراسة الاولى ، خرجت منهما بأكثر من عشرين نقطة يمكن التحدث فيها، مع أنني لو قلت ليس في الرواية نقطة تستحق الكتابة فيها لأمكنني ذلك ، إذ أن الرواية خيالية لا أصل لها تاريخيا ، ومع ذلك سنناقش أولا أصل فكـرة الرواية التي اعتمد عليها جرجي ، وهي خرافة في أساسها ، ثم نعالج ــ بعد تجاوز هذه الخرافة ــ الطعنات والشبهات التـي وجّهها جرجي في روايته لتاريخنا وإسلامنا وأبطالنا ، وهـذا من قبيل وضـع الاصبع على موطن الإدانة ، لا مواطن الاتهام .

جعل جرجي أبطال روايته « شارل وعبد الرحمن » ، وهي جزء من سلسلة

---

(١) « بلاط الشهداء » الجزء السادس من سلسلة المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام ، وهذا البحث في الجزء المذكور صفحة : ٥٤ .

تحمل اسم « روايات تاريخ الاسلام » على النحو التالي[١] :

١ ــ عبد الرحمن الغافقي : قائد الجيوش الاسلامية •

٢ ــ هانيء ، ولا نسب أو والد له ، وهو شخصية لا أصل لها ، اخترعها جرجي من فكره ، وأوكل إليه قيادة الفرسان المسلمين•

٣ ــ شارل « قارله » : قائد جيوش الافرنج ، وحاكم أوستراسيا ، وشارل في الرواية ــ كما أوضح جرجي ــ بطل من أبطال تاريخ الاسلام !

٤ ــ بسطام ، لا نسب له أيضا ، جعله جرجي قائداً للبربر ، وهو أيضا شخصية خيالية ، جعلهـا الى جانب هانيء لمنافسته في حبه لفتـاة يتبادل معها « لواعج الغرام »•

٥ ــ مريم ، حبيبة هانيء ، تحمل ــ كالعادة في كل الروايات الزيدانية ــ وجه امرأة لامثيل لجماله في العالم ، وفيها شجاعة الرجال ورقة النساء •

٦ ــ سالمة « أجيلا » : والدة مريم ، زوجة رودريك « لذريق » ملك الاسبان ، وهي بطلة في رواية تحمل اسم « روايات تاريخ الاسلام » •

٧ ــ لمباجة : بنت الدوق أودو ، وزوجة لقائد بربري سابقاً ، وهي أصل وأساس في رواية تاريخ الاسلام !

٨ ــ أُدو : حاكم أكيتانيا ، ووالد لمباجة ، وكما هو ظاهر ، أودو أيضـاً بطل من أبطال رواية تاريخ الاسلام !

وقبل مناقشة النقطة الاولى ، نذكر هنا المراجع التي ثبّتت في الصفحـة الثانية من الرواية ، والمتفحص لهذه المراجع يجدها تمويهاً كبيراً لكذب الرواية،

(١) نورد هنا الأبطال كما رتّبها « جرجي » في الصفحة الثانية من الرواية ، كما أوردها دون اضافة من قبلنا ، أو حذف احداها •

وطلاء زائفاً أراد صبغ الخيال بالحقيقة التاريخية ، فإن ذكر ابن الأثير مثلاً تراه عاد اليه مرة أو مرتين فقط ، خلال رواية صفحاتها ٣٤٣ صفحة[١] ، بينما يعود مرات عديدة الى مراجع أجنبية ، معروف أصحابها بالتعصّب والصليبيّة ، والتعصب والصليبية يكفيان لمجانبة الحقيقة ، ولعدم الموضوعية في البحث ، فهو يعتمد على : رينو ، رومي ، دوزي ، جوبون ، فيسفوروس[٢] ..

كما تراه يعود الى كتابه « تاريخ التمدن الاسلامي » لتثبيت أقوال له ، كما في الصفحات : ١٤ و ٤٢ و ٤٩ .

ومراجعه كما ذكرت في أول الرواية هي كالتالي :

١ ــ ابن الاثير ، وعاد اليه مرة واحدة فقط في صفحة : ٢٩٩ .

٢ ــ وذكر « جوبون » في مراجعه ، ولكنه لم يرجع إليه على الاطلاق[٣] .

٣ ــ أبو الفداء ، لم يرجع اليه أبداً ، فلا يعثر القارىء على أية اشارة لأبي الفداء وتاريخه « البداية والنهاية » .

٤ ــ رومي ، عاد إليه عشر مرات في الصفحات : ٨ ، ١٤ ، ٣٧ ، ٦٠ ، ١١٠ ، ١٦٤ ، ٢٦٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤ ، ٣٣١ .

٥ ــ رينو ، عاد إليه تسع مرات في الصفحات : ٨ ، ١٠ ، ٣٧ ، ٤٧ ، ٦٠ ، ٩٧ ، ١٠٩ ، ١٥٤ ، ١٦٣ .

٦ ــ دوزي ، عاد إليه مرة واحدة فقط .

---

(١) الطبعة هنا ، هي طبعة : منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر ، بيروت .

(٢) هذا لا يعني مطلقا رفض كل مرجع أجنبي ، المرجع الأجنبي الذي يبحث في تاريخنا ، إن اعتمد مؤلفه على مراجعنا ، أو إن عُرِف بموضوعيته وببحثه عن الحقيقة ، وببعده عن التعصّب ، فلا بأس في اعتماده أبدا .

(٣) استنادا إلى الحواشي التي محصناها كلها في رواية « شارل وعبد الرحمن » .

٧ ــ المقري ، وعاد وذكر جرجي مرجعاً آخر هو « نفح الطيب » ، ونفح الطيب هو لمؤلفه المقري ، فذكرهما وكأنهما مرجعان منفصلان ، ومع ذلك .. عاد الى « نفح الطيب » مرتين فقط ، في صفحة : ٢ و ٢٩٨ لخبر واحد ، هي عزم المسلمين على مواصلة الفتح في أوروبة حتى يعودوا الى الشام من طريق القسطنطينية .

٨ ــ مختصر الدول ، لم يرجع الى هذا الكتاب أبدا .

٩ ــ وكذلك لم يرجع الى المرجع المدون باسم « فيسفوروس » .

١٠ ــ كتاب « نهاية الارب في قبائل العرب » عاد إليه مرة واحدة صفحة ١١٠ فقط ، ليذكر أن عبد الرحمن الغافقي من قبيلة بني غافق ، وهي من القبائل اليمنية .

١١ ــ ثم عاد وذكر من المراجع « رينو ورومي » معاً ، وقد ذُكِرا قبلاً

١٢ ــ البيان والتبيين للجاحظ ، عاد إليه مرة واحدة صفحة ٤٤ فقط ، ليذكر أن في جملة جيش الاسلام جنداً من البربر ، وجماعات من الصقالبة والجراجمة والاقباط والانباط وغيرهم ، ويتبعها بقول الجاحظ : « وفيهم من لايزال على اليهودية أو الوثنية أو المجوسية ، وانما يتظاهرون بالاسلام » . وهذا الكلام مرفوض كلاً ، لأن المسلمين لا يتعاملون مطلقاً مع وثنية أو مجوسية ، ولايعترفون بهما في الاصل ، لانهما ليستا من أهل الكتاب.

هذه هي المراجع التي عاد اليها جرجي في تأليفه رواية « شارل وعبد الرحمن » الخيالية !!

* * *

أولاً ...

جعل جرجي محور روايته على امرأة اسمها « لمباجة » ، وكان للمباجة هذه دور رئيسي في مسار الرواية وأحداثها ، واذا عدنا الى مصادرنا العربية الاسلامية نجدها تقول :

تزعم الكتب الافرنجية أن عثمان قد أسر في احدى غزواته ابنة أودو دوق أكويتانية ، وكانت رائعة الجمال ، فهام بها وتزوّجها ، وتسمي تلك الكتب ابنة أودو أسماء مختلفة : نوميرانسة ، مينين ، لامباجية[1] ، وكذلك تسمي تلك الكتب عثمان نفسه مونوسة ، وتجعله من البربر .

وقالوا : فلما سكن عثمان الى زوجته ترك الغزو ، وأصبح ضلعه مع صهره أودو ، ونذيراً اليه بتحرك الجيوش الاسلامية نحو بلاده ، فيقال : إن عبد الرحمن الغافقي أرسل الى عثمان من تغلّب عليه فقتله ، وقيل بل قتل في حادث آخر[2] ، « ومع أن الغالب على هذه الرواية أنها موضوعة من أساسها ، فإنها تدل على أن عبد الرحمن الغافقي لم يكن غافلاً عن بعث الطلائع قبل أن قام بهجومه الرئيسي[3] » .

لقد نسجت الروايات الاوروبية الكنسيّة حول مونوسة أوهاماً ، ونحلت حولها تفصيلات لاستنتاج أمر ، أو بناء أمور اتخذتها فيما بعد حقائق لا ريب فيها ، وخلطت ـ كما جاء في تاريخ غزوات العرب ـ بين مونوسة وعثمان بن أبي نسعة الخثعمي ، أحد ولاة الاندلس لمدة خمسة أشهر ، ابتدأت من شعبان سنة ١١٠ هـ ، كل ذلك يجعل من مونوسة خرافة ، وعلى الخصوص اذا علمنا أن مونوسة اسم لأرض ، ففي البيان المغرب لابن عذاري : إن والي الاندلس غزا

(١) تاريخ غزوات العرب ، صفحة : ٨٧ .
(٢) الاسلام في الحوضين الشرقي والغربي ، صفحة : ١٢٨ .
(٣) دولة الإسلام في الأندلس ، جـ : ١ ، ص : ٨١ ـ ٨٥ .

منوسة[١] ، وفي تاريخ ابن خلدون : غزا أرض مقوشة فافتتحها[٢] .

ومما تقوله الرواية الاوروبية الكنسيّة : إن رجلا من الجنس البربري اسمه « مونوس Munus » ترامت اليه من حدود ليبيا « افريقية » أخبار الظلم القاسي الذي كان يعانيه أبناء جنسه في هذه البلاد ، فصانع الفرنجة ، وصاهر أودو من أقطانية ، وأخذ يعمل على ايذاء العرب ، أعداء اسبانية ، ووثب بهم بالفعل ، وأصبح في حرب دائمة معهم ، ولكن أنصاره كانوا على خلاف متصل معه ، ولم ينهض عبد الرحمن الغافقي لحربه إلا بعد أن أرسلت نحوه حوالي عشر حملات ، فنهض عبد الرحمن لمونوسة ، وتتبعه ، ففر الى خوانق الجبال ، وتحرج مركزه ، وضيق المسلمون عليه الخناق وقتلوه ، وقبضوا على زوجته وأرسلوها الى بلاط الخليفة . وتفيض الرواية كما نسجتها وتخيلتها المراجع الاوروبية الكنسيّة بعدها بذكر أعمال العنف والاضطهاد التي أنزلها عبد الرحمن بحلفاء مونوسة من النصارى ، وخاصة أهل شرطانية ، وكيف أنه أحرق « أناباديوس » أسقفها بعد ذلك[٣] .

ويمكن تقديم سؤال واحد نترك اجابته للقارىء ، ننهي به خرافة مونوسة « لمباجة » . لقد نصّت الرواية الاوروبية الكنسية على أن المسلمين قبضوا على زوجة مونوسة ، وأرسلوها الى بلاط الخليفة ، أي الى دمشق ، على بعد آلاف الاميال عن الاندلس ، آلاف الاميال عن أرض فرنسة ، مسرح رواية جرجي ، فكيف رافقت مونوسة ، أي لمباجة في عرف جرجي الحملة مع الغافقي ، لتعمل دسّاً وتخريباً ووقيعة ، مع أنها في بلاط الخليفة بدمشق ، بحسب نص الرواية الاوروبية الكنسيّة ؟!؟

---

(١) البيان المغرب ، ج : ٢ ، ص : ٢٨ .

(٢) تاريخ ابن خلدون « العبر » ، ج : ٤ ، ص : ٢٥٨ .

(٣) القصة في « فجر الأندلس » ص : ٢٥١ وما بعدها ، عن :
Isidoro Pocense : Chronicon C. 58

ولنتفكّر بعدها بخاتمة الخيال ، بعد ذكر أعمال العنف والاضطهاد التي أنزلها عبد الرحمن الغافقي بالنصارى « وكيف أنه أحرق أناباديوس أسقف شرطانية » ، فهل عُرِف المسلمون بمثل هذه الاعمال على مرّ تاريخهم الطويل الواسع ، هذا التاريخ الذي يشهد بعفوهم ورحمتهم التي شملت الحيوان والنبات فضلا عن الانسان(١) ، حتى قال منصف من الاوروبيين أنفسهم : « ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب(٢) ».

انه التعصّب الكنسي ، وصليبية العصور الوسطى الاوروبية ، التي وقعت بالمتناقضات عندما نسجت من خيالها تاريخاً فافترت ، ودسّت على تاريخنا عن قصد فكذّبت وشوّهت .

ثانياً ..

وهذه بعض ملاحظاتنا على الرواية « الزيدانية » ، التي نسجها خيال «جرجي» الخصب :

١ً ــ عاد جرجي كما في روايته « فتح الاندلس » ليدس بين العرب والبربر ، وليتّهم الامراء العرب بعدم تفريطهم في جند العرب ، فقال عن موسى ابن نصير : « فأنفذ حملة أكثرها من البربر .. » ، وهذا الكلام مرفوض ، فموسى بن نصير لم يميّز بين العرب والبربر ، ولكن قلة العرب في شمال افريقية عند الفتح مباشرة بالنسبة الى أهلها جعل قسماً كبيرا من الجند من البربر ، ودليل تقدير موسى لكل كفاءة بغض النظر عن جنس صاحبها أو عِرْقه ، تعيين طارق ابن زياد ، وهو بربري ، قائداً لجند المسلمين وفيهم آلاف العرب.

ومن المضحك ، قول جرجي في صفحة ١٤ : « امتهان العرب يومئذ لغير

(١) جاء في وصية الصديق رضي الله عنه لجيش أسامة « .. ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة .. » .

(٢) القول للمؤرخ « غوستاف لوبون » في كتابه : « حضارة العرب » .

العرب ، ولو كانوا مسلمين » ، فاذا فتشنا عن مرجع أو مصدر هــذا الكلام لوجدناه « تاريخ التمدن الاسلامي » الذي هو من تأليف جرجي نفسه ، وأشار في نفس الصفحة على أن المرجع كتابه « تاريخ التمدن الاسلامي » ، فجرجي يورد أحكاماً ، وشواهد هذه الاحكام ، ومصادر هــذه الدُّرر ، كتابه الذي قدَّمه قبل هذه الروايات « تاريخ التمدن الاسلامي » ، وقد كرَّر هذا في ثلاثة مواضع في الصفحات : ١٤ ، ٤٢ ، ٤٩ •

٢ ــ يخلط جرجي على عادته بين كلمة عرب وبربر ومسلمين ، في كل صفحات الكتاب ، ومثال ذلك صفحة : ٧ ، قوله : « ولم يذهب من فكر العرب فتح أوربة » ، وكلمة « مسلمين » هنا أصح تاريخياً مــن كلمة « عرب » ، فالعرب ما فكروا بتحرير أنفسهم من الفرس والرومان ، إلاَّ بعد عقيدة ربَّانية غُرست في نفوسهم فغيَّرتهم ، ووحَّدت صفوفهم ، وجمعتهم على قلب رجل واحد ، العرب ما أخذوا مكانتهم اللائقة تحت الشمس ، إلا بعــد أن أهَّلهم رسول الله ﷺ روحياً وفكرياً لفتح الدنيا •

٣ ــ في صفحة : ٨ ، يركِّز جرجي على اغتصاب المسلمين للكنائس ، وجعل المرجع لهذا « رينو عن أيزيدور » ، ويستمر في ذلك الى نهاية الرواية، مع أنــه يورد في الصفحات : ٣٤ و ٣٩ و ٤٣ و ٦٨ مايناقض هــذا على لسان سالمة أم مريم•

ولئن داهم المسلمون ديراً أو كنيسة في سهول فرنسة ، فذلك لإيقاف المقاومة المنطلقة منه ، فقد كانت بعض الاديرة والكنائس حصوناً للمقاومة ، واعترف جرجي بذلك في صفحة : ١٦٤ •

٤ ــ قال جرجي في صــفحة ٩ : « وكان عبد الرحمن قد أدرك اختلال أمورهم ، أو جاءه البشــير بذلك ، فعزم على فتح بلادهم » ، وهــذا كلام

مرفوض ، لان الفتح الاسلامي خطة مدروسة ذكرها جرجي أيضا في صفحة ٦: « وقد عزم على مواصلة الفتح في بلاد أوربة حتى يعود الى الشام من طريق القسطنطينية » ، فالفتح قائم مخطط له ، ولو لم تختل أمورهم ، وقد كرّر ذلك في صفحة : ١٩٦ ، وركّز على ما سماه « جشع المسلمين » صفحة: ٣٢٣ .

٥ً ــ جعل جرجي في صفحة ١٣ فصلاً كاملا عن : [الغنائم والسبايا] عند المسلمين ، وبدلا من التصريح بأن الغنائم والسبايا إن وُجِدت ، هي معاملة بالمثل في عُرف ذلك العصر ، بدلا من التصريح بهذا ، أخذ يلمّح أنها هدف وغاية ، وذكر أن أمراء الاندلس (صفحة ٣٦) معظمهم من أهل المطامع ، وقد كرر ذلك صفحة : ١٤٧ .

٦ً ــ وجعل جرجي من الشخصيات الرئيسة في الرواية فتاة اسمها « مريم » ، وعلى عادته في كل رواية له ، جعل منها مثالاً للجمال ، قال عنها : « فتاة لم ير الراؤون أجمل منها » صفحة ١٦ ، ناهيك عن كلمات الغرام في رواية تحمل شعار « تاريخ الاسلام » ، فلواعج الغرام ، التي يكررها في كل رواية له ،وردت هنا على سبيل المثال في صفحات : ٣٠ ، ٩٩ ، ٣٠٧ ، ٣٣٨ . وقتيل هواك وردت في الصفحات : ٩٠ ، ١٢ ، ٣٢٨ ، وهذه بعض المقاطع التي تدوّن تاريخ الاسلام ، كما يكتبه جرجي :

ــ في صفحة ١٧ : « أما الفتاة(١) فكانت واقفة بجانبها ، وعليها لباس أسود مثل لباسها ، وقد أسندت يدها الى كتف المرأة .. وهي مكشوفة الزندين الى الكوع ، وقد التف زنداها التفافاً بديعاً ، وكانت طويلة القامة على اعتدال ورشاقة ، وقد بدت غضة ، في محياها الحياة والنشاط ، ويحسبها الرائي ــ أول الامر ــ في الخامسة والعشرين ، وهي في الحقيقة دون العشرين ، سمراء اللون، سوداء العينين ، كحلاء الجفون ، حادة البصر مع وداعة ورقّة .. تدل وقفتها

(١) يصف هنا « مريم » عندما رآها هانيء ، وبمثل هذا الوصف يكتب تاريخ الإسلام !!!

على الصحة والقوة معاً ، ويتجلّى فوق ذلك كله لطف نسائي يسحر الالباب ، وكان ثوبها الاسود بسيطاً ، وقد انفتح الرداء من أعلى الصدر فبدا عنقها ، وفيه مظاهر الصحة والقوة بامتلائه واستدارته •• »•

ـ وفي صفحة ٢٣ : « ولكنه[1] كان منشغل الخاطر بشيء لايعرفه غير الذي يعانيه ـ وهو الحب ـ ومن غريب أمر الحب أنه يقع على الناس وقوع السُّبات من حيث لايعلمون ، وربما كان الباعث على وقوعه نظرة واحدة ، فلا تكاد تلتقي العين بالعين حتى تجيش العواطف ، وتتجاذب القلوب تجاذباً لاسبيل الى دفعه ، ولايحدث ذلك عند كل نظرة ، ولافي كل انســان ، وانما هو تأثير العيون على بعض القلوب ، فاذا تفاهمت العينــان ، استيقظ القلبان وتجاذبا كأنهما كانا على ميعاد ثم تاها » •

ـ وفي الصفحة ٢٠ : « خشي هانيء أن يكون في حديث الوالدة ما يحول بينه وبين ابنتها مريم وقد ازداد تعلقاً بها بعدما لاحظه من رغبتها فيه ، وأحس أنها تحبه حباً شديداً ، فاغتنم فرصة اشتغال الامير بالحديث مع المرأة ، ودنا من الفتاة وقد أراد أن يسمع حديثها ويستطلع أمرها ، فقال وصوته يدل على هيامه: « ما اسمك يافتاة ؟ » ، فأجابته بصوت دل على لواعج الحب ، وبلسان عربي فصيح : « اسمي مريم » ، فأعجبته غنة صوتها ، وزاد افتتانه بها لثغة في لسانها تنطق بها الراء غيناً ، فكأنه سمعها تقول : « اسمي مغيم »•

ـ في صفحة ٣٢ : « ونظر (هانيء) الى مريم ، فرأى عينيها الجذابتين وقد زادها التفكير والاطراق هيبة ، فسبَّح الخالق لذلك الصنع العجيب » •

ـ وفي الصفحة ٨٢ العجب العجاب في « روايات تاريخ الاسلام » :

---

(١) يعني هانئاً عندما « جاش فؤاده من عوامل الغرام ، وما غشي بصيرته من عواطف الشباب » عندما رأى مريم •

« فأعجبه ذلك العتاب واستدل من ورائه على ما له من المنزلة ، عند تلك الحوريّة ربّة الجمال ، وقد كان يعلم أن بينه وبينها فارقاً كبيراً ، ولكنه كان يطمح في حبها .. وكان يقنعه من ذلك الحب أن يسمع مثل تلك العبارة ، فهو ممن يسمونهم « أذناب العشاق » ، لان العشّاق ثلاثة : عاشق . لايقنع بغير الحب المتبادل الذي يملأ القلبين ، وعويشق يقنعه أن يقدم لمعشوقته باقة من الازهار أو عقداً من الجوهر ، ويكفيه منها قبول هديته ولا مطمع له فيما وراء ذلك ، و « ذنب العشاق » وهمّه أن يخدم معشوقته خدمة تروقها ، كإيصال كتاب ، أو ابتياع بعض حاجات الطعام أو نحو ذلك » .

كل هذا في روايات تاريخ « الاسلام » فأين التاريخ ، وأين الاسلام ؟!؟

ـ ويطول الحديث عن «لواعج الغرام» في صفحة ٣٣٨ ، ونكتفي بما تقدم .

٧ً ــ كرر جرجي كلمة « نهب » بحق المسلمين في الصفحات : ٢١ ، ٢٣، ٤٦ ، ٤٧ .. وفي هذا مايغني عن التعليق .

٨ً ــ كما بالغ جرجي في إظهار البربر على أنهم يسعون الى الغنيمة ليس غير ، قال في صفحة ٣٨ : « أكثرهم جاؤوا للنهب والسلب ، وخصوصاً البرابرة ومن على شاكلتهم ، فهؤلاء لايفهمون معنى الجهاد أو الفتح ، ولايعرفون ماهو الاسلام ، لانهم انما انتموا اليه رغبة في الغنائم » .

وتراه يسمي البربر « البرابرة » في الصفحات : ٢٨ ، ٣٢٥ ، ٣٣٠ ، ٣٣١، ٣٣٦ . وشتان بين المعنيين ، بين قبائل تسكن الاطلس والمغرب الاقصى ، وبين معنى « البرابرة » التي أُطلقت على القبائل الهمجية التي جاءت أوربة فدمّرتها، وأبادت مدناً وقرى ، وفتكت بشعوب بأسرها ، وشمل أذاها الانسان والحيوان والنبات ، حتى الجماد متمثّلا في هدم الآثار الرومانية أينما حلّوا ، فسمّيت

هـذه القبائل لهمجيتها وبدائيتها ووحشيتها « البرابرة » وهم قبائل الهـون والجرمان والفندال •• فشتان بين المعنيين !!

٩ً ــ عبد الرحمن الغافقي ، البطل المسلم ، الملتزم بإسلامه ، والذي أوصل الاسلام الى قلب فرنسة ، جعل له جرجي في روايته « شارل وعبد الرحمن » [خباءً من النساء] صفحة ٥٠ ، وذلك بدلاً من إظهار مواهبه القيادية وتفانيه في نشر الاسلام ، وهذا يعني نشر الإخاء والمساواة والحضارة الانسانية العالمية في كل معانيها كما جعله يهيم (في صفحة ٥٧) في حب فتاة ، وله قهرمانة مشرفة على خباء نسائه صفحة ٦٨ ، وكذلك صفحة ٧٤ ، حيث يجعل القهرمانة السيدة المتنفّذة ، تولّي وتعزل حتى الخلفاء ، طبعاً دون ذكر أمثلة من التاريخ كعادته •

وفي الصفحتين ٧٤ و ٧٩ يجعل للامير هانىء خباء نساء أيضاً ، وهانىء هو الشخصية الثانية بعد الغافقي ، ثم يجعـل لكل أمير « خباءه وجـواريه » في الصفحات : ٨٨ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، ٢٦٥ • وفي الصفحة ٩٥ بالذات يجعـل للقائد المسلم عبد الرحمن الغافقي [عشرات من النساء في خبائه]، فهل هذه حقائق؟ وأين مصدرها ؟

١٠ً ــ يكرر جرجي في روايته العبارات التالية :

ظنّت ، ودلّها قلبها ، قالت في نفسها ، أحسّ ، تذكّر في نفسه ، تصوّر ، فأسرّ في نفسه ، أضمرت ، لسان حالها يقول ، تبادر الى ذهنه ، خيّل إليه •• كما في الصفحات : ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٩٦، ٩٨ ، ٩٩ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١٧٩ ، ٢٢٧ ، ٢٣٣ ، ٣١٢ ، ٣١٣ •• وبسبب هذا الخيال الخصب ، والفكر الثاقب ، تراه يقرأ ويكتب الافكار ، وما يجول في نفوس الناس ، وما تشعر به قلوبهم، لذلك فانه يكتـب رسائل متبادلة بين عبد الرحمـن الغافقي وشارل مارتل لا أصل لها •

١١ً ــ ذكر جرجي أن المسلمين أينما ساروا في فرنسة « غاليا » ، وجدوا قرى وبيوتاً تركها أهلها ، كما في صفحة ١١٢ ، والثابت تاريخيا أن المسلمين لم يؤذوا ، ولم يصيبوا المدنيين بسوء مطلقاً ، فهجر البيوت ، وترك القرى صورة عرفتها أوربة عند مجيء الجرمان والهون والفندال •• أولئك الذين حصدوا كلّ شيء في زحفهم ، أما المسلمون •• وباعتراف المؤرخين الاسبان مثلا ، فإن بلادهم شهدت قمة مجدها ورقيّها وتعلمها وانسانيتها عند الفتح الاسلامي ، وكانت شعوب فرنسة تتمنى انتصار المسلمين ليصلوا الى ما وصلت اليه اسبانية من تقدّم •

ولسوء طويّة جرجي ، فقد وصف المسلمين في صفحة ١١٣ ، بأنهم « ساروا كأنهم بحر يتلاطم بالامواج » ، بينما الفرنجة « كثيرون » ، والثابت تاريخياً أن المسلمين كانوا سبعين ألفاً ، والفرنجة هم البحر المتلاطم بالامواج ، فكأنه لايريد التماس عذر لانسحاب المسلمين في بواتييه ، فهم بحر يتلاطم بالامواج ، وعددهم أقل منهم عَدداً ،وذلك ليؤكّد الفخر للفرنجة بالنصر •

١٢ً ــ مسرح الرواية ، والقسم الاكبر من أحداثها في الاديرة ، ويكرر تقبيل يد الرهبان للتبرّك بهم ، ويذكر حقوقهم من الاحترام والتقديس •• كما في الصفحات : ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٥٠ ، ٢٨٧ ، ٢٧٩ •• بينما ذكر القرآن العظيم مرة واحدة : صفحة ٣٢٦ ، وكأنه كتاب عادي ، لاعلاقة للفاتحين به ، فقال : « قرآن » هكذا ، لا كريم ولا عظيم •• ومتى ذكره ؟ ذكر القرآن الكريم قبيل المعركة مباشرة • لقد تليت آياته ولم تغنِ المسلمين شيئاً، فلم ينتصروا في بواتييه ، وفي هذا مافيه من الدس لتحقير شأن القرآن المجيد، وإظهار عدم جدواه في المواقف الصعبة •

١٣ً ــ يقول جرجي في صفحة ١٦٢ : « إن امرأة شاهدت في الدير شاباً مجنوناً « سكنَهُ شيطان » ، فسألت عن قصته فقال رئيس الدير : « اعلمي

يا ابنتي أن هذا الشاب من جملة الافرنج الذين تجندوا لمحاربة أولئك العرب، حين بلغهم إقدامهم على فتح هذه البلاد ، وكانت له والدة لايعرف من الاهل سواها ، ولا هي ترجو سواه ، فتركها في بيتها وسار الى الحرب ، فاتفق في أثناء غيابه جاء المسلمون الى ذلك البلد ، ونهبوا بيت المرأة ، وساقوها في جملة السبايا الى قلعتهم في تلك المنطقة ، فلما عاد الشاب الى بلده وأخبروه بما حدث لأمّه ، ساق جواده الى تلك القلعة ومعه جماعة من الرفاق ، فأطلّ على القلعة وكانت موصدة ، فأشرف عليه أحد المسلمين من فوق السور وسأله عن غرضه، فقال له : أطلب والدتي فإنها أسيرة عندكم ، فأجابوه : لانرد لك أمك إلا اذا أعطيتنا الجواد الذي تركبه ، وإلا فإننا نذبحها أمام عينيك ، فغضب ــ واسمه داتوس ــ لذلك غضباً شديداً ، وقال لهم : لا أعطيكم ، وافعلوا بوالدتي ماتشاؤون ، قال ذلك وهو يظن أنهم يخوّفونه بتهديده بقتلها ، وأنهم لا ينوون اعدامها فعلا ، ولكنه مالبث أن رآهم احتزوا رأسها ورموه اليه وهم يقولون : هذه والدتك فإليك هي ، فلما رأى والدته صعد الدم الى رأسه ، وغاب عن رشده ، ولما عجز عن الوصول الى القاتلين لتحصّنهم وراء الاسوار ، جعل يلطم وجهه ويصفّق ويبكي ويركض فرسه يميناً وشمالا كالمجنون ، ثم انقطع عن أصحابه وأقام عندنا » .

هذا ما أراده جرجي على لسان رئيس الدير ، فالحمد لله حصحص الحق، انها فرية ودسيسة تنفيها وتدحضها أخلاق المسلمين الفاتحين بالرحمة والانسانية. فمن دستورهم في الحرب : « لاتخونوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ولاتمثلوا ، ولاتقتلوا طفلا صغيراً ، ولاشيخاً كبيراً ، ولا امرأة ... » ، هذه هي أخلاق الفاتحين المسلمين ، وهذا من نهج معاملتهم للشعوب ، لا كما يدعي ويتخيّل جرجي على لسان راهبه رئيس الدير .

والملاحظ لمسار القصة يلمس كذبها بقرينة ودليل :

١ ـ المسلمون جاؤوا الى بلد ، ما اسمها ؟ أين تقع ؟ انها بلد مجهولة.

٢ ـ كلمة « نهبوا » تدل على نفسية المؤلف الحاقدة على المسلمين.

٣ ـ عبارة « تلك المنطقة » تدل على الضياع ، ما اسم المنطقة ؟ لا يدري أحد ولا جرجي ولا رئيس الدير .

٤ ـ المسلمون في « قلعة » خلف أسوارها ، هل للمسلمين قلاع أو حصون قرب بواتييه في أرض فرنسة ؟!؟

٥ ـ وصل الجندي الافرنجي فأشرف عليه ـ من وراء الجُدُر ـ جندي مسلم ، كيف أحسّ به ، ومن أعلمه بقدومه ؟ وبأي لغة تفاهما ؟ بالعربية ؟ أم بالافرنسية ؟ أم بواسطة ترجمان ؟!؟

٦ ـ الجندي المسلم يطمع بالجواد ، يطمع بغنيمة ، هـذه نذالة ، بينما الجندي الافرنجي شهم لا يعطي جواده ، فعليه سيحارب المسلمين ، وما الذي يمنع المسلمين من أن يخرجوا اليه ، وهو في قلة مع رفاقه ليأخذوا الجواد وتبقى الأم أيضاً معهم ؟

٧ ـ أمُّ الجندي الافرنجي سبيَّة بحسب قول جرجي على لسان « رئيس الدير » موجودة مع المسلمين ، لماذا يذبحونها إن لم يعطهم ابنها الجواد ، ماذا خسروا بعدم إعطائهم الجواد لتُذبَح وتعاقَب ؟!

٨ ـ أظهرت الدسيسة أن المسلمين أهل ظلم وعسف ووحشية ، وأظهرت الجندي الافرنجي بالجرأة والحمية والغضب للحق ، والهياج للعدالة ، فهل هذا صحيح ؟!؟

هذه ملاحظات ثمان ، تغنينا عن التعليق ، ففي النفس ألم ، وفي القلـب

غصّة على تاريخنا المجيد كيف يشوّه ، وعلى رجالاته كيف يُساء إليهم أمام أعيننا ونحن غير عابئين أو مبالين !!

١٤ً ـ من الخطوط العامة للرواية :

هانىء (العربي) قائد الفرسان ـ وهو شخصية خيالية ـ أحبّ ربة الحسن والجمال والانوثة مريم ، أو « مغيم » بحسب قول جرجي ، نافسه على حبها بسطام « البربري » ـ وهو شخصية خيالية أيضاً ـ فتقتل مريم بسطاماً لتتنعّم بحبيبها هانىء (العربي) ، ثم ينافسه في حبها القائد العظيم عبد الرحمن الغافقي !! كما في الصفحات : ١٠٦ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٤٠ ، ١٤٣ .

ويجعل جرجي لمباجة : [أدرى بجيش المسلمين من عبد الرحمن] هكذا وهي نصرانية تكيد للمسلمين ، وهي عندهم في معسكرهم لايدرون طويتها ، كما في الصفحات : ٥١ ، ٥٢ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٨٤ ، ٢٢٣ ، ٢٦٤ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

لقد جعل جرجي التنافس بين العرب والبربر يمثله التنافس بين هانىء وبسطام ، ثم جعل الغافقي يخفق قلبه لفتاة،فتشغله عن أمور الفتح والجيش كله.

وكل هذا مغالطات غنية عن التعليق .

١٥ً ـ يقول جرجي في نهاية الرواية:فرّ الجيش المسلم من المعركة،فبينما الشخصيتان الخياليتان هانىء ومريم لم يفرّا ، لايليق بهما ذلك ، فقرّرا الموت معاً طواعية : « الموت معك حياة ياحبيبي .. ياحبيبي .. آه ما ألذ هذا اللفظ، وكم كنت أتلذّذ بتكراره في خلوتي ، وأتحسر على سماعه من فمك[1] » .

لقد عزما على النزول في البحر ليغرقا ، ويصبحا طعاماً للاسماك ، ولكن هانئاً لما فرغت مريم من قولها أشار بعينيه الى جسمها الغض ، وقال لها :

(١) صفحة : ٣٤٢ .

« أليس غبناً أن تذهب هذه الاعضاء طعاماً لأسماك البحر ؟ فقطعت كلامه قائلة : ذلك خير لها من أن يفترسها وحوش البر الذين يسمون أنفسهم بني الانسان .. عجّل ياهانيء قبل أن يغلب علينا حب البقاء[1] .. » .

« فمدّ يديه ومدت يديها ، وتخاصرا من جانب ، وتماسكا من الجانب الآخر .. ومشيا على الرمل حتى غرقت أقدامهما في الماء ، فأحسّا ببرده وبانزلاق الرمل تحت الاخمصين ، وكانا كلما انغمرا في الماء ازدادا تعانقاً وازدادا تجاذباً حتى أصبحا جسماً واحداً ، وغطسا في الماء وكل منهما يتلذذ بذكر اسم الآخر ، وبعد دقيقة بدا بعض الرأسين ، والشعر سابح على سطح الماء ، ثم غطسا الى قاع النهر ، ولم يعد يعلم مصيرهما إلا الله[2] ... » .

غريب عجيب .. غريب عجيب .. شخصان غرقا الى قاع النهر « ولم يعد يعلم مصيرهما إلا الله » !! ومع قناعتنا بكذب الرواية كلها ، القناعة الكاملة ، فنحن نناقش ما ورد كرواية بين يدي الناس ، فنقول تعليقاً على نهاية وختام الرواية كما جعلها جرجي :

كل قارىء مهما كانت ثقافته يعلم مصيرهما «غطسا الى قاع النهر» . ماهو الاحتمال الثاني غير الموت بعدالغرق والانتحار؟! أبمثل هذه الغراميات والترّهات يكتب تاريخ الاسلام ؟!

في حادثة انتحار هانيء ومريم مغالطة واضحة ، فإن الثابت علمياً أن المنتحر يقدم على الانتحار ، ولكنه عندما يشعر بالالم أو بالخطر المحتّم فانه يستنجد ويحاول التخلّص مما أقدم عليه ، فعجباً كيف مضى الاثنان متخاصرين إلى حتفهما ؟ انّها الروح الروائية التي تعبث بكل القيم .

ان فكرة الانتحار نفسها ما هي إلا من اختراع الكاتب ليقرر فكرة ضعف

(١و٢) صفحة : ٣٤٣ .

الايمان عند هانىء والعرب بشكل عام ، فاذا أثبت هذا الامر كحقيقة واقعة ، أثبت بطلان فكرة الجهاد والفتح لغاية انسانية شريفة ، ليقنعنا أن الفاتحين ماقاموا إلا في سبيل السلب والنهب ، ويظهر ذلك إجلاله لأطراف الرواية الاخرى مثل شارل وأودو ..

وأقول هنا ، القول المشهور :

« ما تألمت نفسي إلا لثلاثة : غني افتقر ، وعزيز ذل ، وحكيم تلاعبت به الجهّال » ، بتغيير كلمة واحدة .. « وتاريخ تلاعبت به الجهّال » .

إن كان جرجي جاهلا ؟!؟



أبو مسلم الخراساني

★ وأمر القصاصين أن يتلوا على الجيش أقوال عنترة وغيره من أشعار الجاهليين في الحماسة والفخر استنهاضا للهمم ، وتحريضا للجند ، على عادة العرب في حروبهم حينذاك •

جرجي •

يقول جرجي عن هذه الرواية أنها « تشتمل على سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ، وسعي أبي مسلم الخراساني في تأييدها ، الى قتله في خلافة المنصور،مع وصف عادات الخراسانيين وأخلاقهم وغير ذلك» [الصفحة١]•

أما أبطال الرواية هذه فهم :

* ابراهيم الإمام	: صاحب الدعوة العباسية
* أبو مسلم الخراساني	: عبد الرحمن بن مسلم
* أبو العباس عبد الله بن محمد	: أول الخلفاء العباسيين
* أبو جعفر المنصور	: ثاني الخلفاء العباسيين
* نصر بن سيار	: أمير خراسان
* دهقان مرو	: أحد الأمراء الفرس
* جلنار	: ابنة دهقان مرو
* مروان بن محمد	: آخر الخلفاء الأمويين
* خالد بن برمك	: قائد عباسي
* أبو سلمة الخلال	: ممول الدعوة العباسية

ومن استعراض هذه الاسماء نجد أن « دهقان مرو » ليس اسماً بل تعني كلمة « دهقان » الامير • وجلنار « ابنة دهقان مرو » شخصية خيالية ، هي وأبوها •• لاوجود لهما أبدا على مسرح الحياة •

وجلنار •• على جانب عظيم من الجمال ـ كالعادة ـ مستديرة الوجه ، ممتلئة الجسم ، طويلة القامة معتدلتها ، بيضـاء البشرة مع حمرة تتلألأ تحت البياض ، سوداء الشعر مسترسلته ، نجلاء العينين كحلاؤهما ، تفيض جاذبية وحلاوة ، وكان لها في مقدم الذقن فحصة ، واذا ابتسمت ظهر على جانبي فمها فحصتان هما « الغمازتان » ••• [الصفحة : ٧]•

والرواية كلها حول جلنار «الخيالية» التي لاتحب أن تتزوج بابن الكرماني وتفتش عن حبيب يعاصر الاحداث ، فكان عبد الرحمن بن مسلم ، أي أبو مسلم الخراساني • وبهذا ••• الرواية كلها حشو كلام ، ووصف لأماكن ، ومواقف غرام •• ومع ذلك نذكر هذه الملاحظات :

١ً ـ قال جرجي في الصفحة السابعة : « وكانت جلنار تعرف العربية كأكثر أهل فارس في ذلك العصر لأنها لسان الفئة الحاكمة »•

مع أن أهل فارس وغيرهم في ذلك العصر عرفوا العربية لسبب رئيسي هو: أنها لغة القرآن الكريم ، وبالتالي لغة العبادة !!

٢ً ـ يظهر جرجي خالدَ بنَ برمك مسلماً ملتزماً ، يقول في الصفحة ١٣: « لقد انقضت أيام النوبهار ـ أي بيت النار ـ وتخلَّصنا من عبادة النار لمّا هدانا الله بالاسلام » •

مع أن البرامكة كانوا يميلون الى كسروية مجوسية •• ووُصف يحيى بن خالد بن برمك بأنه : « حاسد يكيد الاسلام وأهله ، ويحب الإلحاد وأهله »[1]•

(١) الطبري ، ج : ٨ ، ص : ٢٨٨ ، والبداية والنهاية ، ج : ١٠ ، ص : ١٨٩

لقد حمى البرامكة بجاههم وبالاموال التي وُضعت بين أيديهم المجوس والثقافة الفارسية .. ولقد آوى البرامكة كثيرين ممن اتهموا بالزندقة كهشام ابن الحكم الرافضي ومحمد بن الليث الخطيب .. وشجعوا المانوية والزرادشتية والمزدكية بحجة حرية الرأي[1] ..

لذلك قال كثيرون ان البرامكة يطربون لذكر الشرك والكفر في مجالسهم الخاصة، قال الاصمعي في البرامكة:

اذا ذُكِر الشِّركُ في مجلس أنارت وجوه بني برمك
وإن تُليَت عندهم آيةٌ أتوا بالاحاديث عن مزدك[2]

وقال آخر:

إنَّ الفراغ دعاني الى ابتناء المساجد
وإنَّ رأيي فيها كرأي يحيى بن خالد[3]

وقال كلثوم بن عمرو بن الحارث التغلبي « أبو عمرو »:

إن البرامكَ لا تنفكُّ أنجية بصفحة الدين من نجواهم نَدَبُ[4]
تجرَّمت[5] حجج منهم ومنصلهم مضرَّج بدم الاسلام مختضبُ

فكيف نظهر خالد بن برمك مسلماً ملتزماً؟!!

٣ً ــ وفي الصفحة ١٤ قال جرجي: « ولا يخفى عليك أن آل بيت النبي

---

(١) راجع كتابنا « هارون الرشيد : أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا » ، بحث البرامكة من ص : ١٣٤ الى ص : ١٥١ .

(٢) عيون الاخبار ، ج : ١ ،ص : ٥١ .

(٣) عيون الأخبار ، ج : ١ ، ص : ٥١ أيضا .

(٤) ندب : جمع ندبة ، أثر الجرح الباقي على الجلد .

(٥) تجرمت : انقضت .

لايرون فرقاً بين العربي والعجمي ، بل هم يفضلون العجم على العرب ، ولذلك كانت شيعتهم من الفرس » •

وهذا الكلام كله تناقض ومغالطات •• آل بيت النبي ﷺ وكل مسلم من صلب عقيدته « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، ومن صلب عقيدته « لافضل لعربي على أعجمي ، ولا لأبيض على أسود •• » أما عبارة « بل هم يفضلون العجم على العرب » ، فلا دليل عليها ••• أما كون الفرس من شيعة علي فمرد ذلك الى انحياز بني أمية للعنصر العربي ، فانحاز الفرس الى أعداء الامويين من آل البيت •

٤ً ـ وتقطر « الشعوبية » من كلمات جرجي في هذه الرواية ، فإن جعل لجلنار خادمة أو خادماً ، جعل الذكاء والفطنة والدهاء واللباقة فيهما لانهما من بلاد فارس ، أما إن تكلم عن عربي ، فتراه يقول في الصفحة ٢٩ : « وما الذي يدعوه الى التظاهر بالبله[1] وهو عربي ، والعرب أصحاب هذه الدولة ، فلو لم يكن البله سجية فيه لكان من أكبر رجال الدولة ، وكان في غنى عن الخدمة» •

عربي أبله •• صفة ماقالها جرجي لأقوام وقوميات أخرى ؟!؟!

٥ً ـ وفي الصفحة ٣٨ : « فارقتها والحصار شديد عليها ، والاعداء محدقون بها » •

والاعداء هنا هم العرب !!

٦ً ـ وفي الصفحة ٤٩ : « لولا ظلم هذه الدولة ـ الأموية ـ واستبدادها لاعتنقوا الاسلام » •

---

(١) البله لغة : الغفلة عن الشر وأن لا يحسنه « لسان العرب ، ج : ١٣ ، ص : ٤٧٧ » ، وتقول فتاة أنطقها جرجي أيضاً في ص : ١١٠ : « لا ريب أن أبي ارتكب خطأ كبيرا بتزويجي من ذلك العربي » ؟!!

ما أغرب هذه العبارات .. المغرب العربي فتح أيام الدولة الاموية واعتنق الاسلام الى الابد .. ماوراء النهر .. السند .. فتحت هذه المناطق أيام الدولة الأموية واعتنقت الاسلام الى الابد .. وهناك فئة قليلة العدد في جبال فارس بقيت لمدة وجيزة على عبادة النار فعمَّم جرجي هذه الجزئية الصغيرة ليتكلم عن ظلم دولة نشرت عدالة الاسلام الى حدود الصين والى قلب فرنسة !!

٧ً ــ وفي الصفحة ٧٨ : « وأمر القصاصين أن يتلوا على الجيش أقوال عنترة وغيره من أشعار الجاهليين في الحماسة والفخر استنهاضاً للهمم ، وتحريضاً للجند ، على عادة العرب في حروبهم حينذاك » . ويتابع في الصفحة ٧٩ : « وطلب إليه بعضهم أن يقص عليهم قصص حرب البسوس ، ويوم ذي قار الذي انتصف فيه العرب من العجم وغيرهما من أيام الجاهلية المشهورة ، فأجابهم الى كل ما طلبوه ، سواء أكان قصة ، أم شعراً ، أم ضرباً على الطنبور ، بينما رفيقه ينقر على الدف نقراً حسناً .. فطرب الجميع » .

نحن نعرف أن المسلمين كانوا يتلون على الجيش قبيل المعركة « سورة الانفال » فهي سورة الجهاد لما فيها من ذكر ثواب المجاهدين ، وفضل الشهداء، والثبات عند ملاقاة الاعداء .. ونحوها .. وما سمعنا أن جيشنا المسلم كانت أقوال عنترة وأشعار الجاهليين تدفعه الى الجهاد ، وما سمعنا أن جيشنا المسلم كانت ذكريات حرب البسوس وأيام الجاهلية المشهورة تحمسه الى الشهادة !!

ويلاحظ كنتيجة طبيعية من سرد كلام جرجي أن أقوال عنترة وغيره من أشعار الجاهليين وحرب البسوس وأيام الجاهليين المشهورة .. لم تشحذ همم المجاهدين ، ولم تشجع أو تحمس أحداً .. قال جرجي : « فطرب الجميع » مادامت هذه الاشعار تقال على نغم الطنبور والدّف ؟!!

٨ً ــ جعل جرجي أحداث تاريخنا « غراماً وانتقاماً » ، نذكر في هــذه

الملاحظة عبارات الانتقام المتأججة بحقد وضغينة •• ثم نذكر عبارات الغرام••

ــ ص : ١١٨ : « وكيف لا أرغب في الانتقام •• فاذا كنت أنت تريد الانتقام لانه أراد قتلك فكيف بي أنا ؟ » ، « فهم أعداؤه الالداء وهم الذين ينتقمون لنا منه » ، قالت : « وكيف ينتقمون لنا ؟ هل يجردون جيشاً لقتاله دفاعاً عنا ، وهب أنهم يفعلون ، فهل تراهم يفلحون والرجل محصَّن في مرو ؟»•

ــ ص : ١٢٠ « وهذا أشد انتقام نستطيعه ، فارتاحت جلنار الى رأيه ، وقالت : هذا هو الصواب » •

ــ ص : ١٢٩: « لا يغرنك ضعف هذا القلب فاني سأغلبه وأنتقم لأبي شر انتقــام » •

ــ ص : ١٥٤ : « لابد من الاخذ بالثأر ولو بعد حين ، وكل آت قريب»•

٩ً ــ أما عبارات الغرام الدافق ، فهي بالعشرات ، بالمئات • نختار منها:

ــ ص : ١٢ : « فلما سمعت جلنار هذا الاسم ــ اسم أبي مسلم الخراساني ــ اختلج قلبها •• امتقع لونها لدهشتها من رؤيته على غير انتظار مع مافي نفسها من حبــه » •

ــ ص : ٣٧ : « إن مولاتي الدهقانة أجمل أهل زمانها ، وما من أمــير أو دهقان إلا وتمنى رضاها ، ولكنها تمنع نفسها عن كل طالب » •

ــ ص : ٤٥ : « فنهضت وأخذت ريحانة في إلباسها ثيابها وتطييبها وضفر شــعرها ، وجلنار ساهية ، حتى أتتها بالمرآة وقالت : انظــري إلى هذا المحيا وقولي سبحان الخلاق » •

فحوّلت جلنار وجهها عن المرآة كأنها لا تريد أن ترى صورتها ، وقالت:

« لاتخدعيني بهذا الإطراء يا ريحانة ، لو كان في وجهي جمال لما كنت في هـذا الشـقاء » •••

ثم تناولت تفاحة وقدمتها إليها وهي تقول : « ما أشبه هذه التفاحة بلون خدّيك » •

ــ ص : ٤٨ : « فوقفت ودنت من المرآة لتصلح من شأنها ، فسارعت ريحانة الى المشط فسرّحت لها شعرها وضفرته ، وأتتها بقارورة الطيب فتطيبت، ولبست ثوباً سماوي اللون ، والتفّت بشال موشّى بالحرير ، وهي تضطرب من التأثر وترتعد رعدة الحب ، وتتظاهر بأنها انما ترتعد من البرد » •

ــ ص : ٤٩ : « وكان أبو مسلم في أثناء الكلام ينظر الى جلنار من طرف خفي ، وهي تسارقه النظر وقد كاد قلبها يطير سروراً لما رأته يبتسم لها ، وأصبحت لا تبالي ، بما قد يحول بينها وبينه من المشاق ، بل استغربت ترددها في أمره من قبل ، ولا غرابة في ذلك لان الانسان اذا هاجت عواطفه ، أصابه ضرب من الجنون فلا يقدر للأمور عواقبها ولا أخطارها ، والحب سلطان مستبد اذا لم يعتـرضه العقل جرّ صاحبه الى أكبر الكبائر ، فكم من عاقل غفل عن حكم عقله في ساعة تغلبت فيها عواطفه ، فارتكب أمراً جرّ عليه الخراب أو العار أبد الدهر ، وقد كان في غنى عن ذلك لو أنه تحكم في عواطفه ساعة أو بعض الساعة • ولو أعملت الفكرة في أكثر الجرائم التي يرتكبها البشر ويشقون بسببها لرأيتها أنها حدثت في مثل تلك الغفلة ، فلا غرو اذا هان على جلنار ركوب ذلك المركب الخشـن إرضاء لحبيبها ، ولم يعوزها للتفـاني في ذلك إلا ابتسامة خـرقت أحشاءها وأضاعت رشدها • على أنها ظلّت تتجلّد وتتظاهر بخلو الذهن مخافة أن يبدو أمرها لأحد من الحاضرين » •

ــ ص ٥٧ : « فرفع أبو مسلم نظره الى القبة وكانت قد صـارت على

خمسين خطوة منه ، فرأى وجهاً مُطِلاً من خلال الستور اذا شبهناه بالقمر ظلمناه ، لان القمر صحيفة لاماء فيها ولا حياة ، ولو كان لأبي مسلم قلب يهوى ما استخف بعواطف تلك الفتاة المستهامة ، ولكنه خلق من عقل ودهاء وطمع وكبرياء وابتعد قلبه عن محبة النساء ، ولم يعرف قلبه من أنواع الحب إلا حب المعالي ، والانتصار بالرأي والشجاعة » • هكذا أراده جرجي عصامياً مثالياً!!

ـ ص ١٠٨ : « نزلت جلنار في قصر الدهقان صـديق أبيها بجوار دار الإمارة ، وقد استأنست بقرب الحبيب » •

ـ ص ١٠٩ : « فأوجست من هذا التحذير خوفاً ، ولكنها شغلت بما هاجه فيها لقاء أبي مسلم لأول مرة على انفراد ، وفي قلبها من لواعج الحب وعوامل الإعجاب ما فيه » •

ـ ص ١١٠ : « فأشار اليها أن تقعد فقعدت على وسادة بين يديه ، وقد أرهبتها الخلوة مع رجـل تحبه وتعتقد أنه يحبها فغلب عليها الحياء تمازجه رعشة الحب » •

« إن في هذا القلب (وأشارت إلى صدرها) من الحب له ما لو تفرّق في عشيرة لكان كل منهم عاشقاً » •

ـ ص ١١١ : « فاستغربت جوابه البارد على خطابها الحار ، وقالت : ألا تزال تذكر ذنب أبي بجانب اخلاصي في حبك ؟ »•

قال : لا تقولي حبي ، بل قولي حب دعوتي ومنفعة خراسان •

فأنكرت تنصّله من الحب ، وشعرت بأنها في واد وهو في واد ، فقالت : بل في حبك أيها الامير •

قال : وما الباعث على ذلك والحب ينتهي الى الزواج ، وأنا لا مأرب لي

في النساء وأعد الزواج جنوناً ، فقد تزوجت ويكفي للانسان أن يجن في حياته مرة واحدة ، واعلمي ياجلنار أني لو كنت ممن يهيمون بالنساء لما استطعت القيام بالدعوة التي أنا قائم بها »

وهكذا ••• غرام وانتقام لحبيبة خيالية اسمها « جلنار » ، وكل ذلك في روايات تحمل العنوان التالي : « روايات تاريخ الاسلام » •

١٠ً – يقول جرجي بحق أبي جعفر المنصور في الصفحة ١٣٧ : « وكان المنصور شديد الاعتقاد بالتنجيم ، وقد علم بذلك صالح ، فقال له : إني خبير بالتنجيم الروحاني ، أطلع على المخبآت بمراقبة النجـوم ولكنني لا أستخدم الاصطرلاب ، فقل ماتريد ، فإني سامع »•

– ص ١٣٨ : «وكان المنصور ذا دهاء ومكر مع ايمانه بالولاية والتنجيم»•

– ص ١٦٢ : « نعم ، هو بعينه المنجم حاييم ، وهو من يهود حرّان » •

– ص ١٦٢ : « فأخبره بأمر الرجل وأنه يؤثره على سائر المنجمين ، ويود أن يستعين به عند الحاجة » •

– ص ١٦٤ : « فضحك خالد لمعرفة صالح بذلك الاسم الجديد ، وقال: مسكين حاييم ، أين هو من التنجيم ؟ ومع ذلك فهو منخرط في جملة منجمي الخليفة يأخذ من أعطياتهم •• » •

أين هذا الهراء والكذب على المنصور من واقعه الصحيح ؟!

وما أخبث عبارة « منجمي الخليفة » !! فليتصور القارىء خبث العبارة ••• إن الخليفة العباسي بذلك في منتهى البساطة والسذاجة •• أمور الدولة لا يسيِّرها عقل أو علم أو تفكير سليم •• بل تسيِّرها طائفة من « منجِّمي الخليفـة » ؟!!

والتاريخ يقول بحق المنصور :

هو المؤسس الثاني للدولة العباسية لانه استطاع بما أوتيه من حزم وعزم وشدة وبأس ويقظة وصلاح واهتمام بمصالح الرعية والجد في بلاطه أن يوطد دعائم ملكه على أسس قوية من النظام •

وكان ميالا بطبيعته الى النظام الذي هو أساس نجاح الاعمال ، فكان ينظر في صدر النهار في أمور الدولة وما يعود على الرعية من خير ، فاذا صلّى العصر جلس مع أهل بيته ، فإذا صلى العشاء نظر فيمايرد عليه من كتب الولايات والثغور وشاور وزيره ومن حضر من رجالات دولته فيما أراد من ذلك ، فاذا مضى ثلث الليل انصرف سمّاره ، وقام الى فراشه ، فنام الثلث الثاني ، ثم يقوم من فراشه فيتوضّأ ، ويجلس في محرابه ، حتى مطلع الفجر ، ثم يخرج فيصلي بالناس ، ثم يدخل فيجلس في إيوانه ويبدأ عمله كعادته في كل يوم[١] •

كما اشتهر المنصور بالجد في بلاطه ، فلم يعرف عنه ميل الى اللهو والعبث • روى الطبري عن حماد التركي أن المنصور سمع يوماً في داره جلبة ، فقال : ماهذا يا حماد ؟ انظر ! فذهب فاذا خادم له قد جلس بين الجواري وهو يضرب لهن بالآلة الموسيقية المعروفة بالطنبور ، وهن يضحكن ، فمشى رويداً رويداً حتى أشرف عليهن • فلما رأينه تفرّقن ، فأمر المنصور مولاه بأن يضرب رأس الخادم بالطنبور حتى كسره ، ثم أخرجه المنصور من قصره •

علم المنصور يوماً أن رجلا مظلوماً في سجن همذان ، فبعث من فوره بعض خاصته ليفتشوا عنه ، فوجدوا شيخاً موثقاً بالحديد •• فأمر المنصور باطلاق سراحه وولاّه همذان ، فشكره الرجل وقال : يا أمير المؤمنين ! أما الولاية فلا أصلح لها ، وأما واليك فقد عفوت عنه ، وعاد هذا الرجل معزّزاً مكرماً الى أهله ، وصرف المنصور الوالي عن ولايته وعاقبه على فعلته •

---

(١) تاريخ الاسلام ، ج : ٢ ، ص : ٣١ •

وكان المنصور يكره سفك الدماء إلا بالحق •

وعرف بالثبات عند الشدائد ، ولاشك أن هذه الصفة كانت من أبرز الصفات التي كفلت له النجاح اذا صادفته احدى الصعوبات ، وكانت كثيرة في عهده كما نعلم ، ومما يسجل للمنصور بالفخر والاعجاب ، قيامه في وجه من خرجوا عليه من أهل بيته ، ومن أبناء عمه من العلويين ، فقد تغلب عليهم بفضل هذا الثبات ، ووطّد دعائم ملكه بعد أن أصبح قاب قوسين أو أدنى من الوهن والانحلال •

وقال المسعودي : وكان ــ المنصور ــ من الحزم وصواب الرأي وحسن السياسة على ما تجاوز كل وصف ، وكان يعطي الجزيل والخطير ماكان إعطاؤه حزماً ، ويمنع الحقير اليسير ماكان اعطاؤه تضييعاً ، وكان كما قال زياد : لو أن عندي ألف بعير ، وعندي بعير أجرب ، لقمت عليه قيام من لايملك غيره[1] •

وقد وصف صاحب الفخري[2] (في الآداب السلطانية) المنصور في هذه العبارة فقال : كان المنصور من عظماء الملوك وحزمائهم وعقلائهم وعلمائهم وذوي الآراء الصائبة منهم والتدبيرات السديدة ، وقوراً شديد الوقار ، حسن الخلق في الخلوة ، من أشد الناس احتمالا لما يكون من عبث أو مزاح ، فاذا لبس ثيابه وخرج الى المجلس العام تغيَّر لونه ، واحمرت عيناه ،وانقلبت جميع أوصافه •• وكان يلبس الخشن ، وربما رقع قميصه ، وقيل ذلك لجعفر بن محمد الصادق فقال : الحمد لله الذي ابتلاه بفقر نفسه في ملكه •

وعرف المنصور بالفصاحة في القول ، والإبانة عن مقصده •

هذه الشخصية •• ماورد مطلقاً مايذكره جرجي عنها ، لقد وصفها بأنها

(١) مروج الذهب ، ج : ٢ ، ص : ٢٤٥ ــ ٢٤٦ •
(٢) صفحة : ١٤١/١٤٢ •

تملك طائفة من المنجمين تشويهاً وتحقيراً لمقام رفيع، لانه قتل أبا مسلم الخراساني.

١١ً ـ في الصفحة ١٧٣ يجعل جرجي سبب قتل المنصور لأبي مسلم : « ألست الكاتب إليّ تبدأ بنفسك ، وتخطب عمتي آمنة بنت علي ، وتزعم أنك ابن سليط بن عبد الله بن عباس ؟ لقد ارتقيت لا أمّ لك مرتقى صعباً » .

أسباب ثلاثة جعلها جرجي سبب مقتل أبي مسلم الخراساني . والحقيقة التاريخية تقول :

العداء بين الرجلين بدأ منذ أيام أبي العباس السفاح ، لان أبا مسلم كان يظهر استخفافاً بأبي جعفر ، وعمل على الحط من هيبته بإنفاقه الاموال الضخمة في الترفيه عن العرب، ثم بتقدمه عليه في الطريق بعد أداء فريضة الحج وهو أميره.

وعندما أتى أبا مسلم نعي أبي العباس السفاح ، فكتب الى جعفر يعزيه في وفاة أخيه ، ولم يهنئه بالخلافة ، أو يبعث اليه بالبيعة .. ثم بايعه بعد مماطلة ليدخل في روعه القلق من ناحيته .

ولما انتهى أبو مسلم من حرب عبد الله بن علي ولاّه المنصور الشام ومصر ، فغضب أبو مسلم وقال : « هو يوليني الشام ومصر وخراسان لي ؟!» وعوّل على المسير الى خراسان ليستقل فيها ، عند ذلك أوجس المنصور خيفة من ناحية أبي مسلم ، وخشي خروجه عليه ، وعوّل على التخلص منه قبل أن يستفحل شره .. فدبر أمر قتله .

« وفي رأينا أن المنصور انما قام بهذا العمل مدفوعاً بما كان بينه وبين أبي مسلم من حزازات شخصية قديمة ، وقد زاد أبو مسلم النار اشتعالا ، بتماديه في زهوه واعجابه بنفسه واسرافه في قتل النفوس البريئة بغير شفقة أو رحمة ، ومما يؤخذ عليه قتله سليمان بن كثير[1] » .

(١) تاريخ الاسلام ، ج : ٢ ، ص : ١٠٣ .

كل هذا لم يلمح إليه جرجي فضلا عن ذكره تصريحاً •

١٢ً ــ وصف جرجي في الصفحة ١٣٨ ولياً من أولياء الله المسلمين الصالحين ، فما هي صفات هذا الولي كما يراها جرجي مشوهاً صورة المؤمن منوّر القلب الورع التقي :

« وما عتم أن رأى الباب فتح وأطل منه رجل طويل القامة حاسر الرأس حافي القدمين عاري الزندين ، وقد تجعد شعر رأسه ولحيته ، وتلبَّد من الوسخ والاهمال ، وعليه قميص طويل يكسوه الى الركبة ، والقذارة ظاهرة على كل شيء فيه » ؟!!!

١٣ً ــ والاحداث كما هي العادة في الأديرة :

ــ في ص ١٥٣ : دير هند « هذا الدير العامر بالرهبان » •

ــ وفي ص ١٥٤ : دير العذارى « فوصلوا اليه عند الظهر ، فاستقبلتهم رئيسته أحسن استقبال وأنزلتهم على الرحب والسعة ، ولاسيما بعدما رأت من لطف جلنار وكرمها ، فأفردت لها ولريحانة غرفة طلقة الهواء نظيفة الاثاث ، وأوصت الراهبات بأن يقمن على خدمتهما أحسن قيام » •

وفي الصفحة ذاتها : « فأحست جلنار كأن حبلا غليظاً التف حول عنقها وكاد يخنقها لعظم ما ثار في نفسها من اليأس لاضطرارها الى الفرار الى دير تنقطع فيه عن النــاس » •

ــ وفي ص ١٧٠ : « أما صالح فإنه ركب الى دير العذارى •• »•

١٤ً ــ في الخاتمة جلنار عند المنصور •• وطبعاً هذا خيال •• تبكي حبيبها أبا مسلم « وأصبح أهل الدار في اليوم التالي فلم يجــدوها بينهم ولا عرفوا

مكانها ، لانها كرهت معاشرة الاحياء واختارت الاقامة بالدير الذي فيه الامان!! مع حاضنتها بعيدة عن الناس ».

* * *

ان رواية أبي مسلم الخراساني .. رواية شعوبية .. فيها تحقير للعرب وتعظيم للفرس واثارة لنار العداوة الطائفية .. مع أن الشريعة الاسلامية ماحية لكل فخر وتيه غير التقوى ، فارتفع التمايز بالاسلام وتساووا ، وبقيت فئة قليلة من كلا الطرفين في صدورهم حزازات كانت سبباً لحدوث فئتين متقابلتين ، احداهما الشعوبيون وهي التي تحقّر العرب وترميهم بكل معيبة ، والثانية المتعصّبون للعرب . وابن عبد ربه في العقد الفريد أفرد باباً في حجج كلا الطرفين وأقوالهما ، وجرجي لما نقل عن ابن عبد ربه لم يصدّر قوله كما صدره ابن عبد ربه : « قال أصحاب العصبية من العرب » ، وهذه العبارة تعني بوضوح أن هذه الفئة ليست العرب كافة ولا أكثرها بل ولا عشر معشارها .

وركز جرجي في بداية روايته الخيالية على الموالي وقال في الصفحة ٣ : « حتى الذين أسلموا منهم ، يعاملون من خلفاء بني أمية وعمالهم ، ومن العرب عامة في ذلك العهد معاملة العبيد ... » . ونقل جرجي بعض هذا القول من العقد الفريد .. وصاحب العقد نسب القول لشخص فرد هو «نافع بن جبير» فأخذه جرجي وجعله قولا عاماً للعرب « وهذه الصنيعة أي تعميم الواقعة الجزئية هي أكبر الحيل التي يرتكبها المؤلّف لترويج باطله ، بل هي قطب رحى تأليفه[1] » .

وحقيقة هذا القول أن الحجاج لما أسر ابن جبير التابعي المشهور ، وكان من الموالي ، قال له ممتناً عليه : أما جعلتك إماماً للصلاة في الكوفة ولم يكن في

(١) « انتقاد كتاب تاريخ التمدن الإسلامي » ، الصفحة : ٦و٧ .

الكوفة إلا العرب ؟! قال ابن جبير : نعم ، ثم قال له الحجاج : أليس اني لما أردت أن أوليك قضاء الكوفة ضجّ العرب ، وقالوا : لا يصلح للقضاء إلا عربي ؟ ولا يخفى على القارىء أن الكوفة لم يكن اذ ذاك فيها إلا العرب ، وظاهر أن القضاء لايصلح له إلا من كان عارفاً بعوائد أفراد الأمة مطّلعاً على خصائصهم وكيفية تعاملهم فيما بينهم ، وابن جبير لم يكن من العرب ولو كان استنكاف أهل الكوفة من قضائه لأجل كونه من الموالي لاستنكفوا من إمامته للصلاة ، فإن الامامة أعظم شرفاً ، وأرفع محلاً من القضاء .. وهذا أبو حنيفة كان من الموالي وأرادوا أن يولوه القضاء في عصر بني أمية ، فامتنع ولم يرض بذلك .

واذا تذكرنا عواصم الاقاليم لعاد الى أذهاننا : مكة المكرمة ، كان في قضائها عطاء بن أبي رباح أستاذ أبي حنيفة ، اليمن : طاوس ، الشام : مكحول ، مصر : يزيد بن أبي حبيب ، الجزيرة : ميمون بن مهران ، خراسان : ضحاك بن مزاحم ، البصرة : الإمام الحسن البصري ، الكوفة : ابراهيم النخعي .. وكل هؤلاء غير ابراهيم النخعي كانوا من الموالي ، وبعضهم أبناء الإماء ، ومع كونهم أعجاماً ، وكونهم أولاد الإماء ، كانوا سادة الناس وقادتهم ، تذعن لهم العرب ويحترمهم خلفاء بني أمية وولاة الامر .

فعطاء بن أبي رباح كان شيخ الحرم ، وإن بني أمية كانوا يأمرون في الحج صائحاً يصيح : « لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح » ، بل الامر أكبر من ذلك ، كان عطاء يشدد وعظ عبد الملك والوليد فيقبلان منه ، وعظ عبد الملك وهو جالس معه على كرسيه وترفّع عن الاخذ منه ، فقال عبد الملك عند خروجه: « هذا وأبيك الشرف » ، وخاطب الوليد باسمه وشدّد في وعظه حتى أغمي عليه .

أما « طاوس » ، فلما قضى نحبه بمكة ازدحم الناس في جنازته حتى تعذرت الصلاة عليه ، فاستعان والي مكة « ابراهيم بن هشام » بالشرطة ، ومشى في

جنازته عبد الله بن الإمام الحسن واضعاً نعشه على عاتقه،وصلى عليه الخليفة هشام بن عبد الملك الاموي ..

أما مكحول الشامي .. فأحد الأئمـــة المتبوعين ، وقال الزهري العلماء أربعة عدّ منهم مكحولاً .

وأما يزيد بن أبي حبيب فهو الذي أرسله عمر بن عبد العزيز ليفقه الناس في مصر ويفتيهم في المسائل .

وأما ميمون بن مهران .. فمع فضيلته وسيادته ، كان أميراً على الخراج في الجـــزيرة .

أما « الحسن البصري » فحـــدّث ولا حرج ، يذعن له الملوك والسادة والقواد ، وعليه المعول وإليه المنتهى(١) ..

وسعيد بن جبير مولى أسود ، ولاّه الحجاج بن يوسف إمامة الصلاة في الكوفة .. والكوفة إذ ذاك جمجمة العرب ، وقبة الاسلام..فهل تصح بعد ذلك دعوى جرجي أن العرب كانت تستنكف من الصلاة خلف الموالي ؟.

وهذا سالم بن عبد الله بن عمر ابن أمَـةٍ ، ولما دخل الخليفة هشام بن عبد الملك المدينة أرسل اليه يدعوه فاعتذر فدخل عليه هشام ووصله بعشرة آلاف، ثم لما حجّ ورجع كان سالم اذ ذاك مريضاً ، فذهب لعيادته ، ولما توفي صلى عليه، وقال : لا أدري بأي الامرين أنا أُسر ، بحجتي أم بصلاتي على سالم ؟

الامثلة كثيرة عديدة .. يظهر منها أن الموالي كانوا في أيام بني أمية بأعلى محل من الشـــرف والمكانة ، وقدّمهم الخلفاء والامراء لتقواهم وهو مجـــال

(١) « انتقاد كتاب تاريخ التمدن الإسلامي » للعلامة الشيخ شبلي النعماني ، ص : ٩ ـ ١٣ . بتصرف واختصـــار .

المفاضلة • وما سبق ينقض أقوال جرجي في الموالي ، وبخاصة قوله : « حتى الذين أسلموا منهم يعاملون من خلفاء بني أمية وعمالهم ، ومن العرب عامة في ذلك العهد معاملة العبيد » •

وهكذا •• جرجي كما وُصف ذلك الرجل الذي يغلط في علمه من وجوه أربعة : كان يسمع غير ما يقال له ، ويحفظ غير ما يسمع ، ويكتب غير ما يحفظ، ويحدّث بغير مايكتب !!!

العباسة أخت الرّشيد

✶ « إن جعفر تزوج أختك العباسة ، منذ سبع سنين وولدت منه ثلاثـة بنين : أحدهم له ست سنين ، والآخـر له خمس سنين ، والثالث .. عاش سنتين ومات من قريب ، والاثنان أرسلا الى مدينة الرسول ، وهي حا ... مل .. بالرابع » .

جرجي .

يذكر جرجي في الصفحة الاولى أن هذه الرواية : « تشتمل على نكبـة البرامكة وأسبابها ، وما يتخلّل ذلك من وصـف مجالس الخلفاء العباسين ، ومواكبهم ، وحضارة دولتهم في عصر الرشيد » .

وأبطال الرواية في الصفحة الثانية ، وهم :

* هرون الرشيد	: الخليفة العباسي
* جعفر البرمكي	: وزير الرشيد
* العبّاسـة	: أخت الرشيد
* زبيـدة	: زوجة الرشيد
* أبو العتاهية	: شاعر الرشيد
* الامـين	: ابن هرون الرشيد
* عتبـة	: جارية العباسة
* الفضل بن الربيع	: وزير الامين
* مسرور الفرغاني	: الجـلاّد

وجعل جرجي من مراجعه كتاب الاغاني للاصفهاني ، وكتاب « إعلام الناس » للاتليدي ، وديوان أبي نواس ..

نسج جرجي حول رواية مرفوضة تاريخياً روايته «العباسة أخت الرشيد»، وجعل عنوانها إدانة لشخصين كريمين هما : الرشيد والعباسة .

إن رواية جرجي هذه ساهمت إسهاماً كبيراً ومدروساً في تشويه سيرة الرشيد من جهة ، والطعن بسلوك أخته العباسة من جهة ثانية .. فعنوان الرواية فيه تشهير وطعن .. ان قصة الحب الخيالية التي رفضها ، بل ودحضها المؤرخون الثقات ، والتي اختلقت بعد نكبة البرامكة حول العباسة ، أنشأ جرجي عليها صيداً سميناً طرياً طيباً ، انها العباسة ، ومن تكون ؟ انها « أخت الرشيد » !!

فما نسج خيال جرجي من غرام ولقاء وخمريات ولهو ومجون .. ادانة للرشيد فالعباسة أخته .. اذن .. الرواية خوض في شرف وعرض سيد ملوك بني العباس ، وبالتالي خوض وتشويه في قمة الحضارة العربية الاسلامية ، لذلك لم يجعل الخبث عنوان الرواية : « العباسة بنت المهدي »!!

وإن أردنا أن نتكلم عن هذه الحضارة التي تناولها جرجي في روايته تجريحاً وتشويهاً وطعناً .. وعن الرشيد الذي اتهمه جرجي وأدانه بأمور لاصلة لها بالحقيقة العلمية التاريخية ، وعن العباسة التي خاض جرجي بشرفها وسلوكها .. لاحتجنا الى كتاب آخر فيه صفحات مطوّلة .. أو لسجلنا هنا من جديد صفحات كتابنا : « هارون الرشيد : أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا » .

ولكننا .. في هذه الدراسة توخينا عدم الإطالة ، وإيضاح وتسجيل نقاط الدس الرئيسة .. وقبل ايضاح هذه النقاط في هذه الدراسة ، نوضح كذب العمود الفقري لهذه الرواية .. وبانهياره ينهار كل ما قاله ، أو كل ما دسّه ، أو كل ما أراده جرجي من رواية : « العباسة أخت الرشيد » .

* * *

ذكر الاصفهاني في كتابه «الاغاني» رواية مفادها : أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر البرمكي وعن أخته العباسة بنت المهدي ، وكان يُحضرها اذا جلس للشراب ، وذلك بعد أن أعلم جعفراً قلّة صبره عنه وعنها ، وقال لجعفر : أزوجكها ليحل لك النظر إليها اذا أحضرتها مجلسي ، وتقدّم اليه ألا يمسَّها ، ولايكون منه شيء مما يكون للرجل الى زوجته ، فزوجها منه على ذلك ، فكان يُحضرُها مجلسه اذا جلس للشرب ، ثم يقوم عن مجلسه ويُخليهما ، فيثملان من الشراب، وهما شابان ، فيقوم اليها جعفر فيجامعها ، فحملت منه وولدت غلاماً ، فخافت على نفسها من الرشيد ان علم بذلك ، فوجّهت بالمولود مع حواضن له من مماليكها الى مكة ، فلم يزل الامر مستورا عن هارون ، حتى وقع بين العباسة وبين بعض جواريها شرّ ، فأنهت أمرها وأمر الصبي الى الرشيد،وأخبرته بمكانه، ومع من هو من جواريها ، وما معه من الحلي الذي كانت زينته به أمه ، فلمَّا حج هارون أرسل الى الموضع الذي كانت الجارية أخبرته أن الصبي به من يأتيه بالصبي ، وبمن معه من حواضنه ، فلما أحضروا سأل اللواتي معهن الصبي، فأخبرنه بمثل القصة التي أخبرته بها الجارية عن العباسة ، فأراد قتل الصبي ثم عوّب[1] من ذلك .

وفي رواية أخرى ..

لما زوج الرشيد أخته العباسة من جعفر أحبها حباً شديداً ، فراودته عن نفسه ، فامتنع أشد الامتناع خوفاً من الرشيد ، فاحتالت عليه ، وكانت أمّه تهدي له في كل ليلة جمعة جارية حسناء بكراً ، فقالت لأمه : أدخليني عليه بصفة جارية ، فهابت ذلك فتهدّدتها حتى فعلت ذلك ، فلما دخلت عليه لم يتحقّق وجهها فواقعها ، فقالت له : كيف رأيت خديعة بنات الملوك ؟!

وحملت من تلك الليلة ، فدخل على أمه فقال : بعتيني والله برخيص ، ثم

(١) أي خاف أن يأثم .

إن والده يحيى بن خالد جعل يضيق على عيال الرشيد في النفقة حتى شكت زبيدة ذلك الى الرشيد مرات ، ثم أفشت له سر العباسة ، فاستشاط غيظاً ، ولما أخبرته أن الولد قد أرسلت به الى مكة ، حج في ذلك العام حتى يتحقق الامر .

هذه القصة ذكرها الاصفهاني في الاغاني .. وصاحب الاغاني متّهَم في أماناته الادبية والتاريخية . جاء في كتاب «ميزان الاعتدال في نقد الرجال»[1]: أن الاصفهاني في كتابه الاغاني كان يأتي بالاعاجيب بحدّثنا وأخبرنا .

وقال الخطيب : حدثني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طباطبا العلوي، سمعت أبا محمد بن الحسين بن النوبختي كان يقول : كان أبو الفرج الاصبهاني أكذب الناس ، كان يشتري شيئا من الصحف ثم تكون رواياته كلها منها ، ثم يقول أبو عبد الله : وكان أبو الحسن البتي يقول : لم يكن أحد أوثق من أبي الفرج الاصبهاني ، فمن هو أبو الحسن البتي هذا ؟ من البتي الذي شهد هذه الشهادة للاصبهاني ؟ اذا رجعنا الى ترجمته في الاعلام مثلاً نجده ماجناً خليعاً، فماجن خليع تُرفض شهادته بحق ماجن خليع مثله !!

واذا نظرنا الى الكتب التي خلّفها الاصفهاني ، نلمس أخلاقية هذا الرجل.

جاء في معجم الادباء[2] : أن أبا الفرج الاصبهاني : علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو الفرج الاصبهاني ، من كتبه : أخبار القيان ، كتاب المماليك الشعراء ، كتاب أدباء الغرباء ، كتاب أخبار الطفيليين ، كتاب الخمارين والخمارات ، كتاب الغلمان والمغنين ، كتاب مناجيب الخصيان.

وذكر « إرشاد الاريب الى معرفة الاديب » ما أورده ياقوت الحموي في

(١) لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق علي محمد البجاري ، ج : ٣ ، ص : ١٢٣/١٢٤ .

(٢) لياقوت الحموي ، ج : ١٣ ، ص : ٩٤ وما بعد .

معجم الادباء وأضاف في الصفحات ١٦٠/١٦١/١٦٢ غرامياته ومجونه.

وجاء في « لسان الميزان » بشأن الاصفهاني (أو الاصبهاني) ما يلي : شيعي ، وهذا نادر في أموي ، يأتي بأعاجيب بحدثنا وأخبرنا ، ثم أورد قول الذهبي في « ميزان الاعتدال في نقد الرجال ».

من يقرأ الاغاني يرى حياة العباسيين لهواً ومجوناً وغناء .. وهذا يناسب الاصفهاني وحياته ومَن حوله ، كما يناسب جرجي ، ومن يرجع الى مراجعنا التاريخية الصحيحة الموثوقة يجد حياة الرشيد ديناً وورعاً وتقوى وعلماًوحضارة.

الصورة الاولى نرفضها لان المؤلف يأتي بالاعاجيب بحدثنا وأخبرنا ..

والصورة الثانية هي الصورة الحقيقية الصادقة لمن يحج عاماً ويغزو عاماً، ويصلي في كل ليلة مائة ركعة ..

* * *

وزاد القصة رواجاً ، وزاد في تشويه سيرة العباسيين كتاب : « إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس » لمحمد المعروف بدياب الاتليدي .. ولقد خُصِّص هذا الكتاب لتشويه حياة الرشيد في عِرضه هذه المرة .. حيث أورد الاتليدي قصة العباسة مع جعفر البرمكي،وقبل أن نبدأ بمضمون الكتاب لنتعرف الى الاتليدي أولاً ..

* الاتليدي : محمد دياب ، مؤرخ من اقليم المنية ، وكما جاء في معجم المؤلفين[١] : من آثاره « إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس » ، فرغ من تأليفه سنة ١١٠٠ هـ/١٦٨٩ م ، أي أن بين حياة المؤلف وحياة الرشيد أكثر من تسعمائة عام !!

(١) معجم المؤلفين : تراجم مصنفي الكتب العربية لعمر رضا كحالة ، ج : ٩ ، ط عام ١٣٧٩/١٩٦٠ ، نقلا عن فهرست الخديوية ٥ : ١١ ، والبغدادي : ايضاح المكنون : ١/١٠٤ .

والاتليدي في كتابه المذكور يروي قصة العباسة التي رفضها المؤرخون الاقدمون ، كالخطيب البغدادي في تاريخ « بغداد » ، وقال كثير من المؤرخين: وليس من التاريخ مايقال عن صلتها ــ صلة العباسة ــ بجعفر البرمكي.

والاتليدي يؤكد أن الرشيد ثمل من الخمر ، وكذلك أخته العباسة وجعفر، وحياة الرشيد كما أوضحنا في كتابنا « هارون الرشيد » تكذب تعاطيه الخمر، وهذا مما يفسد القصة المختلقة من أرومتها.

الرشيد لايشرب شراباً مسكراً ، غير أنه شرب النبيذ ، وهو الماء المحلّى الذي لا يُسْكِر .. لقد شرب النبيذ بعرف زمانهم ، لانبيذ هذا الزمان ، وتنبَّه لذلك العلاَّمة المؤرخ ابن خلدون ، فقال : لم يعاقر الرشيد الخمر لانه كان يصحب العلماء والاولياء ، يحافظ على الصلوات والعبادات ويصلي الصبح في وقته ، ويغزو عاماً ويحج عاماً ، وانما كان الرشيد يشرب نبيذ التمر على مذهب أهل العراق وفتاويهم فيه معروفة ، وأما الخمر الصرف فلا سبيل الى اتهامه بها، ولا تقليد الاخبار الواهية بها ، فلم يكن الرجل بحيث يُواقع محرَّماً من أكبر الكبائر عند أهل الملَّة .

ومما نذكره هنا أيضاً ، أن العلماء الاتقياء ، والاولياء الفصحاء ، كالفضيل ابن عياض ، والقاضي أبي يوسف ، والامام مالك ، والشافعي ، وعبد الله بن المبارك ، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني .. لم ينبهوا الرشيد ولو مرَّة واحدة الى ارتكابه الحرام كشرب الخمر مثلا ، لقد كانت نصائحهم كلها عامة ، لقاء الله ، الخشية من الله ، ذكر الموت والدار الآخرة ، الزهد في المُلْك .. ولو وجد خمر مسكر في حياة الرشيد لنبَّهه لذلك الفضيل ، أو أبو يوسف ، أو أبو العتاهية ، أو الإمام مالك ، أو الكسائي ، أو أبو معاوية الضرير .. ولو لمرة واحدة طيلة حياته ..

وماورد مطلقاً أن الرشيد جالس أو نادم النساء ، فأراد البرامكةالحط من فضل الرشيد ومجالسه ، وما فيها من احتشام وأدب ودين .

ومما يدحض الرواية .. أن إحدى روايات القصة قالت إن جعفراً كان يقترب من العباسة بعد كل جلسة يثمل بها الرشيد !! فولدت منه غلاماً ، وفي رواية أخرى ، العباسة هي التي دفعت بنفسها إليه كجارية لتثبت الرواية عفّة جعفر ، وسوء أخلاق العباسة . وفي الرواية الثانية أيضاً ماينقضها ، لقد جاء فيها : « لقد كانت أمه ــ أم جعفر ــ تهدي إليه بنتاً بكراً كل ليلة جمعة » ، والعباسة ليست بكراً ، لقد مات عنها زوجها راوي الحديث الشريف ، أمير البصرة والكوفة ، محمد بن سلمان بن علي بن عبد الله بن العباس .

وتقول الرواية .. كان الرشيد لا يصبر عن جعفر وعن أخته العباسة ، فكيف كبر بطنها وكيف ولدت في بيته ولم ينتبه الرشيد الى ذلك ؟

وتقول رواية الاتليدي أن عدد الغلمان ثلاثة ، وفي رواية جرجي « اثنان » وهذا يجعل الرواية في منتهى الافتراء !!

والعباسة ، يعرفها جعفر جيداً ، لذلك ذكرت الرواية الثانية عبارة لتنسجم الاكذوبة : « دخلت عليه ولم يتحقّق من وجهها » ، فكيف لم يتحقّق منها ولم يعرفها وهي التي تداوم معه يومياً في مجلس الشراب ؟!!

ومما يطعن في الروايتين ، أن الرواية الاولى جعلت انتشار الخبر على لسان جارية اسمها « رافعة » ، وفي الرواية الثانية جعلت الامر ينتشر على لسان « زبيدة » .

والتاريخ لم يذكر لنا مطلقاً مصير الاميرين ابني العباسة ، إنهما أميران من نسل « برمكي فارسي » ، لو صح وجودهما ، لاغتنم الفرس الفرصة وبايعوا لهما كيداً بالدولة العباسية ، العربية الحكم والمظهر .

وهكذا .. فإن المتفحّص للروايتين ، يجد التناقض واضحاً جلياً بينهما ، فقد نجد تاريخياً حادثة في روايتين « أو ثلاث روايات أو أكثر » ، ولكن تكمّل وتدعم احداهما الاخرى ، فلا تناقض بينهما ، ولا تخالف احداهما في البنـــاء الاساسي الاخرى ، بل تتمم بعض جوانبها وهوامشها.

وروايتا العباسة تناقضتا في البناء والجوهر ، واتفقتا في الطعن والتجريح والافتراء ، لذلك رفض الخطيب البغدادي ، وابن تغري بردي (في النجــوم الزاهرة) أحداث العباسة مع جعفر ، وبخاصة اذا علمنا أن العباسة (عُليّة بنت المهدي بنت المنصور) من أظرف النساء وأكملهن فضلا وعقلا وصيانة ، قال الصولي : لا أعرف لخلفاء بني العباس بنتاً مثلها ، كانت أكثر أيام طُهرها مشغولة بالصلاة ، ودرس القرآن ، ولزوم المحراب .

ومَن أورد قصة العباسة مع جعفر جعلها سبباً لنكبة البرامكة ، وهذا يجعلها من نسج الخيال أيضاً ، لان نكبة البرامكة ، عمل حاسم ضد عمل خطير هو : « إساءة استعمال السلطة » .

فمن وضع القصة ، ومن روّج لها ؟

القصة من وضع البرامكة أو أعوانهم عن قصد ، روّج لها الفرس ، إذلالاً للرشيد الذي نكبهم ، فالقصـــة في عرفهم تطاول على عِرض وشـرف وسمعة الرشيد وإذلال له،وليطمسوا ــ عن سوء قصد ــ نواياهم وشعوبيتهم وتفاخرهم في فارسيتهم ، وليطمسوا أيضاً تشيعهم المغرق في الحقد على العباسيين.

وروّج للقصة الخرافية كما يقول صاحب الاعلام « ج : ٥ ص : ١٩٨ » كُتّاب الخيال الغربيّون ، فنشرت عنها عدة قصص منها مانشـره « لا هارب Laharpe » بالفرنسية ، و«فون هامار Von Hammer » بالالمانية .

وجاء جرجي في هذا القرن لأمر صليبي في نفسه ، ونسي فضل العباســة

وصياتتها لدينها ، وشغلها بالصلاة والقرآن الكريم ولزوم المحراب •• وألف كتاباً اعتمد كلّه على قصة من نسج الخيال البرمكي•

بعد هذا كله •• يمكن القول أن رواية جرجي « العباسة أخت الرشيد » كلها خيال وأكاذيب لاتستحق المناقشة ، ومع ذلك نقدم النقاط التالية زيادة في إيضاح أهداف جرجي الصليبية :

١ً ـ في الصفحة الرابعة قال جرجي : « ولا عجب فقد كان المال ينصب في خزائنهم انصباب السيل ، اذ كانوا يشاطرون أهل الارض غلاّتهم ، فضلا عن الجزية ، وغنائم الحرب »•

والواقع أنهم لم يشاطروا أهل الارض غلاتهم ولم ينصب المال في خزائنهم انصباب السيل ، فما وصل بغداد درهم إلا كان فائضاً عن حاجة الاقاليم ، لقد وضع أبو يوسف قاضي قضاة الرشيد منهجاً اقتصادياً ، وفق شريعة الله عز وجل، لقد كان الرشيد حريصاً على دقة النظام المالي في دولته ، فلا يُظلَم أحد ، ويصل الحق الى كل أفراد أمته ، وما وُضع « كتاب الخراج » إلا لهذا القصد !!

والجزية لا تصب المال في خزائن الدولة الاسلامية انصباب السيل ، انها مقابل الخدمة العسكرية ، ومقابل ما ينتفع به الذمي من المرافق العامة ، والخدمات العامة التي تقدمها الدولة ، ويدفع المسلم أضعافها في زكاة أمواله•

٢ً ـ وفي الصفحة الخامسة يذكر جرجي أن مجالس « الامين » منذ صباه « قصف ولهو •• ولا يخلو من المغنين وأهل الخلاعة والجواري والغلمان »، وكرر ذلك في الصفحات : ٥٠ ، ٥١ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٧ ••

وهذا خطأ تاريخي •• لأن أخبار « الامين » كتبت في عهد المأمون ، أي بعد انحسار العنصر العربي وتغلّب الشعوبية •• لقد ربّى الكسائي الامين

وتولى تأديبه وتأديب المأمون معاً • يقول الكسائي : « فكنت أشدّد عليهما في الادب ، وآخذهما به أخذاً شديداً ، وبخاصة محمد الامين •• » • لانه مرشح الخلافة بعد الرشيد ولا يجوز التقصير في تأديبه •

وقال الاحمر النحوي : بعث إليّ الرشيد لتأديب ولده محمد الامين ، فلما دخلت عليه قال : يا أحمر ، ان أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبه ،فصيّر يدك عليه مبسوطة ، وطاعتك عليه واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن ، وعرّفه الآثار ، وعلّمه السنن ، وبصّره مواقع الكلام ، وابدأه وامنعه الضحك ، إلا في أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم اذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه ، ولا تمرّنّ بك ساعة إلا وأنت مغتنم منها فائدة تفيده إياها من غير أن تخرق به فتميت ذهنه ، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فإن أباها فعليك بالشدة والغلظة[1] •

فوصف الامين بالقصف واللهو والمجون والخلاعة •• شعوبية من جرجي•

٣ً ــ كرر جرجي في رواياته كلمات الانتقام، والجواسيس ، والحقد ، والثأر عشرات المرات ننتقي منها :

ــ ص ٦ : فأخذ لا يدخر وسعاً في استنباط الاسباب للانتقام •

ــ ص ٣٩ : ولكنني أظن زبيدة علمت بــه بما ينقله لها عنك جواسيسها وأتباعهـــا •

ــ ص ٧٤ : انها من جوارينا وقد أقمناها رصداً لنا على ذلك الوزير •

ــ ص ٨٤ : سأكلف أحد جواسيسنا بأن يلقيها عند مصلىّ أبيك•

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج : ٣ ، ص : ٣٦٢ •

ــ ص ٩٥ : أخبرني جاسوس لي عند جعفر صباح اليوم ••

ــ ص ٩٦ : هكذا أبلغك الجاسوس ولا يخلو كلامه من مغالاة •

ــ ص ١٠٧ : فاذا كان صحيحاً بادر الى الانتقام •

ــ ص ١٢١ : ماينويه لجعفر انتقاماً منه لاطلاقه سراح العلوي •• فأهداه ذلك الخادم الجميل ليكون جاسوساً •

ــ ص ١٢٢ : فمدَّ يده الى جيبه وأخرج الكتاب الذي جاءه من جاسوسه ودفعه اليها ولم يتكلم •

ــ ص ١٢٦ : فسرَّها تهديده وأحبَّت أن تمكنه من عزمه انتقاماً من جعفر •

ــ ص ١٢٩ : ماذا جرى ؟ هل عاد الجاسوس وماذا قال ؟

ــ ص ١٣٨ : •• وينجو من دسائس أهل البلاط وما يحدق به من الخطر •

ــ ص ١٤٨ :فلما سمع الرشيد تعريض اسماعيل بالواشين ••

فبلاط الرشيد جواسيس وانتقام ومكائد وواشين •• هل هذا صحيح ؟ سنجيب فيما بعد •

٤ً ــ وفي الصفحة التاسعة : يهودي نخاس « لم يكن يميل الى السماع والشراب » أما اولاد الخلفاء فمنغمسون في الشراب والغناء والقينات ؟!

٥ً ــ جمال البطلة النادر ذكره في الصفحة ٤٠ : « وقد رسم القلق في أسرتها عبوساً زادها هيبة وجمالاً » ، في الصفحة ٨٠ : حلاوة وجمال ، واستدارة خدود ، وفم صغير « وذقن قليل البروز ليس بينه وبين الترقوة غور ولا ثنية ، واستدار عنقها واشتد بياضه وليس فيه بروز » •

« وكانت ربعة القامة أميل الى الطول ، مع سمن قليل ، فإذا أسرعت في

مشيتها ارتج كتفاها ووركاها ارتجاج الدلال والرخاء •• » •

هذا الوصف في كتاب يحمل عنوان : « روايات تاريخ الاسلام » •

ومن كلمات الغرام والعشق :

ــ ص ١٣ : « وفي وجهها جمال وهيبة لم يشاهد مثلهما على كثرة من رآهن من الجواري الحسان » ••

ــ ص ٢٦ : « فكيف لو رأيت الجواري المولدات من البصريات والكوفيات ذوات الالسن العذبة ، والقدود المهفهفة ، والاوساط المخصَّرة ، والاصداغ المزرفنة[1] ، والعيون المكحلة ، وحسن زيهن وزينتهن ، وفيهن الطويلة البيضاء ، والسمراء اللَّعساء ، والصَّفراء والعجزاء ، وبينهن من اذا صبَّت عليها جرة ماء وهي قائمة فلا يصيب ظاهر فخذيها شيء لعظم عجيزتها مثل ما يتحدثون عن عائشة بنت طلحة التي كانت اذا همَّت بالنهوض يساعدها عليه اثنان »•

ــ ص ٢٧ : فتحفزت للوقوف وطال تحفزها لثقل أوراكها على حد قول الشاعر :

فقيامها مثنى اذا نهضت ... من ثقله وقعودها فرد

ــ ص ٤١ : ولكن سلطان الغرام طغى وتغلب على مملكة العقل •

ــ ص ٤٥ : ونهض فنهضت هي معه فأمسك يدها للوداع ونفسه لاتطاوعه عليه ، فوقف هنيهة ينظر إليها وهي تنظر اليه والعيون تتفاهم بما تقصر الالسنة عن مثله •

ــ ص ٥٣ : « ثم صفَّق فأتاه غلام تركي جميل الصورة لم ينبت عذاره بعد » !! « فأصبح الغلام أشبه بالبنات منه بالفتيان لفرط جماله » !!

---

(١) جاء في لسان العرب ج : ٣ ، ص : ١٩٧ : الزُرْفين والزِّرفين : جماعة الناس ، وحلقة الباب ، وهو فارسي معرب •

فإثارة الغرائز الجنسية بالاوصاف السابقة •• كله في رواية تحمل عنوان « روايات تاريخ الاسلام » !!

ويضيف جرجي الى ما سبق صفحات مطوّلة عن الجواري ، وصف يثير الغرائز ، وذلك من ص : ٢٠ الى ٢٧ ، وفي الصفحة : ٥٨ وصف « سرباً من الجــواري » !!

٦ً ــ ركز جرجي من الصفحة ٥٥ وحتى الصفحة ١١٨ على حياة الرشيد وأكّد على أنه رجل فتك واستبداد ، ولاراد لغضبه (ص : ١٠٧ و ص ١١٣)، «ولكنه لايرى لغيره حقاً أن يتمتّع» !! وكرر ذلك في الصفحات :

ــ ص : ٩٠ : وهو يعلم شدة الرشيد وتسرعه اذا غضب •

ــ ص : ٩٣ : نسي موقفه وما يعلمه من سوء العقبى اذا غضب الرشيد •

ــ ص : ١١٣ : غاضب مستبد ، فنظر الى اسماعيل نظرة جبار عنيد وقد أخذ الغضب منه مأخذاً عظيماً •

ــ ص : ١٢٣ : ولولا حرمتها عنده ما أمسك عن الفتك بها •

ــ ص : ١٣٢ : فقد تعوّد ــ الرشيد ــ ألا يسمع غير التأمين على ما يقول والتنفيذ لما يريد ، حقاً كان أو باطلا ، شأن أصحاب السلطة المطلقة ، ولاسيما في تلك العصور ••• فعذره أنه شبّ على إنفاذ كلمته حتى صار الاستبداد طبيعة له تتغلب على عقله وسداد رأيه ولاسيما في حال الغضب ••

والرشيد يقول حسب خيال جرجي : « ولكنني نهيتكما فعصيتماني ومن عصى أمير المؤمنين حق قتله ! »•

«لاتجادليني بالمحال فإنه مقتول •

أتقتله وهو لم يرتكب ذنباً ؟ واذا لم يكن مـن قتله بد فاقتلني أنا ، أنا المخطئة لا هو .

فقال الرشيد وهو يضحك استخفافاً : « أنتِ أيضاً تقتلين .. وسأقتل ولديكما لأمحو هذا العار من الوجود ! »

ــ ص : ١٣٧ : وكان الرشيد يريد تأخيره حتى يقر قراره على الفتك بـه فيكون قريبا منه لانه كان حتى تلك الساعة متردداً في الامر .

هذه الفقرات جزء يسير مما سرده جرجي بحق الرشيد ، وهي صورة مقلوبة تماماً عن نفسية الرشيد ، لقد كان مضرب المثل في العدل ، وفي قلبه توازن عجيب بين العصف بالعدو ، وبين العطف على الرعية ، وهذا التوازن يشبه توازنه بين سمره البريء الطاهر العفيف ، وبين إيمانه وورعه والتزامه بإسلامه .

والمتَّهَم عنده يسوق حججه على أعلى مستوى يتصوره دفاع عن متهم ، في حضرة خليفة يحسن الاستماع ، وبوجود قاضٍ هو أعظم أهل الارض علماً يومذاك ، أبو يوسف ، ومن بعده محمد بن الحسن الشيباني .

فلم يرق الرشيد دماً إلا اذا أدانت الادلة صاحبه ، وكان دأبه أن يضرب بشدة ، لكن العدل كان شأنه في كل حكم ، والمتصفِّح لتاريخ الرشيد يلمس بوضوح أنه ما أمر بقتل انسان إلا في حالات ثلاث[1] .

١ ــ زنديق يعلن كفره ويجاهر به ويستخف بقيم الآخرين ويسخر منها ، وهذا ما رآه الرشيد أيام أبيه المهدي المشهور بعدله وتقواه ، لقد كان لوزير المهدي (معاوية بن يسار) ابن زنديق ، فدعا المهـدي الوالد وولده ، وسأل الولد عن شيء من القرآن الكريم ، فلم يتمكـن من تلاوة بعض الآيات ، قال

(١) كل ذلك اوردناه في كتابنا « هارون الرشيد » ، عندما تحدثنا عن : ايمانه ، مجالسه ، ثقافته ، عطائه ، المجتمع في عصره ، ولاته ، جهاده ، والرجال الذين كانوا حوله .. ومن شوه سيرته ، ولماذا شوهوا هذه السيرة الطيبة العطرة ؟!؟

المهدي : ألم تخبرني أن ابنك حفظ القرآن ؟ قال الوزير : بلى ، ولكن فارقني منذ مدة فنسيه ، قال المهدي : قم فتقرب الى الله بدمه ، فقام الاب فعثر ووقع وارتعد ، فأمر المهدي بعض الحضور لقتل الزنديق ، فضرب عنقه •

٢ ــ مسلم تبيح الشريعة قتله في حالات ثلاث ، مصداقاً لقول النبي ﷺ: « لا يحلّ دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة » ، رواه البخاري ومسلم •

٣ ــ ثائر يهدف قلب نظام الحكم ، يشيع الفوضى والذعر والقتل والفتك، بدل الأمن والطمأنينة •• وهذا تقره الدول قديماً وحديثاً ومستقبلا ، انه قانون السلطة في كل زمن : الدفاع عن النفس والدولة ، وهذا إما أن يقتل في مواجهة حربية عسكرية ، وإما بإلقاء القبض عليه ومحاكمته علناً ، مع دفاع كامل بحضور قاضي القضـــاة •

وهكذا •• إن صفّق الرشيد وقال : السيف والنطع ياغلام ، فهذا يعني بعد محاكمة بكل ما في الكلمة من معنى ، وبعد إدانة ضمن حدود الشريعة•

والتاريخ يزدهي بورع وعلم وشجاعة وسياسة وحلم وإيمان الرشيد ، مع الحزم والحسم دفاعاً عن الدولة وأمنها ، كيف لا •• وهــو الاب العطوف الرحيم لرعيته كلها ؟!!

فما أفحش كذب جرجي وما أكبر خداعه ودسه بحق رجالاتنا وأعلامنا ؟!

٧ً ــ شوّه جرجي أيضاً سيرة الشاعر الزاهد أبي العتاهيــة ، وجعل له فصلا كاملا ص : ٣١ في إلقاء القبض عليه ، وفي مكره وملاحقته للنخاسين••

بينما الحقيقة التاريخية تقول ، كانت ســيرة أبي العتاهية وعظ وتذكير للرشيد ، ليس فيها عند الرشيــد ما يشوبها ، وليس في حياته حتــى توفي مما يدعيه جرجي •

قال الرشيد لأبي العتاهية ، صف لنا ما نحن فيه من العيش والنغيم فقال:

عش ما بدا لك سالماً ... في ظل شاهقة القصور
تسعى عليك بما اشتهيت لدى الرواح الى البكور
فإذا النفوسُ تقعقعت ... عن ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلمُ موقناً ... ما كنتَ إلاّ في غرور

فبكى الرشيد بكاءً شديداً •• وقال الرشيد له مرة عظني بأبيات من الشعر وأوجز ، فقال أبو العتاهية :

لا تأمن الموتَ في طرفٍ ولا نفسٍ ... ولو تمتعتَ بالحجّاب والحرسِ
واعلم بأن سهام الموت صائبة ... لكلِّ مدّرع منها ومتّرسِ
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبسِ

فخرّ الرشيد مغشيّاً عليه ••

وعظ أبو العتاهية الرشيد بهذه الابيات أيضاً :

خانكَ الطرف الطموحُ ... أيها القلب الجَموحُ
لدواعي الخير والشـ ... ـرِّ دُنوٌّ ونزوحُ
هل لمطلوب بذنب ... توبة منه نصوحُ
كيف إصلاحُ قلوب ... إنّما هُنّ قروحُ !
أحسنَ الله بنا أنّ ... الخطايا لا تَفوحُ
سيصير المرء يوماً ... جسداً ما فيه روحُ
بين عَيْنَي كُلِّ حَيٍّ ... عالَمُ الموت يلوحُ
كلنا في غفلة والـ ... ـموتُ يغدو ويروحُ
لِبَني الدنيا من الدنـ ... ـيا غَبوق وصَبوحُ
رُحْنَ في الوشي وأصـ ... ـبحنَ عليهنّ المُسوحُ

كلٌّ نطّــاح ــ من الدهــ ــر ــ لــه يــوم نَطــوحُ
نُــحْ عــلى نفســـك يا مسـ ـكينُ إن كنــتَ تنــوح
لتموتَـــنَّ وإنْ عُـمِّـــ ـرت ما عمِّـــر نـــوحُ !

فبكى الرشيد وانتحب ..

هذه الصورة الحقيقية لدور أبي العتاهية ــ الشاعر الزاهد ــ في حياة وقصر الرشيد ، ولكن الطعن والتشويه جعله على (يد جرجي) صاحب غوانٍ ونخّاسين ومؤامرات ؟!!

٨ً ــ ولايمكن أن تمر رواية بدون صلبان ثمينة .. ففي الصفحة ٦٠ : « ثم دخلت جارية أخرى يظهر من ملامحها أنها رومية الجنس ، عليها دراعة مصبوغة بلون الورد الاحمر ، وقد وضعت على رأسها ضفائر شعر مسدلة كأنها العناقيد تتدلى الى أسفل ظهرها ، وفوق الشعر تاج مرصّع ، وفي عنقها عقد ثمين تدلى منه صليب من الذهب المرصّع » !!

٩ً ــ نحن نعلم من دراسة التاريخ ، أن للرشيد : صاحب شرطة ، صاحب الخراج ، صاحب البريد .. ولكننا تعلمنا من جرجي شيئاً جــديداً « صاحب الشراب » ، وكرره في الصفحات : ٦١ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٢ .. ولكن كيف يكون للرشيد صاحب شراب ، وما شرب الخمرة قط في حياته .. لعن الله الكذابين الافاكين !!!

١٠ً ــ وفي ص ٧٠ : بحث عن البرامكة كله تمجيد وشعوبية ، ذكرنا قبيل هذه الصفحات رأينا فيه، وفيه مغالطة إطلاق يد جعفر في الدولة .. والحقيقة أن جعفراً هو الذي تطاول على الدولة ، ولم يطلق الرشيد يده .

« إن نكبة البرامكة نكبة وهلاك جماعي ، فهو لا بد عقاب على فعــل جماعي ، خـطّـط له لكنه لم يتم ، فالرشيد لم يرق دماً يوماً ولم يسجن شخصاً في

أي يوم •• إلا لسبب يقرّه الدين والعقل والمنطق السليم ، فمن باب أولى ألاّ يُنكَّل بجماعة بسبب ظن ، أو بسبب إساءة فردية من أحد أفرادها » •

١١ً ـ وذكر جرجي في الصفحة ٩٨ :

الرشيد يسأل : من في الباب ؟

خادمه : كثيرون وفيهم المقيمون ببغداد من أهل العيش الراتب والارزاق الجارية ، وفيهم الوافدون للاستجداء من أطراف البلاد •

فقال : أما الوافدون فنأذن لهم في وقت آخر ، اصرفهم الآن وقل لصاحب بيت المال أن يحسن جوائزهم ويطيب خواطرهم ، ومن بالباب من أهل الرواتب؟

قال : فيهم من العلماء الاصمعي والكسائي وأبو عبيدة فقطع ــ الرشيد ــ كلامه وأشار اليه بيده ولسان حاله يقول : « دعني من العلماء واذكر غيرهم »•

فقال : أما الشعراء فمنهم الحسن بن هانيء (أبو نواس) وأبو العتاهية ومروان بن أبي حفصة •• أما ••

فأشرق وجه الرشيد عند سماع اسم مروان لانه كان يستلذ شعره لما فيه من الطعن على العلويين •• ولكنه لم يجد في نفسه راحة لسماع الشعر أوالادب وعلم أنه لايجلو ما في خاطره غير الغناء ، فقال : ادع هؤلاء الشـــعراء الثلاثة فقط يدخلوا الى قاعة الشراب •• وهل ببابنا أحد من الندماء والمغنين والملهين؟!

قال : أما المغنون فرأيت منهم بعض أصحاب مولانا ابراهيم بن المهدي أخي أمير المؤمنين ، ممن هم على طريقته في الغناء كابن جامع وابن نابه ، وابن أبي العوراء ، ويحيى الملكي ، ورأيت بعض أصحاب اسحق الموصلي المعجبين بطريقته ، وسمعتهم يتقارعون في أي الطريقتين أفضل •

فقاطع الرشيد كلامه وقال : دعنا من هذه الطبقات فإني لا أرى الاجتماع

للمناظرة في طرق الغناء اليوم ، فادع برصوماً الزامر ، وأبا زكار الربابائي الاعمى، وحسنياً الخليع ، وأما الغناء فأحب سماعه من قيان القصر » •

ماذا نغربل من هذا الهراء ، وهذا الدجل ، وهذا الافتراء ؟!!!

بماذا نجيب رجل الاستخبارات الانكليزية عن هذا الدس الرخيص ؟!

لقد قال جرجي ــ وهو كاذب ــ على لسان الرشيد : « دعني من العلماء واذكر غيرهم » ، هذا النص المنقول من « ألف ليلة وليلة » تدحضه مجالس الرشيد التي زينها كل من : أبو معاوية الضرير الذي سكب الرشيد الماء على يديه تعظيماً للعلم والعلماء ، والاصمعي الذي ملأ الرشيد طرفاً من طرائف العرب والمفضل الضبي الذي قرأ الرشيد بين يديه القرآن الكريم على حمزة الزيات أربع مرات واختار لنفسه قراءة صارت احدى القراءات السبع ، والكسائي الذي درس الرشيد على يديه النحو والعربية وأيام الناس والفقه ، والخليل بن أحمد الفراهيدي الذي درسه الشعر والعروض ، ويكفيه أن قاضي قضاته أبو يوسف، وكان واعظه ابن السماك والفضيل بن عياض والإمام مالك ••

قال أبو معاوية الضرير محمد بن حازم : ماذكرت عند الرشيد حديثاً إلا قال صلى الله وسلم على سيدي[1] ، واذا سمع فيه موعظة بكى حتى يبل الثرى، وأكلت عنده يوماً ثم قمت لأغسل يدي فصب الماء علي وأنا لا أراه ، ثم قال : يا أبا معاوية أتدري من يصب عليك الماء ؟ قلت : لا ، قال : يصب عليك أمير المؤمنين ، قال أبو معاوية : فدعوت له فقال : انما أردت تعظيم العلم[2] •

ودولة الرشيد ، التي صورها جرجي وأمثاله دولة أبي نواس والجواري والمغنين ، دولة ألف ليلة وليلة ، هي دولة أعلام العلم والاختراع والحضارة

(١) راجع البداية والنهاية ، ج : ١٠ ، ص ١٧٧ ، لمعرفة لمع من ايمان وورع الرشيد •
(٢) البداية والنهاية ، ج : ١٠ ، ص : ٢١٥ ، وتاريخ بغداد ، ص : ١٤ ، ص : ٢٩٣ •

حقيقة وصدقاً ، فلقد ضمت دولة الرشيد أعلام العلم الذين تفخر بهم البشرية جمعاء •• مثل : جابر بن حيان الكوفي ، والحسن بن الهيثم ، وإياد الله البتّاني « مثال العالم المسلم في أرقى مراتبه » •

فالعلماء الذين تعتز بهم الانسانية ، لان نهضتها تدين لهم بالفضل ، منهم من عاش في كنف الرشيد ، ومنهم من هيأ له الرشيد كنوز العلوم في « دار الحكمة » فنهلوا من مراجعها ومصادرها •

تقدم الصناعات ••• الانبيق ، الساعات الدقاقة ، أدوات الملاحة ، تقطير وتركيب الادوية ، العمليات الجراحية الدقيقة بأدوات تشريح راقية ، المستشفيات العديدة في كل المدن الكبرى « البيمارستانات » •• كل ذلك كان أيام الرشيد، فلماذا نغمطه حقه ؟!

وعلى ذكر افتراء جرجي في صدّ ورد العلماء وقبول المغنين « وحسنياً الخليع » •• نقول ، حتى من كان يدخل قصر الرشيد من المضحكين كانوا على حظّ من العلم مع التزام بالشريعة • لقد كان ابن أبي مريم يضحك الرشيد ، وكان عنده فضيلة بأخبار الحجاز وغيرها •• نبّهه الرشيد يوماً الى صلاة الصبح ، فقام فتوضّأ ، ثم أدرك الرشيدَ وهو يقرأ : « ومالي لا أعبد الذي فطرني » ، فقال ابن أبي مريم : لا أدري والله ، فضحك الرشيد ففسدت صلاته ، ثم أقبل عليه مؤنّباً لائماً وقال : ويحك اجتنب الصلاة والقرآن وقل فيما عدا ذلك[1]•

١٢ — وبعد أن مهّد جرجي بما يلي من خياله الخصب :

— ص : ١٢٤ : « انها فضيحة تمس العرض » •

— ص ١٢٥ : « إن جعفر تزوج أختك العباسة منذ سبع سنين وولدت منه ثلاثة بنين : أحدهم له ست سنين ، والآخر له خمس سنين ، والثالث عاش سنتين

(١) البداية والنهاية ، ج : ١٠ ، ص : ٢١٤ •

ومات من قريب ، والاثنان •• أرسلا •• الى مدينة الرسول •• وهي حا •• مل ••• بالرابع » •

ــ ص ١٣٤ : العباسة للرشيد : « أتقتلني لأني أطعت الله وعصيتك ، ولكنكم معاشر الرجال تحلّون لأنفسكم ماتحرمونه على نسائكم ، أمن العدل أن يكون في قصرك مئات من السراري والجواري وتقتلني من أجل رجل تزوجته بشرع الله وسنّة نبيه » •

بعد أن مهّد جرجي بعشرات العبارات المماثلة لما سبق ، قال ص : ١٣٥: فقتل الرشيد أخته العباسة « فلما سقطت ميتة أومأ مسرور الى الخادمين فوضعاها في الصندوق ، ثم جاء الفعلة وهم عشرة من الرجال الاشداء يحملون المعاول والزنابيل وقد حسروا عن سواعدهم وشمّروا عن سوقهم ، فأمرهم أن يحفروا وسط المقصورة ، فحفروا حتى بلغوا الماء فقال : حسبكم هاتوا الصندوق ، فأتوا به ودلوه في الحفرة ثم قال : ردوا التراب عليه •• » •

وهكذا يركز جرجي في سياق الرواية كلها على بناء صورة مشوهة للرشيد، ينتهي القارىء من الرواية وقد انعكست الصورة تماما ، فيبقى في القلب كره واحتقار الشخصية التي أرادها «جرجي » للرشيد • فهو يقول على لسان جعفر ، ص ١٤٥ :

« واحسرتاه عليك أيتها الحبيبة ، بل والهفي على قبلة من ولديّ ، قضيت العمر أتمنى ساعة ألاعبهما فيها كما يلاعب الاب أولاده ، فلما ظننتها قريبة اذا هي بعيدة عني بعد الابدية ، وأنتِ يازوجتي بشرع الله ــ وإن ادّعى أخوك العكس ــ لقد وقعت في الخطر لأجلي ، وعرضت نفسك لغضب أخيك المستبد ••• قد عرفت تفانيك في سبيل حبي غير مرة ، فاذا كنت على قيد الحياة فأنت لاحقة بي لا محالة لأن أخاك لم يبادر الى التعجيل بقتلي إلا وقد عرف سرنا ، والله يعلم

أننا انما أطعنا الشرع والحب » .

هذه الصورة المأسوية الخيالية المخالفة لوقائع التاريخ ، تجعل شعور القارىء ضد الرشيد ، وبخاصة اذا علمنا أن جرجي في الصفحة ١٤٤ جعل جعفر سكران ، شرب الصبوح « خمرة الصباح » ، فلو لم يكن سكراناً لما استطاع الرشيد قتله . يقول على لسان جعفر : « اذن عجل بقتلي .. لاأرب لي في الحياة » .

* * *

ماسبق من ملاحظات حول هذه الرواية غيض من فيض ، وقليل من كثير يمكن للقارىء المطّلع أن يستخرجها ، وهذه الملاحظات أعترف انها ليست كل شيء في هذه الرواية ، ولكنني أردت أن يتذوق القارىء عيّنات من صفحات الرواية ، تكفيه ليتلمس الدس والتشويه وقلب الحقائق التي ارتكبها جرجي في هذه الرواية ، وفي كل رواية من رواياته الخيالية .

فهل من غيور على هذا التراث ؟

هل من محب لرجالات هذا التاريخ العظيم ؟

هل من مخلص لهذه الامة يطهر هذا التاريخ العربي مما شابه من تشويه وتحريف ودس ؟!!



الأمين والمأمون

✶ « فلما رزق بابنة عهد إليها في تربيتها وأوصاها بأن تعودها حرية الفكر الفكر وحب الفرس » .

جرجي .

ذكر جرجي أن هذه الرواية : « تشتمل على ما وقع بين الامين والمأمون من خلاف بعد وفاة والدهما الرشيد ، وقيام الفرس لنصرة المأمون حتى فتحوا بغداد[1] وقتلوا الامين » .

أما أبطال الرواية فهم :

* الامين	: ابن هرون الرشيد
* المأمون	: ابن هرون الرشيد
* الفضل بن الربيع	: وزير الامين
* الفضل بن سهل	: وزير المأمون
* زبيدة	: زوجة الرشيد
* زينب	: بنت المأمون
* دنانير	: مربية زينب
* عبادة بنت محمد	: أم جعفر البرمكي
* ميمونة	: بنت جعفر البرمكي

(١) لاحظ الدجل ، لقد بدأ من الصفحة الأولى عندما اعتبر جرجي دخول جند المامون الى بغداد « فتحا فارسيا لها » !!

* بهـــــزاد : حفيد أبي مسلم الخراساني
* طاهر بن الحسين : قائد المأمون

والرواية تدور حول بطلين خياليين : فميمونة بنت جعفر البرمكي لاوجود لها ، وحبيبها الذي يبادلها الحب « بهزاد » حفيد أبي مسلم الخراساني لا وجود له على مسرح الحياة • ومن ينافسه ؟ ينافسه ابن الفضل بن الربيع•

والبطلة كالعادة : «أما الفتاة فبان محياها ، فإذا هي في إبّان الشباب ، كأنها ملاك في صورة انسان ، وكانت رشيقة القوام ، جميلة الطلعة ، قمحيـــة اللون ، متناسبة الملامح ، تدل خلقتها على كرم المحتد والوجاهة ، ويشف لباسها عن سذاجة وفقر زادا جمالها وضوحاً •• فلما جلست رفعت عينيها وفيها دعج وسحر » ،[الصفحة ٢١] •

ويمكننا أن نورد أهم الملاحظات عن هذه الرواية :

١ً ـ في الصفحة الرابعة ، وصف جرجي صاحب حانة ، وقال عنه : «عاصر ثلاثة من خلفاء بني العباس هم : المهدي والهادي والرشيد ، وشهد كثيراً من من الاهوال ، آخرها نكبة البرامكة »•

ونحن لا ندري ماهي الاهوال التي رافقت العصر الذهبي لأمتنا إلا أن تكون نكبة البرامكة التي كانت أهوالاً على عشرات من الناس أرادوها كسروية فارسية ، أو دحر نقفور عن حدود الدولة الاسلامية ، ورسالة الرشيد إليه لاتطيب لجرجي وأشياعه[1] ، لذلك لم يذكرها في روايته العباسة ، والتي أفرد فيها من الصفحة ٥٥ والى الصفحة ١١٨ حديثاً عن الرشيد •

---

(١) نص كتاب الرشيد الى نقفور كالتالي : (بسم الله الرحمن الرحيم ، من هارون أمير المؤمنين الى نقفور كلب الروم ، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة ، والجواب ما تراه لا ما تسمعه ، والسلام) • الكامل في التاريخ : ٥/١١٨ ، البداية والنهاية : ١٠/١٩٣ ، تاريخ ابن الوردي : ١/٢٨٣ ، تاريخ الموصل ص : ٣٠٩ ، تاريخ الخلفاء ص : ٢٨٨ •

ويتابع جرجي تشويهه لحياة الرشيد ، فيقول في الصفحة ١٥ عن صاحب الحانة : « وفي نفسه نقمة على الرشيد لغدره بجعفر البرمكي » • ويقول عـن البرامكة: « كذلك كان ســائر البرامكة فإنهم أول من نشّط العلم في العصر العباســي » •

ــ وفي الصفحة ٧٥ قال جرجي عن البرامكة : « قُتلوا على الشك » •

ــ وفي الصفحة ٧٦ : غدر الرشيد بالبرامكة •

ــ وفي الصفحة ١١٨/١١٩ : يجعل شعور القارىء مع البرامكة ويستثيره ضد الرشيد ••

ومع دجل جرجي في أقواله وبخاصة تنشيط العلم في العصر العباسي على يد البرامكة •• والواقع أن المنصور والرشيد هما اللذان شجعا العلم وأنفقا عليه أموالا طائلة ، وإن أنفق البرامكة شيئاً فأنفقوه من أموال الخلافة العباسية •• مع ما سبق ، يخطىء جرجي عندما يقول في الصفحة ١٢٠ :

ــ « وكان الفضل بن سهل بن سرخس ، وقد نشأ مجوسياً ، ودرس علم النجوم ، ثم أدخله يحيى البرمكي في خدمة الدولة في أيام الرشيد ، ولم يسلم إلا سنة ١٩٠ هـ على مذهب الشيعة ، وإنما أسلم رغبة في نصرة الفرس بخراسان» ويتابع في الصفحة ١٢١ : « ولبث الفضل يترقب الفرص لنيل بغيته التي أسلم لأجلهــا ••• » •

أخطأ جرجي لأنه نسف ما ادعاه ، وأظهر حقيقة تاريخية ، وهذا ليس من عادته ، فالبرامكة أدخلوا في الدولة أناساً لهم قدرات معينة ، هدفهم « نصرة الفرس بخراسان » ، لا خدمة الامة بكل ما فيها من أجناس وقوميات !؟!

لذلك نجد جرجي يركز خلال الرواية على « الخُرَّميَّة » ، وسنذكر ذلك عند الحديث عن شعوبيته في ملاحظة لاحقة •

٢ً ــ يكرر جرجي كلمة « العيارون » ، ورئيسهم « الهرش » ، كما في الصفحات : ٤ ، ٩ ، ٧٣ ، ١٥١ ، ١٦٦ ، ١٦٨ •• مثلاً • وقال عنهم: « وهم كثيرون يومئذ في بغداد ، ومعظمهم من أهل البطالة الذين يعيشون من الدعارة والنهب » • وقال عنهم : « يرتزقون بالسرقة والاعتداء ونحوهما ، ولا رقيب عليهم ولا حسيب ، وانما تكثر أمثال هذه المفاسد في عهد الحكومات الاستبدادية » •

أولا •• هذا الكلام كله افتراء من أرومته •• فالعباسيون منذ أيام المنصور يتمتعون بحكومة مركزية قوية أنهت الثورات الداخلية ، وأمّنت الحدود الخارجية •• فمن باب أوْلى أن لا يتجرّأ صاحب زعامة ، أو قاطع طريق ، أو زعيم سفلة على الظهور ••

ثانيا •• أظهر جرجي في أقواله أن دولة العباسيين دولة قلقة لا أمن ولا أمان فيها •• وهذا يخالف واقع عصر القوة في الدولة العباسية •

ثالثاً •• كلمة « مفاسد » ، وعبارة « عهود الحكومات الاستبدادية » •• عبارات أراد منها تشويه واقع العباسيين لصالح الفرس ، وعبارات مغلوطة لانه تحد من سلطة الخليفة الشريعة الاسلامية ، وأوضحنا ذلك عند بحثنا بعض جوانب حياة الرشيد في الصفحات السابقة •

٣ً ــ جعل جرجي تاريخنا كعادته : [جواسيس ، وانتقام ، ومخابرات سرية ••] • لقد كرر هذه الكلمات في الصفحات التالية (علماً أنه كرر بعضها في صفحة واحدة عدة مرات) :

١٤ ، ٢٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ••• في كل هذه الصفحات : جواسيس

ووشايات ومخابرات سرية واتتقام ودسائس •• نورد نماذج منها فقط :

ـ في الصفحة ٨٦ : « لا أستطيع التمتع بهذا الحب إلا بعد الانتقام ، فاذا بقيت حياً وعدت ظافراً فتلك هي السعادة إذ أكون انتقمت لأبيكِ وللقتيل قبله»، أي لجعفر وأبي مسلم الخراساني !؟

ـ وفي الصفحة ٨٨ : « هذا هو رأس المقتول ظلماً « أي جعفر البرمكي »» إن عثورنا عليه يساوي نصف الخلافة ، واذا انتقمنا له فقد نلنا الخلافة كلها »•

ـ في الصفحة ٩٤ : « فاعلمي يا منيتـــي أني أوقفت حياتي عليك وعلى الانتقام لأبيك » •

ـ وفي الصفحة ٩٨ : « إن الجواسيس والعيون مبثوثة بالابواب ينقلون خبر القادمين والذاهبين الى صاحب الشرطة » •

ـ وفي الصفحة ١٠٣ : « ثم علمنا من جواسيسنا أنها في قصر المأمون »•

ـ وفي الصفحة ١٧٧ : « فلما سمعت قولها ارتج عليها ودهشت لاطلاعها على سرٍّ كانت تحسبه مكتوماً عن كل انسان ، وقد فاتها تفشي الجاسوسية في ذلك العصر ، وأن لكل انسان جاسوساً على صاحبه ، حتى الاب يتجسس على ابنه ، والابن يتجسس على أبيه » !!!

ـ وفي الصفحة ١٢٤ ستة مواضع كلها انتقام : « وستفرحين يا سيدتي متى انتقمت له » ، « نعم ، يجب أن تنتقم له » ، «إن اسمك يابني معناه الانتقام»، « انك ستنتقم له •• هل آن وقت الانتقام ؟ » ، « قد آن ياسيدتي ، وآن أن تقصي علي خبر نسبي وتمنحيني الوديعة التي وعدتني بأن أستخدمها في الانتقام»•

ـ وفي الصفحة ١٢٦ : « وتباحثوا في تدبير الامور والتربص ريثما يأتي الوقت للانتقام »•

ـ وفي الصفحة ١٣٨ : « وكلما قررت ما قاله من عبارات النقمـة على العباسيين وتهديده بالانتقام يختلج قلبها في صدرها •• » • « على أنها معارتياحها لها كانت تخافها أيضاً على سرها وذلك لعلمها بتفشي الجاسوسية »•

ـ وفي الصفحة ١٦١ : « ألم تذكر أنك نذرت أن تنتقم بـه لأبي مسلم وجعفر ؟ فكيف تنتقم لهما ؟ » •

ـ وفي الصفحة ١٧٦ : « وتحرك المأمون فخرج سلمان ولبث المأمون بعد خروجه يفكّر فيما سمعه وهو يخاف أن يكون قد جاء جاسوساً من قبل الفضل •• فعزم على استطلاع رأي الفضل خلسة » •

وأخيراً في الصفحة ١٧٨ ، قال جرجي بعد مقتل الامين : « أما بهزاد فلم يعد يرى سلمان منذ افترقا يوم خروجهما من عند الفضل ، ثم بلغه مقتل الفضل ابن سهل ، وعلي الرضا ، فأسف لضياع مساعيه في نقل السلطة الى الفرس ، ولكنه تعزّى بما وفّق اليه من الانتقام لجده وحميه »•

وهكذا يمضي تاريخنا العربي الاسلامي في هـذه الرواية ـ كما في كل رواية زيدانية ـ بين غرام ملكات جمال خياليات ، وبين انتقام وجاسوسية ، طبعا •• وهذا هو الزور والبهتان على هذا التاريخ المجيد ، الذي يجمع قلوب أبنائنا على مُثُل سامية رفيعة ، يبث في قلوبهم الشجاعة والالتزام نحو هـذا الوطن الحبيب ••

٤ً ـ وتبدأ « الشعوبية الزيدانية » منذ الصفحة ١٦ في الرواية ، بقوله: « فلما رُزِق بابنة عهد اليها في تربيتها وأوصاها بأن تعوّدها حرّية الفكر وحب الفرس » • فالعرب اذن ضد حرية الفكر •• العرب المسلمون مع كل حرية فكر لاتعني الزندقة والكفر •• أما أن نشجع الزندقة والكفر باسم حرية الفكر فلا؟!! ويتابع جرجي شعوبيته بمثل الأقوال التالية :

ـ في الصفحة ٧٣ : « وكان في صدر الطاق على عهد الاكاسرة عرش من ذهب مرصّع بالحجارة الكريمة يجلس عليه كسرى ، تعلوه قبّة مرصعة ، في داخلها مروحة من ريش النعام ، والى جانبي العرش مجالس الاعوان والمرازبة. وقد ذهب ذلك كله أثناء الفتح غنيمة للمسلمين ، وهم يومئذ أهل بادية حفاة عراة ، لا يفرّقون بين الكافور والملح ، ولا بين الجوهر والحصى (؟!؟!؟!) ، فاقتسموا الآنية ، وقطعوا الأبسطة ، ومزّقوا الستائر ، وكان نصرهم من آيات تغلّب البداوة على الحضارة » .

إن ذكر كسرى ، ذكر عرشاً ، وإن ذكر الرشيد ذكر سريراً ، والفرس أهل حضارة ، والعرب بداة لايعرفون الكافور من الملح ولا يميّزون بين الجوهر والحصى . ماذا نقول تعليقاً على هذا الافتراء ؟! كأن « جرجي » لا يدري أن هؤلاء البداة بُعِث فيهم نبي كريم ، فنقلهم نقلة عظيمة معجزة الى الكمال في الاخلاق والفداء والايثار والعلم والتحرير والانسانية ؟!!

ـ وفي الصفحة ٧٥ : « ثم رفع السراج الى رأس كسرى في الصورة وقال: « انظروا ، إنه ينظر إليكم بعينيه نظرة عاتب كأنه يقول : لقد تقاعدتم عن نصرة أمتكم ورضيتم بالرضوخ لقوم استخدموكم وأذلوكم وقتلوكم غدراً ، فكيف تصبرون على الذل وفيكم العظماء والحكماء القوّاد ، وفيكم رستم وقورش ودارا وسابور وبرويز وأنو شروان وبزرجمهر ، وقد حاربتم الإغريق والرومان والهند والصغد وفتحتم بلادهم ، كيف يغلبكم على أمركم أعراب كانوا يفدون علينا للاستجداء فننعم عليهم بالطعام واللباس ، وكان أحاسنهم من جندنا ومو الينا ، فتسلّطوا عليكم بالسيف ، ثم نصرتموهم فقتلوا كباركم غدراً ، وملكوا رقابكم وأنتم صابرون ، ولو لم تصبروا لكنتم الملوك وهم عبيدكم ... » .

ويستمر جرجي بشعوبيته بمدح الفرس والخرّمية الزنادقة ، وذلك في

الصفحات : ٧٦ ، ٧٧ ، ٩٤ ، ١٠٥ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ وغيرها •• واصفاً العرب المسلمين بالظلم والفساد والبداوة ، وبالرذيلة والمنكرات ، حتى تجرأ وقال عن العرب والفرس في الصفحة ١٣٣ : « فإن السخال لاتقوى على النطاح ، والبغال لاصبر لها على لقاء الاسد ؟!! اسمعوها ياعرب من فم جرجي « سخال ••• بغال » وكتبه في الاسواق تقدم لشبابنا بسعر رمزي ، لتصـل هذه الثقافة ، وهذا التاريخ لأبنائنا !؟! فهل من يد مخلصة غيورة تحمي هذا التاريخ العربي من شعوبية ودس وتشويه جرجي الصليبي ، رجل المخابرات البريطانية !؟!

٥ً ـ ومن دسّه وخرافاته ، أنه جعل في قصر الامين « دائرة للمنجمين » يرأسها « رئيس المنجمين » وهو الفارسي [الملفان سلمان] •• وكرر كلمـة [رئيس المنجمين] مرات ومرات منها الصفحات : ٥٣ ، ٦٣ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٣٨، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٥٦ ، ١٦٤ ، ١٦٨ •• وفي هذه الصفحة : « ١٦٨ » كـرر عبارة « رئيس المنجمين » خمس مرات فتصوّر ؟!! تصـوّر دولة مترامية الاطراف يقودها منجّم دجال هو « الملفان سلمان » ، يتنبأ الغيب ليسيّر الاحداث لصالح الفرس •• أما العرب في قصر الخلافة فبسطاء سذّج ، وأغبياء ، سخال بغال »، وعلى ذلك فالفرس أحق بالحكم فهم أهل الحضارة وحرية الفكر ؟!!

٦ً ـ ومن دجل جرجي عباراته التالية :

ـ في الصفحة ٧٧ : « إن هؤلاء العامة لا يقادون إلا بالدين » • « وأما الدين فهو الوسيلة لجمع كلمة العامة » •

وفي الصفحة ١٢٧ : « فلا شك في أن سعيهم يذهب عبثا لان العامـة لا يحكمون إلا بالدين » •

ـ وفي الصفحة ١٢٩ : « وأشار عليه بأن يلزم التقوى ، لان العامة لاتحكم بشيء حكمها بالدين » •

وبهذا يجعل جرجي الدين للعامة ، للرعاع .. أما الطبقة المختارة من العلماء والكتاب وكبار رجال الدولة .. فالدين لا ينطلي عليهم ، ولا يسيّرهم ولايحكمون به .. لان عقولهم وأفكارهم فوق تعاليم الدين .. ونسي جرجي أن من هؤلاء « العامة » كان كبار العلماء كابن الهيثم وابن خلدون ، وابن سينا، والبيروني ، والخوارزمي ، والرازي ، والشافعي ، والغزالي ، والكندي والمسعودي ، وابن حيان ، وواصل بن عطاء ؟!!

٧ً ـ ومن حِكَم جرجي في هذه الرواية ، ماورد في الصفحة ٧١ :

« وساعة الغروب من أوحش الساعات على الانسان لقرب خروجه الى الظلمة ، فيشق عليه فراق النور فتنقبض نفسه ، ويستوحش حتى اذا كان في قصره بين أهله وذويه .. ».

مع أن الكثيرين يرون أجمل ساعات النهار ساعة الغروب ، لما فيها من جمال ألوان خيوط الشمس ، وبهاء الافق ، وسكون الليل ..

٨ً ـ وفي الصفحة ٨١ ، يشوّه جرجي الحالة الاجتماعية المستقرة في عصر القوة العباسي ، فيقول رأت ميمونة وبهزاد :

ـ الجند يكسرون أبواب البيوت وينهبون مافيها .

ـ وسبقهم سلمان الى غرفة يعهد فيها مسرجة ، فأضاء السراج وعاد ليضيء طريقهم ، فرأوا آثار النهب ...

فالنهب والسلب لايقوم به جند وصلوا أسوار القسطنطينية ، وفتحوا هرقلة،وسيفتحون عمورية بعد أعوام؟! ليرفعوا رأس الامة عالياً أمامالبيزنطيين!؟

٩ً ـ وتظهر شعوبية جرجي أيضا في افتراءاته على الامين ، ووصفه بمايلي:

ـ في الصفحة ١٠٥ : « فهذا الامين مع تهتكه وسكره وعلمه بانتهاكه حرمة

الشرع والعرف ، وصمه الأذن عن النصح لم يسعه إلا أن خجل أن يقابل في مجلس لهوه فتاة على سريره » •

ـ وفي الصفحة ١٠٦ : قال جرجي ـ إفكاً وبهتاناً ـ بحق الامين أيضاً : « فغلب عليه اعتزازه بالإثم » وهو في مجلس الشراب !!

ـ وفي الصفحة ١٠٧ يعمم افتراءه وإفكه بقوله على لسان فتاة رأت مائدة الشراب وما عليها من أطايب : « أرى مائدتك ياعماه تختلف عن مائدتنا ، لعل مائدة الخلفاء هكذا !! » •

ـ وفي الصفحة ١٢٢ يقول جرجي على لسان الفتاة الصغيرة : « فارقته بين الكأس والطاس والجواري والغلمان » •

ـ وفي الصفحة ١٥٧ يقول جرجي على لسان الامين ذاته : « يلومونني على الشراب ، وماذا يفعل اليائس في مثل هذه الحال ؟ إن الشراب ينفّس الكرب، ويذهب الغم حتى يقضي الله بما يشاء » •

١٠ ـ ويرسم جرجي ـ حاقداً ـ صورة للسيدة زبيدة تعاكس حقيقة شخصيتها المؤمنة ونفسيتها الانسانية ، فهو يقول بحقّها :

ـ في الصفحة ١١٥ : « فضحكت زبيدة وقالت : عرفتك يا عبادة !• ألا تزالين على قيد الحياة ؟! ، فاستغلظت عبادة هذا السؤال لما فيه من الاحتقار ، ولكنها كظمت وقالت : نعم لا أزال حية لسوء حظي » •

« فقهقهت زبيدة وقالت : ذلك جزاء العقوق ياعبادة ، اجلسي » •

ـ وفي الصفحة ١١٦ يتابع جرجي بقوله : « أرأيت عاقبة الغدر ، أرأيت عاقبة الجرأة على مولاكم ؟ أرأيت كيف ردّ الله كيدكم في نحركم ، لقد كنت أحسبك قضيتِ كمداً من الثكل ، فاذا أنت حيّة تسعين ! » •

ــ وفي الصفحة ١١٧ : « فابتسمت ــ زبيدة ــ وحول مبسمها هالة من الحقد والنقمة •• » •

هذه هي الصورة التي رسمها جرجي لزبيدة •• احتقار الناس ــ سـوء أدب ــ حقد ونقمة •• بينما صورتها الحقيقية حسب مراجعنا العربية المعتمدة كالتـالي :

زبيدة بنت جعفر بن المنصور ، زوج الرشيد ، سيدة جليلة ، ذات يد طولى في الحضارة والعمران والعطف على الادباء والشعراء والاطباء ، ومـن ذوات العقل والرأي والفصاحة والبلاغة •

لقد كانت كاتبة ، يُسمع من قصرها دوي كدوي النحل من قراءة القرآن الكريم ، شملت في عطفها الفقراء ، وأرباب التقوى والصلاح والعلماء ، ومن آثارها وأعمالها الجليلة التي خلّفتها وانتفع بها المسلمون خير انتفاع ، أنها سقت أهل مكة الماء ، بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار ، وأسالت المياه عشرة أميال بخط الجبال ونحت الصخر ، غلغلته من الحل الى الحرم ، ومهدت الطريق لمائها في كل خفض ورفع وسهل وجبل ووعر(١) •

وقال ابن جبير بعد أن ذكر المصانع والبرك والآبار والمنازل التي من بغداد الى مكة : إن كل ذلك من آثار زبيدة ، فانتدبت لذلك مدة حيـاتها ، فأبقـت في هذا الطريق مرافق ومنافع تعم وفـد الله تعالى كل سنة من لدن وفاتها الى الآن ، ولولا آثارها الكريمة في ذلك ، لما سُلِكت هذه الطريق ، والله كفيل بمجازاتها والرضى عنها(٢) •

(١) أعلام النساء ، ج : ٢ ، ص : ٢٧ ، وأوردنا النص بحرفيته ، على الرغم مما فيه مـن انقطاع وأخطاء •

(٢) رحلة ابن جبير ، ص : ١٦٥ •

لقد كانت زبيدة كما وصفها ابن تغري بردي : « أعظم نساء عصرها ديناً وأصلا وجمالا وصيانة ومعروفاً » .

هذه المرأة التي كانت بحق من فضليات النساء وشهيراتهن ، عكس جرجي صورتها الكريمة الفاضلة . وما ذلك إلا من قبيل تشويه تاريخنا بتشويه شخصياته الكريمة الطيبة ؟!!

١١ً ـ نهاية الرواية ونتيجتها ـ كما هي عادة جرجي ـ عقد لبهزاد ـ الخيالي ـ على ميمونة ـ الخيالية ـ بعد مقتل الامين ، وبعد تسييرهما لأحداث الرواية .

خاتمة الرواية : علّق رأس الامين ـ العربي ـ على حائط بستان ، فسُرَّ الفرس بهذه النتيجة الطيبة وقالوا : « على الباغي تدور الدوائر » ، [الصفحة ١٧٤] ، وتزوج البطلان الخياليان بعد الانتقام لأبي مسلم الخراساني وجعفر البرمكي .

فالرواية اذن قصة خيالية نسجها جرجي حول شخصيتين أسطوريتين ، أدخل عليها بعض أحداث التاريخ العربي الاسلامي ، لا كما هي في مصادرنا المعتمدة ، بل كما أرادتها صليبيته وحقده ودسّه !!

١٢ً ـ وقبل ختام دراستنا لهذه الرواية « الامين والمأمون » ، نستعرض لاول مرة بعض الصفحات من كتابات جرجي :

ـ في الصفحة ٨٤ يقول خيال جرجي : [فقال : « اقعدي يا ميمونة ، لاسبيل الى الذهاب الآن ، فإنك غريبة هنا ، ولا منزل لك تلجئين إليه » .

فأثر قوله في نفسها وتذكرت مصائبها فوقفت وغطت عينيها بكفيها وأطلقت لنفسها عنان البكاء .

فرقّ لها قلبه وسكت وقد كاد يختنق ، ووقع في حيرة وهـو يتجلّد في كتمان إحساسه ، وقال : « كنتِ تريدين أن تقولي شيئاً ، فما هو ؟ »

فظلت واقفة وهي تغالب عواطفها وتحاول كتمان هيامها ولاتجد الى ذلك سبيلا ، وشعرت بأنها مغلوبة على أمرها فاصطكت ركبتاها ولم تعد تستطيع الوقوف فقعدت وهي تتشاغل بمسح عينيها بطرف كمها ، ثم نظرت الى عينيه فرأت فيهما شيئا يكاد ينطق بمكنونات قلبه ، فهمّت بأن تصرح بما ترجوه منه فغلب عليها الحياء ، فاذا هو يبتسم لها وعيناه تبرقان وجداً وهياماً ، فبقيـت سـاكتة •

أما هو فاستأنف الكلام قائلا : « قولي ياميمونة •• قولي »•

واختنق صوته ، فنظرت اليه وقد احمرت عيناها ، وذبلت أجفانها ، فازدادتا سحراً وفتنة ، وقالت : « أراك تبالغ في المجاملة ، كفى ياسيدي •• كفى استخفافاً بي• قل إنك لايهمك أمري ، وهذا يكفيك مؤونة الاهتمام بي !»•

فقال : « بل أمرك يهمني كثيراً ، ألا يشعر قلبك بذلك ؟ أراك تتجاهلين أكثر من تجاهلي أم أنتِ لا قلب لك ؟ » • واخشوشن صوته •

فأبرقت أسرتها وحدّقت في عينيه كأنها تستطلع حقيقة مايعنيه ، ثم ابتسمت والدمع يجول في عينيها ، وتجلدت والحياء يغالبها وقالت : « أيهمك أمري كثيراً؟ اذن قل انك •• » وسكتت ففهم مرادها وتظاهر بأنه لم يفهم ، فقال : « ماذا أقول يا ميمونة ؟ قولي أنت أولاً !»•

فقالت : « وهل تحتاج حالي الى قول وهذه دموعي تقول عني ، فقل أنت ، قل بالله انك تحبني ، أو دعني وشأني! » • قالت ذلك وحوّلت وجهها عنه وهي تكاد تختنق من تضارب الحب والخجل وخوف الفشل •

فلم يعد بهزاد يستطيع إمساك هواه ، ولكنه فكّر فيما هو فيه من مهام

الامور ، فخاف أن يحول التصريح دون مشروعه ، فقال : « ان ذلك لايحتاج الى تصريح ، نعم إني أحبك ! » .

فلما سمعت تصريحه غلب عليها السرور حتى كادت تضحك فغصّت بالضحك كما كانت تغص بالبكاء ، وتساقطت دموعها ولم تتمالك أن صاحت: « أنت تحبني يا بهزاد ؟. تحبني ؟. أحقيقة ما أسمعه أم وهم ؟. وهل أنا في يقظة أم في منام ؟حبيبي بهزاد أنت تحبني ؟ » .

فلما رأى لهفتها تذكر مهامه ، فبدأ الاهتمام في وجهه وقال: «نعم إني..» وبلع ريقه وحكّ ذقنه وسكت .

فخافت أن يكون قد ندم على ما قاله فنظرت اليه وقد امتزجت في عينيها ملامح الخوف والرجاء ، وقالت : «مالك ؟ أراك تتردد . ماذا جرى؟ ألا تحبني» .

قال : « بل أحبك ولكن .. » . قالت : « ولكن ماذا ؟ » .

قال : « ولكن اسمحي لي أن أقول شيئاً آخر .. » .

قالت وقد بان الوجل في محياها : « أما وقد قلت انك تحبني فقل بعد ذلك ما شئت ، ولكن لا .. تمهّل .. لا تقل .. أخاف أن تهددني بالفراق ! » .

قال : « لا أهددك به ولكنه شرط من شروط حبك » .

فنظرت إليه شزراً وقلبها يختلج وفي عينيها أمارات العتاب وقالت بصوت خافت ناعم : « أراك تشترط في الحب ، وأنا أحبك بلا شرط » .

فأطرق خجلا من توبيخها اللطيف ثم رفع بصره اليها وقال : « صدقت . لا خير في الحب اذا تقيّد بشرط . ولكني أشترط أمراً فيه نفع لك ، فأذني لي في ذكره وأطيعيني فيه » .

قالت : « إني أحببتك بلا شرط ، ومن مقتضيات هذا الحب المطلق ألا أضع عائقاً في طريق حبك فاشترط ما شئت » .

فقال : « قد علمت الآن أني مسافر ، فاذا سافرت فإنما أسافر في خدمتك • وقد تحسبين أنك عرفت أمري وسهل عليك الحكم على مستقبلي • سمعت أني رسول من جماعة الخرّمية • اني لم أكذب ولكنني أكثر من ذلك • وأقول والاسف ملء فؤادي لا أستطيع التمتع بهذا الحب إلا بعد الانتقام ، فاذا بقيت حيّاً وعدت ظافراً فتلك هي السعادة إذ أكون انتقمت لأبيك وللقتيل قبله ، وإلا فلا حيلة لي في دفع الاقدار • ولا أجهل أن الشرط صــعب عليك بل هو ظلم مني ، ولكن لا خيرة في الواقع » •

قال ذلك ونهض وهو يقول : « انهضي الآن الى فراشك » •

فنهضت وقلبها يرقص طرباً ، وإن كان قد ساءها خبر فراقه ، ولكنها سُرّت لسعيه في الانتقام لأبيها ، وشغل ذهنها بما قاله عن نفسه من أنه أكثر مما عرفت عنه ، فقالت في نفسها : « ما عساه أن يكون ؟ » • ولكنها لم تجسر على سؤاله فأطاعته وهمّت بالذهاب الى الفراش ، فأشار بهزاد الى حجرة وحمل المصباح بيده ومشى بين يديها وهي تتبعه وأفكارها تائهة ، فدخلت الحجرة وفيها سرير عليه فراش من جلد فوقه وسادة وغطاء فقال : « هذا هو فراشك الليلة » • ورجع والمصباح في يده ولم تمض هنيهة حتى توارت أشعة ذلك المصباح عنها فنزعت الخمار ونامت] •

* * *

وفي الصفحة ١٤٠ : [وفيما هو في لهوه ــ حديث جرجي هنا عن الامين ــ جاء بعض الغلمان يقول : « إن موكب مولاتنا أم أمير المؤمنين قادم » •

فسرّ بقدومها لرغبته في استشارتها،فأمر قيم القصر بالاستعداد لاستقبالها، وأمر قيّمة القصر بترتيب الوصائف والوصفاء صفوفاً وفي جملتهم فرقة مــن الجواري المقدودات الحسان كانت أمّه زبيدة قد أهدتهن إليه لما رأت اشتغاله

بالخدم والغلمان عن النساء ، فاتخذت هؤلاء الجواري وألبستهن لباس الغلمان فعمَّمت رؤوسهن وجعلت لهن الطرر والاصداغ والاقفية ، وألبستهن القراطق والمناطق فبانت قدودهن وبرزت أردافهن ، وبعثت بهن إليه فاستحسنهن واجتذبن قلبه وأبرزهن للناس من الخاصة والعامة ، فقلّده بعضهم في ذلك • فلما سمع بقدوم أمه رأى أن يسرها بإشراك هؤلاء الجواري في استقبالها ، فأمر القيِّم بترتيب الغلمان صـفوفاً يرأسها كوثر الذي اشتهر بافتتانه به ، فصفَّت فرق الخصيان والجواري ، وفرق الغلمان الجرادية ، والحبشان الغرابية ، وكل فرقة في زي خاص وأشكال وألوان خاصة ، فهناك القصير من الملابس والطويل ، وهناك الاحمر والازرق والسماوي والوردي والاصفر ، وفيهم الغلمان بألبسة النساء ، والنساء بألبسة الغلمان،يتخللهم العوادون وأصحاب الطنابير والمزاهر]•

* * *

ــ وفي الصفحة ٤٩ : [وأما ميمونة فقد شغلت عن ذلك كله بما هاج في قلبها من الشوق الى حبيبها • والحب يشغل صاحبه عما حوله من الشؤون، فإذا غاب حبيبه طارت نفسه شعاعاً وأصبح همه في أن يعود اليه ، لا شيء ينسيه شوقه أو يعزيه على وجده ، واذا اشتغل بشيء فالى أجل ، واذا اجتمع بالحبيب قام بينه وبين الحوادث سد منيع فيصبح أصم إلا عن سماع حديثه ، وأبكم إلا في جوابه ، وأعمى إلا عن رؤيته ، وقد يسمع أو يرى ولكن كالسامع من وراء جدار أو الناظر في ديجور الظلام • واذا وقعت حوله الطوارىء فانما يهمه منها ما يقربه من الحبيبَ أو يبعده عنه ، فلم يكن موت الرشيد ليهم ميمونة إلا من هذا القبيل ولانها كانت لا تزال في ريب مما في نفس بهزاد بعد أن ودّعها بالامس وخرج مسرعاً على تلك الصورة ومضى معظم ذلك النهار ولم يرجع ولا جـاء خادمه •] •••

* * *

بمثل هذا الخيال كتب جرجي تاريخكم يا عرب •• وغايته جليَّة واضحة ألا وهي تحقير الامة العربية وإظهار مساويها مجسَّمة ، ولكن لمَّا كان يخاف الفتنة والثورة غيَّر مجرى القول ، ولبس الباطل بالحـق ، وما ترك سيئة إلا وعزاها للعرب،وما خلى حسنة إلا وابتزَّها منهم،وكل ذنبهم أنهم عرب مسلمون•

فهل من منقذ لهذا التاريخ المجيد من أيدٍ أثيمة باغية •• ضلَّت عن علم •• فدسَّت وشوَّهت بخبث وصليبية ؟!!

عروس فرغانة

✶ « إن المعتصم جعل كعبة في سامرا !؟! ليحول المسلمين عن كعبة مكة ، ويذهب بما بقي للعرب من مصادر الرزق حتى يميت عرب الحجاز ، لأنهم يرتزقون من الحجاج ، فأنشأ الكعبة في سامرا ليغني المسلمين عن الحجاز .. » !!

جرجي .

قال جرجي عن هذه الرواية انها : « تتضمَّن وصف الدولة العباسية وعاصمتها «سامرّا» في عهد المعتصم بالله ، وطمع الفرس في إرجاع دولتهم ، ونهوض الروم لاكتساح المملكة الاسلامية » ، [ص ١] .

أما أبطال الرواية فهم كما وردت أسماؤهم في الصفحة الثانية :

* المرزبان طهماز : من سراة فرغانة
* عروس فرغانة : جهان بنت طهماز
* القهرمانة خيزران : مربية جهان
* سامان : شقيق جهان
* ضرغام : رئيس حرس المعتصم .
* الافشين حيدر : قائد جند بغداد
* آفتاب : والدة ضرغام
* أحمد بن أبي دؤاد : قاضي القضاة
* بابك الخرّمي : صاحب أردبيل

ومن الملاحظ أن أبطال جرجي في هذه الرواية كلهم خياليون ، باستثناء

زنديقين هما : الإفشين ، وبابك الخرّمي ، وقاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد.

والرواية قصة حب خيالية بين جهان وضرغام ، والمنافس هو الافشين . والبطلة « تتمتّع بجمال جذاب نادر » ، « وكانت طويلة القامة جليلة الطلعة ، في وجهها هيبة وصحة وجمال ، وعيناها كبيرتان فيهما نور وذكاء وجاذبية لايعبّر عنها بغير السحر ، ولذلك يشعر من يبادلها النظر أو الحديث بسلطانها على قلبه وعقله ، فلا يقوى على التبسط معها في الحديث ، ولا تطاوعه نفسه على مخالفتها في أمـر كأنها ملكت عليه ارادته فيصبح آلة بيـدها . وكان الناس ينتظرون خروجها من منزلها للصيد أو النزهة فيقفون في الطرق ليشاهدوا محياها فكانت تبتسم للناظرين فتزيدهم تعلقاً بها .

ولو أنك نظرت الى جهان في بيتها وقد أزاحت اللثام حتى ظهر عنقها وأرخت شعرها ، لرأيت قوة الجنان ورباطة الجأش ظاهرتين حـول فمها وفي ذقنها ، وتجلّت لك قوتها في اندماج عنقها ، وقد تعجب لأول وهلة من اختلاف ملامحها عن ملامح الفارسيين وأبوها منهم ، فاذا علمت أن أمهـا جركسية زال تعجبك وعلمت أنها ورثت تلك الملامح عـن أمها ، كما ورثت عنها كثيراً مـن سجايا الجراكسة كالقوة والشجاعة والأنفة وتعوّد ركوب الخيل والسباق بها والخروج للصيد ، على أنها أخذت عن أبيها ذكاء الفرس وتعقّلهم ودقة احساسهم ، فكانت بهذا وذاك نادرة عصرها جمالا وجلالا ، وشغف بها الفرغانيون وسموها «عروس فرغانة» ، [الصفحة ٨] .

ـ وكثيراً ما كانت تقرأ أفكار المتكلمين بالتفرّس في عيونهم ، [الصفحة ٢٣] .

ـ حسرت عن وجهها وعنقها فبان إشراقهما وقد زادها القلق والتعب هيبة وجمالاً ، [الصفحة ٢٥] .

ـ وقد أدهشهم مارأوه في تلك القادمة من الجمال والهيبة لانها لا تتحجب . [الصفحة ١٠٥] .

ـــ وكانت جهان واقفة فلما رأته داخلاً قعدت فاستنكر استخفافها به ، ألا وهي تحقــير الأمة العربية وإظهار مساوئها مجسَّمة ، ولكن لمَّا كان يخاف والسحر حتى دهش ، وعلى كثرة من رأى من جميلات النساء ، الفارسيات منهن والكرجيات والشركسيات والروميات ، وبعضهن أجمل من جهان تكويناً وأصفى لوناً ، شعر بأن عينه لم تقع على فتاة في مثل جاذبيتها ، فخف غضبه ، وان أخذته العزة بالإثم ، لتعوده خضوع الناس له على طول الخط ، فقال : وتقعدين أيضاً في حضرتي ؟

أما جهان ، فانتفضت كالعصفور بلَّله القطر ، لفرط تأثرها رغـم رباطة جأشها ، ثم تشاغلت باصلاح شعرها ، ورفعت بصرها إليه وحدَّقت وهو ينظر في عينيها ، فأحسَّ بسهم اخترق صدره وكأن الغضب تسرَّب من صدره حتى خرج من أطراف أنامله وسرى عنه،وقالت : هل ينفعك وقوفي إن لم تملك فؤادي [الصفحة ١١٣] •

بمثل هذه المواقف الغرامية كتب جرجي روايته الخيالية « عروس فرغانة »، كتبها تحت عنوان : « روايات تاريخ الاسلام » !؟!

ومما يمكن أخذه على جرجي في هذه الرواية :

١ً ـــ قال في الصفحة ٣ : « وكان فتحها على يـــد قتيبة بن مسلم فاتح تركستان سنة ٩٤ هـ • ولم يستعمرها العرب أو يقيموا بها إلا بعد ذلك بأعوام عديدة ، وكانت تابعة لعامل خراسان في تأدية الجزية والخراج »•

الاستعمار بمعناه اللغوي هو الإعمار ، قال تعالى : « واستعمركم فيها »، أي جعلكم عـمّارها ، وجرجي عوَّدنا أنه لا يستعمل الكلمة الطيبة بحق تاريخنا وأمتنا وتراثنا وديننا •• فالمراد هنا مايفهمه الناس مـــن كلمة استعمار بمعناها

الاصطلاحي المتعارف عليه ، وهو سيطرة فرد على فرد أو جماعة على جماعة ، أو دولة على دولة بغية استغلالها .

وبمقارنة الفتوحات التي شهدها التاريخ بفتوح الاسلام ، يظهر أوجه الخلاف بين الاسلام والاستعمار . وعند معرفة آثار الاستعمار وصوره وأشكاله يتبيَّن فيما اذا ترك الاسلام مثل هذه الآثار والصور ، ونحن ناقشنا ذلك مطولاً بكتابنا « الاسلام في قفص الاتهام » في الجلسة الحادية عشرة ، ويكفينا هنا أن نذكر النقاط الثلاث التالية :

أ ــ ان الفتح الاسلامي لم ينحسر عن غالب ومغلوب ، عن عزيز وذليل ، بل انحسر عن تحرير وسـلام بين الفاتحين والشعوب ، انحسر عن وحدة في العقيدة والفكر .

ب ــ صـار ابن البلاد التي فتحت يحمد الله عزّ وجل ويشكره لكونه مسلماً ، ولأنه صار على دين وحضارة الفاتحين ، فهل حمد الله إنسان في مستعمرة إيطالية أو إفرنسية أو إنجليزية أو برتغالية .. لأنه استعمر وتفرنس أو تطليَن؟ فلمـاذا ؟!! .

جـ ــ لو كان الاسـلام استعماراً ، فلماذا لمّا انحسـر سلطانه السياسي والعسكري لم يرتد من أسلم من أبناء البلاد التي فُتحت؟! ولماذا بقي الاندنوسي والباكستاني ، والمسلم الصيني والروسي والسنغالي والنيجيري .. يتجه الى كعبة الحجاز ، وأمله في حياته كلها زيارة أرض مهد الرسالة الاسلامية ، ومقام النبي العربي محمد ﷺ ؟!!

٢ً ــ جعل جرجي تاريخنا الإسلامي : « جواسيس ، وانتقام ، ودسائس »، يقابلها تمجيد بالخرّمية والفرس ، مظهراً بجلاء شعوبية حاقدة . مثـال ذلك

الصفحات : ١٠/١٣/٩٠/١٠٣/١١١/١١٥/ ١١٦ / ١١٧ / ١١٨/١٢٠/١٢١/١٤٢/١٤٣/١٥٣ •• وغيرها •

ومن أقوال جرجي بهذا الصدد :

ــ ما خرجت لأكون لصاً ، وانما خرجت لأنتقم من هذه الدولة ماوجدت إلى ذلك سبيلاً • ص : ١٠٣ •

ــ •• فتحوّلت نقمتها إليه وأصبحت لا تدري ممن تنتقم ولا كيف تنتقم• ص : ١١٤ •

ــ مكثت حيناً في انتظار رجوع الجاسوس •• ولم تكن أقل شوقاً لرجوع الجاسوس من جهان نفسها ، وعاد الجاسوس واتفق يوم رجوعه أن كانت جهان عند هيلانة في غرفتها ••• ص : ١١٥

ــ وقد بلغت أن الافشين انتقم منك انتقاماً جارحاً ، ولسوف أنتقم لك منه أشد الانتقام •• ص : ١١٨ •

ــ كان ضرغام قد بث العيون والجواسيس •• ص : ١٢١ •

ــ وكان الافشين قد كلف جواسيسه •• ص : ١٢٤ •

وقال عن الخرّمية: «وهي جمعية سرّية قامت على مقاومة أصحاب السيادة، وزعيمها في ذلك العصر بابك الخرّمي صاحب أردبيل ، وكان الخرمية يسعون في تأييد سلطته سراً •• » ص : ١٠٢ •

بينما الخرّمية : طائفة فارسية أسسها مزدك في أيام قباذ أبي كسرى الاول المعروف بأنو شروان • وقد نشأت من طائفة الخرمية المزدكية طائفة الخرمية البابكية التي تنسب إلى بابك الذي ادعى الألوهية •

ومن أهم مبادىء الخرمية تحويل الملك من العرب المسلمين الى الفرس

والمجوس ، وهم بذلك أثاروا حرباً شعواء على الاسلام والعرب ، واحتالوا في إزالة الملك الى العجم ، فموّهوا هذه النحلة ، وزينوها للجهال ، ودعوا إليها في السر ، ومحصول أمرهم التعطيل والالحاد ، ومن مبادئهم تأليه البشـــر •• كما رفضوا جميع الفروض الدينية ، وأباحوا لأنفسهم شرب الخمر ، ونادوا بإباحة المحرمات والاشتراكية في النساء[1] ••

هذه الطائفة وبهذه المبادىء •• أخذ جرجي يمجدها ويثني عليها وجعلها « جمعية سرية قامت على مقاومة أصحاب السيادة » ، هذا القول أين سنده ، أين دليله ، أين مرجعه ؟!! لا أحد يدري •

٣ً ـــ جعل جرجي حياة الدولة العباسية لصوصاً وقطاع طرق ومظالم • ولكن ماهذه المظالم ؟ ما نوعها ؟! أمثلتها ؟! لم يذكر منها شيئا •• ومثال ذلك الفقرات الطويلة في الصفحات : ٦٠ ، ٦٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ •• نورد منها :

ـــ مظالم ذلك العصر •• ص : ٦٥ •

ـــ لو كنت في مكاننا نحن العرب لما قبلت ما يأتيه هذا الرجل من مظالم •• ص : ٨٨ •

ـــ فأنا ناقم على الرجل الظالم مادمت حياً •• ص : ٦٠ •

فجرجي ضد كل ماهو عربي مسلم ، هو ضد الخلفاء الراشدين ، وضد بني أمية ، وضد العباسيين ••

٤ً ـــ ذكر جرجي في الصفحتين ٨٢ و ٨٥ خبراً طريفا هو : « وكان المعتصم قد بناه ـــ بنى مسجداً في سامرا ـــ وبالغ في اتقانه على شكل لم يسبق لهمثيل في الاسلام ، فجعل جدرانه ومحرابه من مرايا حتى اذا وقف الخليفة للصلاة رأى من يدخل المسجد من خلفه » •

(١) للتوسع راجع تاريخ الاسلام ، ج : ٢ ، ص : ١٠٨ وما بعدها •

« فخجل ضرغام من هذا الاستفهام وقد فاته أن الخليفة يرى الخارجين والداخلين بالمرايا كما رأى هو سامان » •

فالخليفة هنا لا يصلي ، ولايقف خاشعاً بين يدي الله ، وجهه الى القبلة•• وعيونه تراقب الخارجين والداخلين •• هذا الخبر أين مصدره ؟ لايدري أحد؟!

ويقول جرجي أيضا : ان المعتصم جعل كعبة في سامرا !! « جعلني سادن الكعبة التي أنشأها في سامرا ليحول المسلمين عن كعبة مكـــة ويذهب بما بقي للعرب من مصادر الرزق حتى يميت عرب الحجاز ، لانهم يرتزقون من الحجاج فأنشأ الكعبة في سامرا ليغني المسلمين عن الحجـــاز ، ولكنه ليس أول من فعل ذلك من الخلفاء أو الامراء فقد حاول ذلك الحجاج والمنصور ولم يفلحا » ، [ص : ٨٩] •

كيف يبني المنصور والمعتصم كعبتين ؟ وكيف يحاولان تحويل المسلمين عن قبلتهم وشعائر حجهم وهما عربيان ، وابنا عم النبي ﷺ ، وخليفته في أمته وشريعة الله التي أنزلت عليه ؟!!

ان الدعوة العباسية ـــ مع قرب عهـــد الناس فيها للاسلام ـــ لم تقم إلا بإظهار الدفاع عن حوزة الاسلام ، وتجديد شريعته وشعائره ، فكيف يقع ذلك من المنصور وهو الذي حمل علماء المسلمين في جميع بقاع الارض على تدوين علوم الكتاب والسنة ، فكان عهده مبدأ لتدوينها بإجماع المؤرخين ••

ولو كان ما ادعاه جرجي صحيحاً ، فما الذي حمل المنصور على الحـــج الى مكة وترك كعبته ، حتى توفي في طريق مكة على أميال منها محرِماً ناسكاً ؟! بالاضافة لما اشتهر عن المنصور من الزهد وتشـــدده في أمر الدين •• فالرجل مؤسس ملك ، واشتدت وطأته على أعدائه ، فأشاعوا عليه هذا العمل ليصرفوا الناس عنه ، كما صرفوا عن بني أمية بمثل ذلك وأنهم هدموا الكعبة •

ومثل ذلك يقال عن المعتصم أيضاً الذي وصفه المسعودي بحسن السيرة واستقامة الطريقة .

٥ً — جعل جرجي سبب فتح البذ « أو البد أو البدين من أرض أران ، وهي حصن بابك الخرمي » ليس للقضاء على الخرمية ، بل في سبيل الوصول الى جهان ، وأخذها من قصر بابك ؟!!

وعند فتح البذ يكرر كلمة النهب كما في الصفحتين ١٤٠/١٥٥ .. ولكنه لم يذكر مرة واحدة أن الخــرمي « انضــوى اليه القطاع والحراب والزعار وأصحاب الفتن وأرباب النحل الزائفة .. وأخذ بالتمثيل بالناس والتحريق بالنار والانهماك في الفساد وقلة الرحمة والمبالاة ، وهزم جيوشاً كثـيرة للسلطان ، وقتل عدة قواد . وذكر عنه أنه قتل فيما حفظ ألف ألف انســان من بين رجل وامرأة وصبي[1] ..» .

وما ذلك إلا من قبيل شعوبية جرجي ، التي أوضحت أيضا بقوله في الصفحة ١٣ : « إن للفرس ملوكاً عظاماً لا يلبثون أن يعيدوا سلطان الاكاسرة ، ألا تعرفين مازيار صاحب طبرستان ؟ ألا تعرفين بابك الخرمي صاحب أردبيل ؟ إن كلاً من هذين ملك عظيم تخضع له الالوف من الابطال ، ولكنه في الوقت نفسه يخضع لعروس فرغانة ، ويضحي بحياته في سبيل رضاها » .

فبابك الخرّمي ملك عظيم في عرف جرجي ، وما قالها عــن الرشيد أو المنصور ، أو المعتصم مرة واحدة ؟!

هذا .. وان فتحت بلدة بيد المسلمين ، جعل جرجي سبب فتحها خيانة ، وان فتح حصن فتح لخلاف أو وهن أهله .. وكأن انتصارات المسلمين ليست

(١) كتاب البدء والتاريخ ، جـ : ٥ ، ص : ١٣٤ .

نتيجة قوتهم وعقيدتهم وايمانهم ، بل نتيجة ضعف عدوهم وخلافاته وانشقاقاته ليس غـــير ؟!!

٦ً ــ ولما ذكر جرجي « بطريقاً أرمنياً » أقحمه إقحاماً ، جعله ذا نفس كبيرة عظيمة يبلي بلاء حسناً ، ويظهر شجاعة نادرة في فتح البذ وفتح عمورية [صفحة ١٤٠/١٦٤] • هكذا أراده جرجي انطلاقا من صليبيته •

٧ً ــ وقال عن الشعب في عهد العباسيين « عبيد أمير المؤمنين » [ص١٤٤]، وهذه عبارة يرفضها الاسلام والمسلمون ، انهم « رعايا » وليسوا عبيداً•

٨ً ــ أظهر جرجي التحالف الخرَّمي الرومي في الصفحة ١٤٥،أنه تحالف سببه النساء ، والحقيقة هو تحالف شعوبي صليبي ضد الدولة العباسية التي حمت حدودها من الخطرين معاً •

٩ً ــ ولا يمكننـــا أن نختتم هذه العجالة عـــن « عروس فرغانة » إلا ونستعرض عبارات الغرام التي ذكرها جرجي في هذه الرواية تحت عنـــوان : تاريخ الاسلام :

ــ في الصفحة ١٠ : وأبرقـــت عيناها بريقاً ينم عما يجيـــش في قلبها من لواعج الحب ••

ــ ص ٢٠ : فلما سمعت جهان ذكر الغرام تذكرت لوعتها فتنهدت•

ــ ص ٢٢ : فيها غرام وحكم : « وكانت الشمس قد مالت الى الاصيل وأثر الجوع في خيزران ، أما جهان فشغلها تلهفها للقيا حبيبها عن كل عاطفـــة، وقضت معظم الطريق ساكتة وهواجسها تتعاظم وتتلاطم ، وكلما تصورت لقاءها حبيبها اختلج قلبها ، ورأت أنها ارتكبت شططاً ما كانت لتأتيه لولا غلبة الحب على ارادتها •

وكثيراً ما يغلب الحب الارادة ويكون الفوز له عليها ، وقد تفوز الإرادة، ولكن الى أجل قريب ، واذا طالت غلبتها كان الحب ضعيفاً سريع الزوال • وقد يكون المحب كبير العقل مدبراً حكيماً ويرتكب في سبيل الحب أموراً لا يأتيها غير أهل الطيش • وليس استغراب الناس عمله أكثر من استغرابه هو عمل نفسه، لانه يأتي تلك الامور وعقله مشرف على عمله ينتقده ويقبحه ولايرى له سلطاناً على رده ، وذلك لان للعاقل الحكيم قلباً فطر على الحب الشديد ، فاذا هو خالف هوى قلبه تألم ألماً لا طاقة له باحتماله ، وقد يجن أو يصعق • وكم من عاشق ذهب ضحية النزاع بين العقل والقلب • فالعاقل اذا أحب انتشبت بين ارادته وعواطفه حرب لها اضطرام ، فاذا كان كبير النفس قوي الجنان جارى عواطفه اعتماداً على عزة نفسه ، وقوة جنانه فلا يخاف أن يغلب على أمره »•

ــ ص ٣١ : «أما هي فلما وقع بصرها عليه لم تعد تعلم كيف تخفي عواطفها، فاذا استطاعت إخفاء خفقان قلبها وارتعاش أعضائها ، فكيف تستطيع إخفاء ما ظهر من التورد في وجنتيها أو الإشراق في عينيها ، وقد نسيت مرض أبيها ، وأصبح همها أن تلاحظ مايبدو منه نحو حبيبها من ترحاب أو انعطاف ، فلما رأته يرحب به فرحت وكانت بجانب الصنم فأسندت ظهرها الى العضادة ، وتشاغلت بمسح ما على الصنم من الغبار مخافة أن يبدو ارتعاشها »•

ــ ص ٣٤ : « أما جهان فأصبحت متشوقة لتحادث ضرغاماً وتشاكيه الغرام ، وكانت تشعر بأن رأسها مملوء بالاخبار التي يلذ لها كشفها له ، على عادة المحب اذا فارق حبيبه ، فانه لايمل الكلام مهما يكن موضوعه أو مرماه ، فلا عجب اذا اشتاقت جهان لمجالسة ضرغام بعد ذلك الفراق الطويل » •

ــ ص ٣٨ : عنوان الفصل « اجتماع الحبيبين » ، قال فيه جرجي : « واذا أعجز الفلاسفة تمثيل الفردوس ، فإن أقرب مثل لحال المقيمين به ، حال حبيبين تصافيا وصفا لهما الزمان وخلا الجو ، فاجتمعا وطفقا يتشاكيان لا يزعجهما رقيب،

ولا يخامر قلبيهما شك أو غيرة ، تلك هي الجنة لولا ماينتابها من القصر ، أو يعرض لأصحابها من طوارق الحدثان » .

« فلما رأت جهان حبيبها واقفاً لاستقبالها هشّت له ومدت يدها لمصافحته، فمد يده وقبض على كفها وقلبه يضحك وعيناه تبرقان ، واذا كان ، وهو الشجاع الباسل الذي لا يهاب مواقف القتال ، قد ارتعد واضطرب ، فكيف يكون شأنها، وهي مهما تبلغ من رباطة الجأش والتعقل لاتخرج عن طبيعة المرأة الحساسة ؟» .

ـ ص ٣٩ : « ان وقتنا ثمين ياحبيبي ، نعم ياحبيبي ، سامحني اذا دعوتك بهذا اللقب قبل أن تدعوني أنت به ، آه من سلطان الحب !

حق لي الآن أن أسميك حبيبتي .. آه ما أشهى هذا اللفظ في فمي ، وما أخفه على قلبي !. لطالما كررته في خلواتي ، وكم تمنيت أن أسمعه من فيك ، وقد سمعته ، فهل في العالم رجل أسعد مني ؟ » .

ـ ص ٤٧ : « ذلك هو سلطان الحب ، يعمي ويصم ، فمهما أوتي صاحبه من الحكمة والتعقل فانه يفقدهما اذا وقع في شراكه ، وقد يبقي حكيماً في كل شيء ، وقد يُعَد من كبار أهل الدهاء والسياسة ، أو من كبار العلماء أو الشعراء أو الفلاسفة ، ولكنه إزاء الحب يكون كالطفل يقاد بخيط ، وقد يغلب عليه الوهم في بعض الاحوال حتى يصدق المستحيل ويعتقد الخرافات اذا كان في ذلك ما يسهل عليه أمنية أو يطمئن له قلباً » .

ـ ومن الحكم في ص ٥٢ : « أما ضرغام فلما رأى نفسه فيخلوة مع جهان شعر كأنه في عالم غير هذا العالم ، ونسي السفر والحرب والرتب والالقاب ، وتمنى لو تتحول تلك الساعة الى دهر أو تمتد الى الابد ، لا يلتمس معها طعاماً ولا شراباً ولا ثراء ، كأنه تجرد عن المادة ورأى في تقارب روحيهما معنى لايشوبه شيء مما يفتقر اليه البدن أو تجر اليه الشهوات . والحب تجاذب بين الارواح

لايفسده أو يضعفه غير الجسد بشهواته وميوله ، ولذلك لايبرح قوياً ما دام عذرياً ، فمن رغب في بقاء الحب فلينزهه عن شهوة الجســد ، فاذا بادل المحب حبيبته حباً بحب أتته السعادة صاغرة ، وأنبأ الملأ الذين عجزوا عن تمثيل النعيم أنه استمتاع الارواح بالحب الطاهر المنزه عن أغراض الجسد ، وقد يعد الناس هذا الحب خيالاً شعرياً ، ولكن ما أدرانا أن هذا الخيال لا يكون حقيقــة في وقت من الاوقات » .

ـ ص ٥٦ : « آه يا جهان أتحسبين الحب محرّماً على غير الشبان ؟. إني أرى الكهولة أولى به وأقدر عليه . ان الناس مخطئون بما يتوهمون فلا شأن للسن بالحب .

ثم اعتدل في مجلسه وأشار الى صدره ، وقال : ان في هذا القلب من لواعج الغرام ما لايتسع له صدر الشبان ..» .

هذا وأمثاله كثير في الصفحات : ٥٧ ، ٥٨ ، ١٠١ ، ١٢٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٧٠ .. وكله في صفحات تحمل اسم : «روايات تاريخ الاسلام » .

١٠ً ـ القصة خيالية ، والابطال وهميون ، وكل مايذكره جرجي على لسان أبطاله يحسب عليه ، فيشفي جرجي ـ رجل المخابرات البريطانية ـ غليله وحقده على أمتنا العربية . فاسمعوها أيها الغيورون على ذاتكم وأمتكم وعروبتكم :

في الصفحة ١٦٨ يقول جرجي : « لم يبق أحد يحاربنا إلا ثلاثة : العــرب والمغاربة والاتراك ، والعربي بمنزلة الكلب اطرح له كسرة واضـرب رأسه ، والمغاربة أكلة رأس ، والاتراك ماهي إلا ساعة حتى تنفد سهامهم ثم تجول الخيول عليهم فتأتي على آخرهم ويعود الدين الى مالم يزل عليه أيام العجم » .

ـ « والعربي بمنزلة الكلب اطرح له كسرة واضرب رأسه » .

هذا رأي جرجي فيكم ياعرب ، فانشروا رواياته ، وبيعوها بأسعار رمزية، فجيلنا في معركة مع أعدائه بحاجة الى كتب تنمي فيه شعوره القومي ، وارتباطه بهذا الوطن ، والتزامه بقضايا أمته ، واعتزازه بماضيه العريق •• ان كتب جرجي تحقق ذلك ؟!! مادامت كلها خيال ، وغرام وانتقام ، وفاتنات ملكات جمال •• وخاتمتهـــا :

« والعربي بمنزلة الكلب اطرح له كسرة واضرب رأسه » •

فأين النخوة والغيرة والحمية ؟!!

أحمد بن طولون

منفى

★ « لو جسست يديها ، أو سمعت حركة قلبها لظننتها بطارية كهربائية عليها مرجل يغلي ماؤه ويتدفق بخاره لما يبدو لك من ارتعاش أناملها وخفوق قلبها ، واصطكاك ركبتيها » .

جرجي .

قال جرجي في الصفحة الاولى عن هذه الرواية بأنها : « تتضمَّن وصف مصر وبلاد النوبة في أواسط القرن الثالث للهجرة ، على عهد أحمد بن طولون، ويتخلل ذلك وصف أحوالهما السياسية والاجتماعية والادبية » .

وأبطال الرواية كما رتَّبهم جرجي في الصفحة الثانية :

* أحمد بن طولون	: أمير مصر
* أبو الحسن البغدادي	: من الشيعة العلوية
* دميانة بنت مرقص	: من سراة الاقباط
* سعيد الفرغاني	: مهندس مسيحي
* أحمد المارداني	: متولي الخراج
* أسطفانوس بن يوحنا	: كاتب الخراج
* زكــريا	: خادم دميانة
* البطريرك ميخائيل	: بطريرك الاقباط
* أبو حرملة	: أمير قبيلة البجة

وهذه الرواية أغرب رواية مرَّت معنا حتى الآن ، انها رواية دميانة المسيحية

و« الخيالية » ، مع حبيبها الخيالي أيضا سعيد الفرغاني « المهندس المسيحي »، وينافسه في حبه اسطفانوس « الخيالي أيضاً » ابن المعلم يوحنـا كاتب المارداني صاحب الخراج •

ومسرح الاحداث بشكل كامل منـذ بدايتها وحتـى نهايتها في الاديرة والكنائس ، ومع الرهبـان والبطارقة •• خيال بخيال ، فما دور أحمـد بن طولون بهـا ؟•

يقول جرجي ان الرواية وقعت في عهده ، وابن طولون أمير ضعيف جبان •• غشوم ظالم !•

ورد في الصفحتين ٦٣/٦٤ : « وفيما هي ــ دميانة ــ في ذلك رأت ابن طولون هوى بجواده وسقط الى الارض • فسقط قلبها معـه وصاحت بأعلى صوتها : باسم المسيح ، باسم العذراء • وخافت أن يقع الجواد على سعيد فيؤذيه، على أنها مالبثت أن رأت ابن طولون نهض وقـد وقعت قلنسوته ، ثم أومأ الى الجند فتسارعوا الى سعيد وقبضوا عليه وشقّوا ثيابه ، وتناول أحدهم سوطاً وأخذ يضربه ضرباً متوالياً • فأحست دميانة كأن الضرب واقع على رأسها فلم تتمالك أن وقفت فجأة ولطمت وجهها بكفيها وهي تقول : ويلاه ماذا يفعلون ؟ أيضربون سعيداً ؟ آه ويلاه • وأخذت فرائصها ترتعد ونسيت موقفها •

وتحقق زكريا أنهم يضربون سعيداً ولافائدة من التكذيب ، فأخذ يخفف عنها ويغالطها وهي تقول : إني أراهم يضربونه وأشعر كأن ذلك الضرب واقع على قلبي ، ويل لهم لماذا يضربونه ؟ أهذا جزاء من أحسن عملا ؟ » •

يضاف الى صورة ابن طولون هذه نقطتان :

١ ــ إرهاق شعب مصر بالضرائب وبخاصة الخراج « فيخـدم أباك في تخفيف وطأة الخراج » [ص ١٨٠] •

٢ ـ جبن ابن طولون في إنجاد منطقة النوبة « ثم انك اذا طلبت من ابن طولون أن ينجدك بالرجال ، لم يجب طلبك ، خشية على رجاله »،[ص ٩٠/٩١]٠

هذه اللمحات السريعة التي أوردها جرجي عن ابن طولون،هل هي صحيحة؟ طبعاً ، لا !!٠

[كان ابن طولون بعيد النظر ، عالي الهمة ، قوي البأس ، شديد المراس، اتسع ملكه حتى امتد من العراق الى برقة ومن النوبة الى آسية الصغرى ، وخشي بأسه امبراطور الروم ، على ما بين بلاديهما من بعد الشقة ، ووعورة الطريق ، فأهدى اليه عــدة مصاحف للقرآن الكريم ، وأرسل اليه مــن تحت يده من المسلمين[١]] ٠

« وكان ابن طولون سياسيا محنكا ، وقائدا ماهرا ، خبيرا بأساليب الحروب وتعبئة الجيوش كما كان ادارياً حازماً[٢] »،وقف على موارد الثروة على اختلافها، وعرف كيف يستغلها لمصلحة دولته من غير أن يرهق الاهلين بالمكوس والضرائب، وعمل على ترفيههم ونشر العدل بينهم ، فاستتب الامن ، واستقرت الامور ، وسادت الطمأنينة بين الناس ، وشمل الرخاء البلاد في عهده ، حتى بيع عشرة الارادب من القمح بدينار واحد ٠ هذا الى تحصينه الثغور ، والاحتفاظ بجيش كامل العدد والعدة ، كما ضرب بسهم وافر في سبيل الاصلاح ، فاهتم بالزراعة وعني باقامة الجسور وحفر الترع ٠

أما أخلاقه وصفاته ، فقد كان مضرب الامثال في الكرم والجود ، وفي الشجاعة والبسالة ، وفي صدق الفراسة ، وفي العدل والتواضع ، وكان يقرب اليه العلماء ، ويجزل لهم العطاء[٣] » ٠

---

(١) تاريخ الإسلام ، جـ : ٣ ، ص : ١٢٩ ٠
(٢) ابن خلكان ، جـ : ١ ، ص : ٦٨/٦٩ ٠
(٣) تاريخ الإسلام ، جـ : ٣ ، ص : ١٣٠ ٠

قال المقريزي (خطط جـ ١ ، ص ٣١٦) : « كانت صدقاته على أهل المسكنة والستر من الضعفاء والفقراء وأهل التجمل متواترة •• سوى مطابخه التي أقيمت في كل يوم للصدقات في داره وغيرها • ويذبح فيها البقـر والكباش ، ويغرف للناس في القدور والفخار والقصاع على كل قدر أو قصعة أربعة أرغفة ، في اثنين منها فالوذج والاثنان الآخران على القدر ، وكانت تعمل في داره وينادي : من أحب أن يحضر دار الامير فليحضر•وتفتح الابواب ويدخل الناس ، وابن طولون ينظر ويتأمل فرحهم بما يأكلونه ويحملون فيسره ذلك ويحمد الله على نعمته »•

ويعد ابن طولون مـن حفظة القرآن المعدودين ، ولذلك كان من أكثـر الولاة احتراماً لحفـّاظه(١) •

هذه هي شخصية أحمد بن طولون الحقيقية ، كما أوردتها مراجعنا العربية الاسلامية ، فلماذا هذا التشويه والدس والتحريف ؟!!

ان هدف هذا الكذب والدجل •• أن لاتبقى لأمتنـا منارات تقتدي بها الاجيال ، منارات مـن رجالاتهم وتاريخهم ، فيفتشون عن رجالات في الامم الاخرى فيجدون : نابليون ، وبسمارك ، وكافور ، وغاريبالدي !!

* * *

هذه الرواية الغريبة ، والتي لاتمت الى الواقع بصلة ، مسرح أحداثها بلا استثناء في الكنس والاديرة ، ولنسجل أمثلة بأرقامها :

ـ ص ٣ : [ومشت تسترق الخطى في البساتين تلتمس كنيسة هناك بنيت لصلاة أهل تلك الناحية والقرى المجاورة ، وكانت دميانة تذهب للصلاة فيها كل صباح ، وخاصة في أيام الآحاد والاعياد ، لكنها أرادت الذهاب في ذلك الاصيل لتخلو بقسيسها وتسر اليه أمراً خالج ضميرها وأقلق راحتها]•

(١) ابن خلكان ، جـ : ١ ، ص : ٦٩ •

ـ ص ٥ : [وفي عنقها ـ عنق دميانة ـ قلادة من الذهب في وسـطها صـليب] •

ـ ص ٦ : [واتتبهت لما جاءت من أجله فتوجهت نحو الكنيسة ودخلت بابها الغربي] •

ـ ص ٧ : [فلما فرغ القسيس من الصلاة مد يده اليها فقبلتها ، وأحس القسيس ارتعاش أناملها] •

ـ ص ١٠ : [قالت والدهشة بادية في محياها : أليس سعيد مسلماً ؟] •

قال : « كلا يا ابنتي انه مسيحي مثلك » •

فلما سمعت قوله وثبت من مجلسها وحملقت في القسيس وقالت:«مسيحي؟ نصراني مثلنا ؟! » •

قال : « نعم مسيحي يا ابنتي » •

قالت : « هل أنت على يقين من ذلك ؟ » •

قال : « لا ريب عندي في ذلك ، وقـد جلس على هذا الكرسي واعترف لي مراراً » •

قالت : « جلس على كرسي الاعتراف ؟ واعترف لك ؟ أطلعك على مكنونات قلبه ؟ آه ، هل اعترف لك بأنه ؟•• »

وهمَّت بأن تسأله اذا كان قد اعترف بحبه لها ثم أمسكت خجلا ، وعلمت أن سؤالها يخالف أصول الاعتراف فأطرقت وسكتت •

فقال : « يكفي أنك عرفت أنه مسيحي » •

فتنهدت وقالت : « نعم كفى » • ثم رفعت رأسها نحو السماء وقالت :

« أشكر الله على ذلك » . وغلب عليها الفرح حتى ضحكت والدمع يقطر من عينيها وهي تردد قولها : « مسيحي ؟. سعيد مسيحي ؟ ».

ــ ص ١٢ : [وانتهت من الاعتراف ، فوقف القسيس ورفع يده على رأسها وباركها وصلى ودعا لها ، فقبلت يده والصليب الذي يحمله وخرجت ، وانصرف هو الى غرفة يقطنها ملاصقة للكنيسة].

ــ ص ١٣ : [خرجت دميانة من الكنيسة وقد غربت الشمس ..] .

ــ ص ٢٠ : « فصل كامل تحت عنوان مرقس واسطفانوس » !!!

ــ ص ٣٤ : [لا أدري أأُهنئك بهذا الصليب يادميانة أو أهنئه بك].

ــ ص ٣٥ :[« ألا تزالين عازمة على زيارة هذه الكنيسة يا مولاتي ؟ » . وأشار الى كنيسة شبرا ..] .

ــ ص ٣٧ : [فدخلت الكنيسة وما تنسَّمت رائحة البخور الممزوج بدخان الشموع حتى انتعشت وخشعت] .

ــ ص ٤٥ : [أين نحن من دير المعلقة الآن ؟. فسر مرقس لرغبتها في تلك الزيارة ، فقال: « ننزل في الدير اذا شئت »].

ــ الاحداث من ص ٤٥ وحتى ٧٠ كلها في الدير !!

ــ وفي ص ٦٩ : [تقدمت تواً الى يد الأسقف فقبلتها].

ــ ص ٧٢ : [الاحداث في كنيسة أبي سرحة] !!

ــ ص ٨٩ : [الأحداث في دير أبي مقار] !!

ــ ص ٩٢ : فصل جديد يحمل عنوان : « في دير أبي مقار » ، ممَّا في هذا الفصل :

* في وادي النطرون نحو خمسين ديراً •• أهمها : دير أبي مقار ، ودير الأمبا بشاي ، ودير البراموس ••

فقال الراهب : « أظنك قادماً في مهمة الى البطريرك ميخائيل ؟ وتنحنح ، فقال : « أطلب تقبيل يديه » ، [ص ٩٣] •

* « وكان الغلام قد حال بينه وبين ماحوله فلم يعرف كيف يتقي الأذى ، فأخذ يرسم علامة الصليب على وجهه ويستغيث بمريم العذراء ومار مقاريوس صاحب الدير وبسائر القديسين متمتماً » [ص ٩٧] •

* « غريب قاصد زيارتكم لتقبيل أنامل البطريرك والتبرك بصاحب هذا الدير » ، [ص ٩٨] •

* وفي الصفحة ٩٩ وصف لدير أبي مقــار ، و : « الكنائس المشــار إليها هي : كنيسة أبي مقار على اسم صاحب الدير ، وكنيسة الشيوخ ، وكنيســة أبسخرون » • ثم وصف لمساكن الرهبان •

* ص ١٠٠ : « فأسرع زكريا الى تقبيل يده ــ يد الراهب ــ » •

* ص ١٠١ : « جئت لألثم أنامل البطريرك » •

* ص ١٠٢ : « قل له ــ للبطريرك ــ ولدك زكريا خادم دميانة يطلب لثم يديك » • « وأكبّ على يده ليقبلها » •

* ص ١٠٨ : « أكبّ زكريا على يد البطريرك فقبلها ثانية وودّعه وخرج » •

* ص ١٣٤ : في النوبة دير ذو كرامة أحب أن أزوره •

* ص ١٤٧ : الاحداث في كنيسة بابلون !!

* ص ١٥٠ : « تواطأ مع البطريرك ميخائيل على مساعدة ملك النوبة في اخراج مصر من أيدي المسلمين وإرجاعها الى ملك الروم » •

* ص ١٦٢ : الاحداث في دير المعلقة « لأن سيدتي تحب الاديار ، وأظن أبانا البطريرك نازلاً هناك •• فنذهب اذن للتبرك •• »•

فأين سيرة ابن طولون ؟!

هذه الرواية سيرة حب خيالية لمسيحيين : دميانة وسعيد المهندس المسيحي، فيها دس على سيرة بطل مسلم هو أحمد بن طولون ، وكل هــذا تم في الاديرة وحمل عنوان « روايات تاريخ الاسلام » !! فماذا نسجل من ملاحظات حول هذه الرواية بعد كل هذا ؟!

ماذا نقدم بعد أن لمسنا بطلان الرواية من أرومتها وبكليتها ؟!!

مع كل هذا •• هذه الملاحظات الثماني السريعة :

١ً ــ البطلة ملكة جمال كالعادة : « وكانت دميانة في نحو العشرين مــن عمرها ، ربعة القامة ، سمراء اللون مع صفاء ونضارة ، كبيرة العينين ، سوداء الحدقتين مع ذكاء ووداعة ، صغيرة الانف والفم ، ممتلئة الشفتين لها ميســم ينم عن صدق طويتها ورقة احساسها » • [ص ٥]•

وكان أسطفانوس من هؤلاء وقد طمع في دميانة لجمالها ومالها [ص٢٢] •

وسيكون لك مقام رفيع عنده ، ليس في نسائه واحدة على مثل ما أنت فيه من الجمال والكياسة •• [ص ١٢٠] •

إن مولانا الامير أعجب بما شاهده فيك من الجمال والهيبة •• [ص١٢١]•

٢ً ــ ركز جرجي على أن المسلمين أخذوا بتحويل الكنائس الى مساجد في مصر :

ــ وحوّلوا بعض الكنائس الى مساجد •• [ص ٥]•

ـ ابتنى بعضهم المساجد واغتصب آخرون بعض الكنائس وجعلها مساجد •• [ص ٦] •

ـ وقد رأينا غيره يحولون الكنائس الى جوامع •• [ص ٨١]•

وهذا حقد صليبي •• وافتراء تاريخي •• فما عُرف عن المسلمين الفاتحين مثل هذا •• علماً أن الشرع الاسلامي يرفضه ويأباه ، فمن يبني مسجداً هذا ملتزم بالشرع فهو أولى الناس في حماية الكنائس الموجودة عند الفتح ، وعدم هدمها أو أخذ أعمدتها أو تحفها !!

٣ً ـ كرر جرجي عبارات تثير حقد النصارى ، عندما ركز كذباً وبهتاناً على إرهاق الناس بالجزية والخراج :

ـ ص ١٨ : « تخفيف وطأة الخراج »•

ـ ص ١٠٤ : « إنك تعلم أن علينا تأدية أموال الجزيةالىخزانةالخليفةببغداد صاحب هذه الديار •• وكنا أوضحنا أن أموال الخراج والجزية لا ترسل الى بغداد إلا بعد سداد كفاية كل مصر من الامصار ، كما أوضحنا أن الرخاء شمل البلاد في عهد ابن طولون ، ولم يرهق ذمي أو « مواطن » بضريبة مطلقاً ••• فلماذا هذا الدس والافتراء واثارة الاحقاد ؟!!

٤ً ـ قال جرجي إن أهل بلاد البجة ـ في جنـوب مصر ـ غزت الديار المصرية أيام ابن طولون ،قال ذلك في الصفحات ٨٦/٨٩/٩١ •• وهذا دجل • ليقول جرجي في ص ٨٩ : إن ابن طولون ، لا يقدر على البجة ، ولكـن ملك النوبة النصراني ولتمسكه بالنصرانية تمكن مـن ردهم وانقاذ الاسرى من بين أيديهم ••

ابن طولون الذي خشيه امبراطور الروم على ما بين بلاديهما من بعد الشقة

يخاف البجة ، ويدعها لملك النوبة النصراني ؟!! فيا سبحان الله العظيم •• أُوكل الامر الى غير أهله !!

٥ً ــ ومن شعوبيته في هذه الرواية :

ــ في الصفحة ١١٨ ، قال عن امرأة عربية مسلمة اسمها عُلَيَّة أنها أكلت وشربت وشبعت ولايهمها عِرضها وشرفها ، أما دميانة المسيحية ، فلم تأكل ولم تشرب حزناً على مصيرها وشرفها وعرضها !!!

ــ وقال عن جند العرب المسلمين : قبَّحهم الله سطوا عليها وسلبوها ، وهل جعل الجند لحماية الناس أو لسلبهم ؟•

قبحهم الله لو سطوا وسلبوا •• ولكنهم لم يسطوا ولم يسلبوا •• فالسطو أو السلب من خيال جرجي ليظهر مافي مكنونات نفسيته الحاقدة !!

٦ً ــ لقطة رائعة من جرجي ننقلها حرفيـاً كعادتنا عند ذكرنا لكلامه ، قال جرجي :

قال عن دميـانة : « فاتفق أن وجد رجاله في بعـض الاديرة فتاة جميلة الصورة فأحضروها إليه فأعجبه جمالها ، فأرادها لنفسه وهي تأبى ، لان بنات النصارى يحرصن كل الحرص على صيانة عرضهن ، ولاسيمـا الراهبات فإن الواحدة تفتدي عفتها بنفسها » • [ص ١٣٠]•

لماذا خصَّص جرجي بنات النصارى في حرصهن على صيانة عرضهن ؟! وبنات المسلمين ؟! •

٧ً ــ ومن عبارات الغرام في هذه الرواية :

ــ ص ١٤ : [ولكنك لو جسست يديها أو سمعت حركة قلبها لظننتها

بطارية كهربائية عليها مرجل يغلي ماؤه ويتدفق بخاره لما يبدو لك من ارتعاش أناملها وخفوق قلبها واصطكاك ركبتيها]٠

ـ ص ١٥ : [إني أحبك حباً يكفي للتوفيق بين الملكية واليعاقبة ونزع مابينهما من الضغائن،أو التأليف بين الاقباط والمسلمين حتى يصيروا أمة واحدة]!

٨ً ـ وكما هي العادة في كل رواية ، الفصل الاخير عنـوانه : « زواج الحبيبين » في دير المعلقة ٠٠ « وبعثت دميانة الى الاب منقريوس قسيس قريتها ليفرح معها فأتى ، فزينوا القطائع كلها بالانوار والرياحين ، وكان احتفالا مثل احتفالات الملوك ، وظل أهل الفسطاط يتحدثون به أعواماً ٠ وسكنت دميانة مع سعيد في قصره أياماً ، ثم انتقلا الى طاء النمل وسكنا في قصـر أبيها أو قصر مارية القبطية ٠ وكان أبوها قد أخلاه من السراري والجواري وجعله لائقاً بذينك العروسين الطاهرين » ، [ص ١٦٢] ٠

فهذه الرواية التي صفحاتها ١٦٢ صفحة ، ماعلاقة أحمد بن طولون بها ، إلا بعض نقاط الدس والتشويه وقلب الحقائق ؟!!

إن هذه الروايات « الجرجية » بحاجة الى يد غيورة أمينة ، إما أن تنهيها من الاسواق كلياً ، أو تمهرها بخاتم يقول في صفحتها الاولى : [هذه الروايات لا تمت الى الحقيقة التاريخية بصلة] ٠

فأين هذه اليد الامينة الغيورة ؟!!

عبد الرّحمن النّاصر

★ عبد الرحمن الناصر ، خليفة المسلمين ، رافع لواء الاسلام والمسلمين ، يعفي ضيوفه من الشراب ، أما هو فسكير مدمن.. ذاب في جاريته الزهراء ... إنه أمير المؤمنين.

جرجي .

يقول جرجي عن هذه الرواية أنها « تشتمل على وصف بلاد الاندلس وحضارتها وعادات أهلها في زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر الاموي ، مع وصف مابناه من القصور الفخمة ، واستقباله وفود ملوك أوربة ، وغير ذلك ».[ص١].

وأبطال الرواية كما هم على الصفحة الثانية :

* عبد الرحمن الناصر	: الخليفة الاموي بالاندلس
* الزهــــراء	: محظية الخليفة
* الحكم	: ولي العهد
* عبد الله	: الابن الثاني للخليفة
* ابن عبد البر الكسيباني	: من كبار فقهاء قرطبة
* سـعيد	: جاسوس للخليفة الفاطمي في القيروان
* ياسـر	: خادم أمير المؤمنين
* سـاهر	: خادم للامير عبد الله
* عابـدة	: جارية من مولدات بغداد
* سـالم	: شقيق الزهراء

وملخص الرواية : سعيد جاسوس فاطمي قدم من شمال افريقية ـ وهو

خيالي طبعاً ـ نفذ الى ابني عبد الرحمن الناصر « الحكم وعبد الله » بجارية حسناء اسمها « عابدة » ليوقع بينهما • كما وصل سعيد هذا الى عبد الرحمن الناصر كمنجِّم ، فنافس عبد الرحمن على « الزهراء » زوجته المفضَّلة ، فشغلته الزهراء عن مهمته التي جاء من أجلها ، وهي الوقيعة بـين الأخوين « الحكم وعبد الله » •

وفي الرواية شخصية أخرى خيالية اسمها « سالم » ، يعمل سراً لتقويض الحكم الاموي في الاندلس أيضا ، وتنتهي القصة بزواجه مـن عابدة فتنتهي نقمته ، فهو خلال القصة كلها كان جرجي يطلق عليه اسم « صاحب النقمة » ، فانتهت نقمته بفتاة حسناء !!

ومن خلال هذا الخيال دسَّ جرجي أخباراً كاذبة عن الخليفة عبد الرحمن الناصر مشـوِّهاً قمة الحضارة العربيـة الاسلامية في الاندلـس ، منتقمـاً للصليبية الاوروبية التي حطمها الناصر خلال حكمه ، وجاءته خاضعة مستسلمة معترفة بالتفوق العسكري والحضاري بين يديه ، فجاء جرجي ليشوه سيرة الناصر هنا منتقماً لأولي نعمته ، وأجداد صليبيته !!

* * *

وقبل أن نذكر أهم الملاحظات حول هذه الرواية التي شوَّه فيها جرجي سيرة عبد الرحمن الناصر ، يجب أن نعرف أولا من هو عبد الرحمن الناصر ؟!

اعتلى عرش الاندلس ولم يتجاوز الثانية والعشرين سنة ٣٠٠ هـ وبقي حاكماً حتى عام ٣٥٠ هـ • واستبشر بإمارته رجال القصر وأهالي قرطبة لما اتصف به من سمو الاخلاق ، وقوة الادراك • كانت بلاد الاندلس عند اعتلاء عبـد الرحمـن العرش مضطربة بالمخالفين ، مضطرمة بنـيران المتغلبين ، فأطفأ تلك النيران •• وأخضع الولايات ، وسلموا اليه لما رأوه شاباً يتقدم جيوشه في شجاعة

وثقة واعتزاز بالنفس•• وكان يخلع على كل من ينزل من الثوار عن حصنه ويقربه ويدر عليه الارزاق والهبات ، وبذلك خضع له كثير من هؤلاء الثوار طائعين ، ثم تفرغ لقتال من بقي من الثائرين •• وغدا نفوذه قوياً بين العرب والبربر والاسبان والمولدين •

وقد أطنب مؤرخو العرب والفرنجة في مدح عبد الرحمن الناصر ، فقال المقري في نفح الطيب : « كان سلطانه أعظم ما كان ، وأعز ما كان الإسلام بسلكه •• وحكي أنه وجد بخط الناصر رحمه الله أيام السرور التي صفت له دون تكدير ، يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا ، ويوم كذا من شهر كذا ، وعدت تلك الأيام فكانت أربعة عشر يوماً ، فاعجبْ أيها العاقل لهذه الدنيا وعدم صفائها وبخلها بكمال الأحوال لأوليائها • هذا الخليفة الناصر ، المضروب به المثل في الارتقاء في الدنيا والصعود ، ملكها خمسين سنة ، وستة أو سبعة أشهر وثلاثة أيام ، ولم تصف له إلا أربعة عشر يوماً • فسبحان ذي العزة القائمة والمملكة الدائمة ، لا إله إلا هو »[1] •

وقد وصف لينبول عبد الرحمن فقال : « نعم إن عبد الرحمن أنقذ الاندلس من نفسها ومن أعدائها ، ولم يكتفِ بإنقاذها من الدمار ، بل خلق منها دولة عزيزة الجانب ، ولم تكن قرطبة في عهد من عهودها أغنى ولا أكثر ازدهاراً مما كانت عليه في عهد الناصر ، ولم تكن الأندلس قبل أيامه في تلك الحال من الخصب والإمراع[2] والانتاج وتوالي الخيرات التي نماها، ووصل بها الى الكمال كد أهلها ومهارتهم في الصناعة • ولم يكن الحكم الأندلسي في يوم من أيامه أبهر انتصاراً على الفوضى ، كما لم تكن قوة القانون أكثر نفوذاً إلى القلوب وأعظم هيبة مثلما كانت في أيام عبد الرحمن ، فقد تسابق إلى أبوابه الرسل من فرنسة وألمانية

(١) نفح الطيب ، ج : ١ ، ص : ١٧٩ •

(٢) م ر ع ـ المريع : الخصيب ، وقد مَرُعَ الوادي من باب ظَرُفَ ، وأمْرَعَ أيضا أي أكْلأَ فهو مَريع ومُمْرع ، وفي المثل : أمْرعت فانْزِل • إمختار الصحاح : ص : ٦٢٢] •

وايطالية ليقدموا إليه تحية الإجلال والتمجيد ، وكانت قوتـه وحكمته وثروة مملكته مضرب المثل في أوربـة وإفريقية ، وبلغت شهرته أقصى حـدود المملكة الإسلامية بآسية ، وكان مصدر كل هذا الانقلاب العجيب رجلاً واحداً ، عانده كل شيء فقهره ، ووقف في طريقه كل شيء فحطمه • بعث الأندلس من حضيض البؤس إلى قمة القوة والازدهار ، ولم تصل البلاد إلى كل هذا إلا بذكاء الخليفة عبد الرحمن الناصر وصدق عزيمته(١) » •

هذه الشخصية شوهها جرجي •• ونقدم بعض نقاط التشويه فيما يلي :

١ً ــ ص : ١٢ : قال جرجي عن عبد الرحمن إن أعماله فيها إرهاب : « أظنه لا يكون قبل بضعة عشر يوماً على عادة أمير المؤمنين من تأجيل المقـابلة زيادة في الإرهاب » •

ــ ص : ٢٦ : « وقد بالغ عبد الرحمن في إظهار الأبهـة والعظمة إرهاباً للأعداء » •

ــ ص : ٢٧ : « انظر ما أراده أمير المؤمنين من الإرهاب بإيقاف أحسن رجاله في طريق الرسل » •

فإرهاب الأعداء نقبلها في الصفحتين ٢٦و٢٧ ، ولكن إرهابه لشعبه مرفوض كلياً من خلال سيرة عبد الرحمن ، الخليفة العادل •

٢ً ــ في الصفحـة ١٦ قال جرجي عن عبـد الرحمن النـاصر : « استبد بالأحكام ، واغتصب المناصب من أهلها فسلمها إلى جماعة من الخصيان والعبيد حملوا إليه حمل الاغنام من أقصى الشمال •• » •

لم يستبد عبد الرحمن بالأحكام ، ولم يغتصب المناصب من أهلها •• ورد في تاريخ الإسلام جـ : ٣ ، ص : ٢٦٤ : « وكان عبد الرحمن النـاصر (٣٠٠ ــ

(١) The Moors in Spain, pp. 126 - 127 ترجمة علي الجارم ص : ١١٧/١١٨ •

٣٥٠ هـ) أول من لقب وزيره بذي الوزارتين ، مقتدياً في ذلك بالعباسيين ، لجمعه بين خطتي السيف والقلم ، ففي سنة ٣٢٧ هـ (٩٣٨ م) لقب أحمد بن عبد الملك بن شهيد ذا الوزارتين » .

وكان الوزير يقوم ببعض أعمال الحاجب إذا اشتد ضغط العمل عليه . وعمل الحاجب الإشراف على أعمال الدواوين الذين يطلق على كل منهم اسم الوزير ، فكان الحاجب يقوم بعمل رئيس الوزراء اليوم ، ويتولى رياسة مجلس الوزراء الذي يشرف على شؤون الدولة ..

وكلمة استبد بالأحكام ينقضها النظام القضائي الرائع في الأندلس وعلى رأسه قاضي القضاة أو « قاضي الجماعة » ، وحكمه نافذ في جميع أرجاء الأندلس، ويشترط في القـاضي أن يكون متعمّقـاً في الفقـه ، مشهوداً لـه بالنزاهـة والاستقامة .. ويختار قاضي القضاة من ينوب عنه في الأقاليم ، يسمي كل منهم « مسدد خاصة » .

وكان للمظالم ديوان خاص يعرف بديوان المظالم ، وهو هيئة قضائية عليا تشبه محكمة الاستئناف في الوقت الحاضر ، ويسمى رئيس هذا الديوان « صاحب المظالم » ، وسلطته أعلى بكثير من سلطة القاضي ، يقول ابن خلدون عن المظالم : « وهي وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضاء ، وتحتاج إلى علو يد وعظيم رهبة ، تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدي ، وكأنه يمضي ما عجـز القضاة أو غيرهم عن إمضائه ، ويكون نظره في البينات « الحجج » والتقرير[1] واعتماد الأمارات والقرائن[2] وتأخير الحكم إلى استجلاء الحق وحمل الخصمين على الصلح واستحلاف الشهود ، وذلك أوسع من نظر القاضي » .

(١) التقرير استقصاء البحث من الخصوم في المسائل حتى يقروا بما يوضح وجهة نظر القاضي.

(٢) يعني الأخذ بدلالة القرائن والعلامات التي يتبينها القاضي من حال الخصمين عند فقد الأدلة أو الشهود .

ويعين صاحب المظالم يوماً يقصده فيه المتظلمون إذا كان من الموظفين ليتفرّغ لأعماله الأخرى ، أما إذا انفرد بالمظالم ، نظر فيها طوال أيام الأسبوع ، وكانت محكمة المظالم تنعقد في المسجد .

والحديث عن نظام القضاء وديوان المظالم يطول .. وما سبق يكفي لدحض ما قاله جرجي بحق عبد الرحمن الناصر .

٣ً ـ وشوّه جرجي الهدف من بناء « الزهراء » وقال : « على اسم جاريته » ، وقال : « وملأه بالخصيان والجواري والعبيد ، إن في هذا القصر وحده /١٣٧٥٠/ فتى من الخصيان ، وفيه من الصبيان الصقالبة /٣٧٥٠/ ، وعدد النساء فيه ٦٣١٤ » . [ص : ١٧] .

هذه الإحصائيات الكاذبة .. أراد منها جرجي إظهار عبد الرحمن رجل المتع والملذات .. مع أنه أمضى أيامه في الجهاد .. وعدت أيام سروره فكانت أربعة عشر يوماً فقط .

أما عن « الزهراء » فنقول :

لما ولي عبد الرحمن الناصر حكم بلاد الأندلس ، كانت قرطبة حاضرة هذه البلاد ، وقد بلغ عدد سكانها خمسمائة ألف نسمة ، وعدد دورها ثلاثة عشر ألفاً ومائة غير قصورها الفخمة وضواحيها الثمانية والعشرين ، وحماماتها الثلثمائة ، ومساجدها التي بلغت ثلاثة آلاف تقريباً .. ولم يتفوّق عليها في الاتساع سوى مدينة بغداد ، وبلغت شهرة قرطبة أهالي أوربة الذين اطلقوا عليها في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) : « جوهرة العالم »[1] .

أما مدينة الزهراء فإنها لم تقل عن قرطبة روعة وبهاء ، لقد بناها الناصر بعد أن بقيت الأندلس فترة طويلة ينتابها الضعف ، فلما وطّد عبد الرحمن دعائم

(١) تاريخ الإسلام ، ج : ٣ ، ص : ٤١٦ .

ملكه ، ووحَّد الأندلس ، وأصبح خليفة للمسلمين ، فكر في بناء مدينة يتخذها حاضرة الخلافة مقتدياً في ذلك بأبي جعفر المنصور حين بنى بغداد ، وعبيد الله المهدي حين بنى مدينة المهدية ، والمعز لدين الله حين بنى مدينة القاهرة فيما بعد .

وضع الناصر أساس مدينة الزهراء في أول المحرم سنة ٣٢٥ هـ في الشمال الغربي من مدينة قرطبة ، وعلى بعد ثلاثة أميال منها على سفح جبل العروس ، وتأنَّق في بنائها ، واستمر العمل في بنائها حتى نهاية حكم عبد الرحمن النـاصر عام ٣٥٠ هـ ، وفي عهد ابنه الحاكم المستنصر إلى سنة ٣٦٥ هـ ، أي نحـواً من أربعين سـنة .

واستكمل النـاصر مدينته الجديدة ببناء مسجدها الجامع ، ولا غرو فإن المسجد لم يكن مكاناً للعبادة فحسب ، بل كان أيضـاً مركز الحركة السياسية والاجتماعية ، ومعهداً يجتمع فيه علماء التفسير والحديث وغيرها ...

هذه المدينة جعلها جرجي « للزهراء » ، بينما هي حاضرة الخلافة ، وقـد يكون أن الناصر أسماها باسم يتناسب مع ازدهارها وبهائهـا وروعتها ، فكان الاسم « الزهراء » .

٤ً ــ قال جرجي عن عبد الرحمن الناصر بعد أن بنى « الزهراء » :

ــ ص : ١٨ : « العيب في أميرها » ، ما هو هذا العيب ؟ لم يقله ..

ــ وفي ص : ١٩ وصفه بظالم من الظالمين .. ما هو ظلمه ؟ ماذا عمل كي يوصف بهذا ؟. لم يقل !!

ــ وفي ص : ٨٣ وصفه بأنه أحد « عصور الاستبداد » .. أي عصر أعجب به جرجي ؟!؟ أي عصر امتدحه وأنصفه جرجي من خلال عصورنا العربية الاسلامية كلهـا ؟!؟

ـ وفي ص : ٩٣/٩٤ جعـل قصر عبد الرحمن الناصر جواري وغلمـان ومجالس شراب •• ونستغرب نحن كيف يستطيع عبد الرحمن الناصر أن يحكم دولة مترامية الأطراف ما دامت قصوره مجالس شراب وجواري وغلمان ؟!؟

حتى أنه في ص ٩٦ : يعفي ضيوفه من الشراب ، أما هو فسكّير مدمن •• هذا الرجل هو كما في ص ١٥٩ : « أمير المؤمنين رافع لواء الاسلام والمسلمين » !! هذا الذي ذاب فيجاريته الزهراء ـ حسب ادعاء جرجي ـ وملك آلاف النساء والغلمان •• من هو ؟ انه أمير المؤمنين رافع لواء الاسلام والمسلمين!!

واذا أردنا آن نعرف كيف يقضي عبد الرحمن الناصر يوماً من أيامه ، يمكننا ذلك من خلال رواية جرجي ص ١٥٤ : [عابدة عند الناصر : تسقيه المرطبات وتغنيه وتنادمه ، وقد قضت النهار عنده وهو يتلهى بالحديث والشراب ، فلماه اقترب العشاء كان الشراب والغناء والخلوة قد هاجتعنده ذكرى ابنهعبد الله]!!

ـ وفي ص ١٧٢ ، قال جرجي عن عبد الرحمن الناصر : « طالب الملك متى ناله أحل لنفسه كل محرم » •• ماهي المحرمات التي ارتكبها عبد الرحمن ؟• إلا بناء مدينة الزهراء ، عاصمة الدولة الجديدة •

ـ ومن حكم جرجي في ص ١٢٧ : « ورغم ما رأيت من تعقله ـ الحديث عن عبد الرحمن طبعا ـ ودهائه فإن حبه الزهراء غلب على عقله وأخذ بمجامع قلبه،وليس للعقل سلطان على قلوب المحبين ، فقد تجد الرجل العاقل يقيس الامور ويبحث أسبابها ونتائجها ، وقد أوتي الحكمة وفصل الخطاب ، فاذا استولى الحب على قلبه ارتكب من الهفوات ما يتنزه عنه الجهلاء ، وهو يرى أنه عاجز عـن تجنبها • واذا تأمل مايأتيه من الخفة والطيش في سبيل الحب خجل من نفسـه ولايرى له مندوحة للخلاص مما وقع فيه » •

هذا الحديث ، وهذا الحكم بحق خليفة المسلمين « رافع لواء الاسـلام والمسلمين » !!

٥ً ـ ومن عبارات الغرام في هذه الرواية التي تحمل اسم « روايات تاريخ الاسـلام » :

ـ ص ١٨ : « ألم أقل لك اني أشعر كأني عضو من أعضائك ، انما أقول ماتوحيه إلي ، ويكفي أن تريد ذلك وإن لم تقله » •

ـ ١٣٠ : « دعني من ذلك ، ان السعادة ليست في السيادة ولا في الثروة، ان السعادة في الحب ! قالت ذلك وصوتها يتلجلج خجلاً ، وبلعت ريقها ثم قالت: « لو كنت أعلم أنك تحبني مثل حبي لك لكنت أسعد امرأة على وجه الارض » •

فقطع كلامها وقال : « ألم أقل لك أني أحبك ؟ ستتحققين صـدق قولي عما قريب • فوقع كلامه على قلبها برداً وسلاماً،وأحسَّت بمجرى كهربي انتفضت له أعصابها وغلبت على أمرها وقالت : نعم ، انك تحبني ، فأنا سعيدة •

قال : بقي أن أسأل أنا هل تحبينني ؟

ولم يتم سؤاله حتى تناثر الدمع من عينيها ، وقالت والبكاء يخنقهـا : أتسألني عن حبي لك ؟ أمثلي يُسأل هذا السؤال ؟ لم يبق فيّ جارحة لم تفتتن بك،ألا يكفيك من الادلة ما أنا فيه؟ ما الذي حملني على ارتكاب هذه الاخطار؟ آه يا سعيد كل شيء سهل في سبيل حبك •• دعني اغتنم فرصة هذه الظلمة وأصرح لك بما يكنه فؤادي من الشغف بك ، لو كنا في النهار أو كانت هـذه الغرفة مضيئة لخجلت ، ولكن العتمة تستر • إني أحبك الى حد الجنون ، ولا أراك تحبني وتهتم بأمري ، مع أني أتفانى في سبيل مرضاتك ، أفعل ذلك من كل قلبي ، ويلذ لي العذاب اذا كان فيه سرورك ! فهل عندك مثل الذيعندي؟ أو مثل بعضه يا ترى ؟ » •

ويستمر جرجي على هذا المنوال صفحات وصفحات •••

ـ ص ١٣٢ : « إن حبي الزهراء سبب بلائي ، سيكون سبباً في ضياع أمة برمتها » !!

ـ ص ١٥٩ : « فتفرّست في وجهه وقالت : تقدر أن تقتلني ، وأن ترميني في هذا الماء كما رميت ذلك الخادم الامين ، ولكنك لا تقدر على أن تحول بغضي الى حب ، ورغم ما تقوله من أنك ارتكبت ما ارتكبته التماساً لحبي،فأنا لاأحبك، نعم لا أحبك ، فافعل ما تشاء ! » •

ـ ص ١٦٠ : « وكان سعيد يسمع توبيخها وتعنيفها وهو صابر يراعي حركاها وسكناتها ويتردد بين أن يبقى على المحاسنة وبين أن يأتيها بالعنف • فلما رآها استلقت منهوكة القوى وقد امتقع لونها وكاد يغمى عليها قعد أمامها ومد يده الى رأسها وأراد أن يمر على جبينها لعله يؤثر فيها بكهربيته أو مغناطيسيته ، فحالما لمست يده جبينها انتفضت مذعورة ونفرت منه ، فنهض وقد تملكه الغضب وجرى في إثرها وهو يحاول أن يطوّق خصرها بذراعيه ، وهي تتحاشى أن يمسّها ، فأفلتت منه وقد تدلى شعرها على كتفيها ، وهمت بأن تخرج من البيت الى البستان فسبقها وأقفل الباب ، فأصبحت سجينة ، ولكنها أحست بقوة لم تعهدها في نفسها من قبل والتفتت الى سعيد وقالت : أهذا ما تزعمه من حبك ؟ تثب علي كالوحش الكاسر • والله إنك لن تنالني إلا جثة هامدة » •

ـ ص ١٧٢ : «إن السبب الذي حملني على ماارتكبه هو أشرف الاسباب، بل هو الوسيلة الوحيدة لجمع شتات الناس وتأليف قلوبهم وحفظ أنواعهم ، وهو الذي أمر به الشرع وأوصى به الله ، وقد امتدحه الحكماء وتغزل به الشعراء ، بل هو أكبر الفضائل ، ذلك السبب ياسيدي هو الحب • هذا هو الذي حملني على ارتكاب ما ارتكبته ، فهل في الحب عار وقد جاء ذكره في القرآن والحديث ؟! أليس هو سبب نظام الكون ؟! » •

وأورد جرجي دليله من القرآن الكريم في الصفحة ١٧٣ : « وأما الحب فإنه شريعة طبيعية أمر الخالق بها وقال في كتابه : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) فلا عجب اذا توسل الى غرضه بفتك أو قتل أو غدر ، خصوصا اذا حال بين المحب ومحبوبه شخص آخر » .

هذا الدليل من كتاب الله الكريم ، أيرضى به طفل في معرض هذا الكلام الغرامي الماجن ؟!!

ـ وفي ص ١٧٤ : « فتنهد سعيد وقال : لي عقل يحل المشكلات ، ورأي يرد السيل الجارف،وعزم يهد الجبال ، وقد تغلبت على كل أنواع المشاق ، فلم تعرض لي مشكلة إلا حللتها ، ولا أردت أمراً إلا قدرت عليه ، إلا الحب فانه غلبني على أمري ، وذهب بعزيمتي ، وقضى على عقلي وحكمتي ! » .

ثم وجه كلامه الى الزهراء قائلا : « إني أموت فداء الحب » .

هذا بعض الغرام الذي أورده جرجي في رواية عبد الرحمن الناصر .

٦ ـ أما الانتقام والجاسوسية فكالتالي :

ـ ص ١٩ : « إذن هي احتقرتني فيجب أن أنتقم منها .. أنتقم منها . » .

ـ ص ٢٠ : « سأضحي بكل شيء في سبيل الوصول اليها فإما نلتها ، وإما انتقمت منها ومن .. » .

ـ ص ١٠٦ : « لم يشأ ياسر أن يضيع الفرصة للانتقام من الزهراء المتكبرة[1] .. » .

---

(١) ويكور فكرة الانتقام في الصفحات : ١٢٤/١٢٥/١٣٣/١٣٥/١٣٦/١٣٧/ ، وجعل فصلا كاملا في الصفحة : ١٦٩ ، جعل عنوانه : (صاحب النقمة) .

ـ وفي ص ٤٩ ، جاسوسية بكل بساطة ، فسعيد جاسوس للفاطميين يصل قصر الخلافة عن طريق عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ، لانه جمّل له أحقيته بولاية العهد من أخيه الحكم •• ووضع سعيد عند عبد الله جارية ذكية أديبة موسيقية جميلة •• لهذه المهمة ونفذت مهمتها بدقة ؟!

فتاريخنا العربي الاسلامي غرام وانتقام وجاسوسية كما ورد في روايات جرجي الصليبي ؟!

٧ً ـ لابد وأن تظهر صليبية جرجي في كل رواية له • ففي الصفحة ٣٢ ، ذكر كتاباً هذا نصه :

« من قسطنطين ورومانين المؤمنين بالمسيح ، الملكين العظيمـين ملكي الروم » في سطر ـ هكذا النص ـ ثم « الى العظيم الاستحقاق والفخر الشريف النسب عبد الرحمن الخليفة عبد الرحمن الحاكم على العرب بالاندلس أطال الله بقاءه » في سطر آخر •

ـ أولاً لا أصل لهذا الكتاب في مراجعنا •

ـ ثانياً لا يجرؤ ملك أوربي أن يقدّم اسمه على اسم عبد الرحمن الناصر•

ويستمر في صليبيته فيقول عن الفقيه محمد بن عبد البر الكسياني أنّه أغمي عليه ووقع أرضاً من هول موقف استقبال الرّسل الأوربيين ، بينما القسس والبطاركة : قوة ، ورباطة جأش ، وجرأة عند مقابلة الملوك !؟!

٨ً ـ وكعادة جرجي •• يجعل الخليفة ساذجاً بسيطاً بعيداً عن العقل والفكر والعلم ، يؤمن جملة بالتنجيم واستطلاع الغيب ••

ـ ص : ٨٢ : « بلغني أنك بارع في فن التنجيم » •

ـ ص : ١١٨ : « فلمـا سمع الناصر قوله تيقّن اقتداره على استطلاع الغيب » •

٩ً ـ قال جرجي في :

ـ ص : ٣٤ : « مهما عاشرته فإنك لا تعرف عنه ما أعرفه أنا ، فإنه يستحيي أن يعرف الناس ، خصوصاً الفقهاء ، أنه يطالع الفلسفة فتقل ثقته بدينه ! » •

« فبغت الفقيه فقال : « يطالع كتب الفلاسفة ؟ » نعـوذ بالله من خليفـة فيلسوف ، إن الخلفاء يقاومون الفلاسفة ويضطهدونهم خوفاً على عقائد الناس ، فكيف يكون الخليفة نفسه من أهلها ؟ » •

ـ ص : ٤٠ : « ألا تخاف على الإسلام إذا كان خليفته يقرأ كتب الفلسفة ؟»

فصاح عبد الله : « كتب الفلسفة ؟ تعني أن أخي يقرأ هذه الكتب ؟ معاذ الله ! وإذا فرض أنه يقرؤها فما علينا إلا أن ننصح له بأن يتركها »••

أولاً الإسلام لا يخاف من الفلسفة ، ولا ممن يطالع كتب الفلسفة ، وليس من يطالع كتب الفلسفة يقل دينه •

ثانياً « إن الفلسفة بحر على خلاف البحور ، يجد راكبه الخطر والزيغ في سواحله وشطآنه ، والأمان والإيمان في لججه وأعماقه »[1] •

القراءات الناقصة المشوّشة البتراء هي الخطرة على العقل والإيمان • وإن ما تأمر به الشريعة الإسلامية وما يدركه العقل السليم بنفســه من الحق والخير والجمال يلتقيان عند نقطة واحدة بلا خلاف •

فابن رشد أعظم فلاسفة الأندلس ، من أعظم المؤمنين بالله ، وفي ردّه على الإمام الغزالي لم يعمد إبطال الحقائق التي دافع عنها الإمام ، بل أراد إظهار خطئه

(١) راجع هذا القول وما يليه في « قصة الايمان » للشيخ نديم الجسر •

في طريقة الاستدلال ، وإظهار الفضل والسبق في مضمار الفلسفة ، فكأنما كان في هذا تاجراً يريد أن يُكسد بضاعة جاره لتروج بضاعته •

ابن الطفيل •• ألم يقدم رائعته الفلسفية « حي بن يقظان » من الأندلس؟!؟

أما أن يظهــر جرجي أن الإسلام يقف في وجــه الفلسفة •• فهــذا دس رخيص ، وصليبية حاقدة •

١٠ً ــ ولا يفوتنــا ونحن نطوي ملاحظاتنا على روايــة « عبد الرحمن الناصر » ، أن نذكر جمال البطلة النادر على عادة جرجي :

ــ ص : ١١ : « امرأة حاسرة الوجه جميلة الطلعة •• فرأى فتاة كالقمر طلعة ، والخيزران قواماً » •

ــ ص : ١٢ : « لا أدري داعياً إلى تغطية الوجه إلا ضعف النفس •• إن الله تبارك وتعالى وسمني بميسم جمال أحببت أن يراه النــاس ويعرفوا فضله عليهم ، فما كنت لأستره » •

هذا في «روايات تاريخ الاسلام» وفي رواية «عبد الرحمن الناصر» ، الذي أرجع جرجي أسباب انتصاراته على الأوربيين : « لأنه منذ عرفها والسعد خادمه في الحرب والادارة السياسية » ، [ص : ١١٢] • فأسباب انتصاراته ليســت عزيمته وإيمانه وشجاعته وفروسيته •• إنها جاريته « الزهراء » « فمنذ عرفها والسعد خادمه في الحرب والإدارة السياسية » •

فهل يقبل عربي مخلص لتراثه وعروبته وأمجاده بآراء جرجي ؟!!

فتاة القيروان

★ « وكانت لميـــاء مع بسالتها وقوة بدنها قوية العواطف ، فتمكن الحب من قلبها، حتى شغلها عن كل شاغل سواه ، ولا سيما أن سالما أول شاب عرفته وأحبته » .

جرجي .

هـــذه الرواية « تتضمّن ظهور دولة العبيديين أو الفاطميين في افريقيـــة ، ومناقب المعز لدين الله وقائـــده جوهر ، إلى اخراج مصر من الدولة الاخشيدية سنة ٣٥٨ هـ ، مع وصف الاخشيديين وجندهم » ، [ص : ١] .

أما أبطال الرواية فهم ، [ص : ٢] :

* المعز لدين الله : الخليفة الفاطمي .
* جوهر الصقلي : قائد المعز .
* الأمير حمدون : حاكم سجلماسة .
* لمياء (فتاة القيروان) : ابنة حمدون .
* أم الأمراء : زوجة المعز .
* الحسين : ابن القائد جوهر .
* ســـالم : خطيب لمياء .
* أبو حامد : داعية ضد المعز .
* كافور الاخشيدي : ملك مصر .
* زينب بنت الأخشيد : بنت ملك مصر السابق .
* جعفر بن الفرات : وزير كافور .

* مسلم بن عبيد الله : شريف شيعي بمصر •
* يعقوب بن كلس : يهودي من رجال الدولة •

والرواية تتلخَّص بما يلي : لمياء (فتاة القيروان) بنت حاكم سجلماسة البربري تحب سالماً (وهما خياليان) لا وجود لهما على مر الزمن ، ينافس سالماً في حب لمياء الحسين بن جوهر الصقلي ، الذي يريدها وهي لا تريده • وتنتهي الرواية بفصل معهود : [لقاء الحبيبين] ص : ١٧٤ •

وجرجي دقيق في دسه وتشويهه وخياله ، في العادة •• منافس المُحِبَّين الخليفة أو قائده أو ابنه ، وهنا تكريم ••• جعل المنافس في الحب ابن القائد جوهر •• لا الخليفة ، ولا قائده !؟!

* * *

ومن الملاحظات التي يمكننا ايرادها هنا[1] :

١ً ـ قال جرجي حرفياً : « ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى ، أخو محمد بن عبد الله الذي بايعه المنصور ثم نكث بيعته ، فأتى إدريس مصر وهي يومئذ في حوزة العباسيين •• » •

والحقيقة تقول : سبب ذهاب إدريس إلى مصر ليس ما سبق •

أولاً إدريس من هو ؟

إنه إدريس بن عبد الله بن الحسن بن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه •

(١) سنعمد الى الاختصار والاقلال من الأمثلة والفقرات « الزيدانية » ، كي لا يمل القارىء ، ولكننا عند تلخيص مجمل هذه الروايات مع القاسم المشترك بينها ، سنجعل جزءا من أمثلتنا على ما سنقول من الروايات التي لم نتوسع بها •

ثانياً •• هرب رجلان بعد موقعة (فخ) التي وقعت في عهد الخليفة العباسي الهادي ، أولهما يحيى بن عبد الله بن الحسن الذي ثار في بلاد الديلم في عهـد الرشيد ، وثانيهما أخوه إدريس بن عبـد الله الـذي نجح في إثارة أهل المغرب الأقصى على العباسيين •

يقـول السلاوي (الاستقصا لأخبـار دول المغـرب الأقصى ، ج : ١ ، ص : ٦٧) : [أما إدريس فإنـه فرَّ من الواقعـة المذكورة ، ولحق بمصر وعلى بريدها يومئذ واضح مولى صـالح بن المنصور ، ويُعْرَف بالمسكين ، وكـان واضح يتشيَّع لآل البيت ، فعلم شـأن إدريس وأتاه إلى الموضع الذي كـان مستخفياً به ، ولم يَرَ شيئاً أخلص له من أن يحمله على البريد إلى المغرب ففعل ، ولحق إدريس بالمغرب الأقصى هو ومولاه راشد ، فنزل بمدينة « وليلي » سنة اثنتين وسبعين ومائة ، وبها يومئـذ إسحاق بن محمـد بن عبـد الحميد أمير « أوْربَة » من البربر والبرانس ، فأجاره وأكرمه ، وجمع من البربر على القيام بدعوته ، وخلع الطاعة العباسية ، وكشف القناع في ذلك ••

ولم يلبث اسحاق أن جمع عشيرته وذكر لهم نسب إدريس وقرابتـه من الرسول ﷺ ، وأطنب في فضله ودينه وعلمه ، فبايعوه في ٤ رمضان ١٧٢ هـ ، فقويت شوكته وامتدت رقعة بلاده حتى شملت الأراضي التي تقيم فيها قبـائل زناته غربي القيروان إلى المحيط الأطلسي ، وتشمل المغرب الأوسط والأقصى •

فما هي علاقة المنصور بالأمر ؟

ومن ناحية أخرى •• ما المرجع الذي ذكر نكث المنصور لعهده مع ادريس؟!؟

وهل كان نكث العهد إن وجـد طبعاً ، سبباً لهروب ادريس إلى مصر أم معركة « فخ » أيام الهادي ؟!

٢ً ـ صوَّر جرجي المعز لدين الله صورتين متناقضتين خلال الرواية :

★ الصورة الأولى :

ـ « يجلس في برد الشتاء على اللبود ، لا يرتدي غير جبة ، وحوله أبواب مفتحة تفضي إلى خزائن كتبه ، وبين يديــه دواة وأوراق ، لا يأكل إلا ما يأكل رعاياه ، ولا يتقلَّب في الديباج والحرير والمسك والخمر كما يفعل أرباب الدنيا »، [ص : ٨] .

ـ « وإني لأخاف على رجالي استكثارهم من النساء ، ولا أرى لكل منهم أن يقتني غير امرأة واحدة ، لئلا يتنغص عيشهم ، وتعود المضرة عليهم وتنهك أبدانهم وتذهب قوتهم » ، [ص : ٩] .

ـ « ينظر في أعماله ويقرأ كتب العمال ويرد عليها بنفسه » ، [ص : ١٤].

ـ في قاعة جلوس المعز : « صناديق الكتب وليس فيها غير الخليفة وكاتبه »، [ص : ١٤] .

ـ دخلت لميـــاء منزل أم المعز البسيطة المتواضعة ، بعدهـــا يقول جرجي : « ولو كانت لمياء قد دخلت قبل ذلك بعض قصور الأمراء في مصر أو بغـــداد في ذلك العهد ، لحسبت قصر أم الأمراء منزل الخدم ، لأنه كان من البساطة بحيث يقرب من حال البداوة ، فتلك كانت سياسة المعز خوفاً من عواقب الترف ، لعلمه أن الترف والرخاء من أكبر العوامل في سقوط الدول » ، [ص : ١٥] .

ـ وفي ص: ١٧ : « أما المعز فكان يخاف ذلك فيميل إلى التمسُّك بالبساطة والبعد عن الترف » .

ـ وفي ص : ٢٢ عن قاعة المعز : « قاعة واسعة فرشت أرضها باللبود ، وقد جلس المعز لدين الله في صدرها على منصة كالوسادة الصغيرة وهو في لبـــاس بسيط إذا قيس إلى ما يلبس الملوك والخلفاء » .

ــ وفي ص : ٢٣ : « إن بعض الذين لا يعلمون يتصورون الإمامة وسيلة إلى الراحة والتنعّم والانقطاع عن العمل ، وإنها لكذلك لمن شغلوا بالترف عن مصالح الدولة كصاحب بغداد ، وصاحب قرطبــة وأمرائهم في الأطراف ، ممن شغلتهم الدنيا عن الإمامة ، فانغمسوا في الملذات ، وتقلّبوا في الديباج والمسك والخمر . وأما أنا فقد دعوتكم لأريكم كيف ينبغي أن يكون الإمام ، انظروا إلى هذا الكساء والجبة ، وإلى ما أنا جالس عليه من اللبّود ، وهذه الأبواب مفتّحة تفضي إلى خزائن الكتب ، وأنا اشتغل بمكاتبة الأطراف بيدي لا ألتفت إلى أمور الدنيا إلا بما يصون أرواحكم ، ويقمع أضدادكم ، فافعلوا يا شيوخ في خلواتكم مثل ما أفعله ، ولا تظهروا التكبر والتجبر ، فينزع الله النعمة عنكم وينقلها إلى غيركم » .

وقبل أن نسجل ما ينقض هذه الصورة ، لا يفوتنا أن نوضح ما أراده جرجي مما سبق :

لقد أراد جرجي الطعن بالأمويين الأندلسيين ، والعباسيين في بغداد معاً : « وإنها لكذلك لمن شغلوا بالترف عن مصالح الدولة كصاحب بغداد وصاحب قرطبة وأمرائهم في الأطراف،ممن شغلتهم الدنيا عن الإمامة ، فانغمسوا في الملذات وتقلبوا في الديباج والمسك والخمر » !؟! [ص : ٢٣] .

★ الصورة الثانية التي تناقض الأولى تماماً ، وفي الرواية ذاتها :

ــ « وسأجعل أمير المؤمنين ــ المعز ــ يهبك قصراً من قصوره ، وأفرشــه لك أحسن فرش وأزوده بالتحف والجواري بحيث يجعلك تنسين ذلك الرجــل الذي كاد يسبقنا إليك » ، [ص : ٥٥] .

ــ « وسنخص العروسين بقصر من قصورنا مثل بعض أهلنا » ، [ص : ٥٩] .

ــ « خرج حمدون من قصر المعز بعد العشاء ، وقد أدهشه ما رآه هناك من الأبـَّهة والعظمة » • [ص : ٦٤] •

ــ « وقبــل انقضاء رمضان ببضعة أيام أرتها القصر الذي أعــد لها بعد الزفاف ، وقد ملأته بالرياش والأثاث والتحف والجواري والغلمان ، غير الهدايا من المجوهرات والثياب الثمينة » ، [ص : ٧٦] •

ــ وفي ص : ٨٨ : يقدم الطاهي شراباً مهضماً للمعز ليذهب تخمته ويشعر بالرغبة في الطعام ثانية •

ــ وفي ص : ١٧٧ : « وفي الغد نبدأ ببناء القصور لمولانا وبعد قليل يأتي إلى مدينته ويعقد لكما بيده المباركة » •

صورتان متناقضتان في رواية واحدة • صورة اللبود والبساطة •• وصورة القصور والجواري •• فأيهما نعتمد ، وأيهما أصح !؟! وإن قيل إن الصــورة الأولى في دور تأسيس دولة المعز ، والصورة الثانية بعد قيام الدولة ، نقول : إذن الخطأ خطأ المقارنة بين بغداد وقرطبة في أوج قوتهما وحضارتهما ، أيام المنصور والرشيد وعبد الرحمن الناصر •• وبين دولة المعز في أول تأسيسها ؟!؟

٣ً ــ في بعض الروايات جعل الخلفاء يأتمرون برأي المنجمين ، وهنــا في ص : ٨ [استطلاع المنجمين] موجود ، ولكن يـُضاف شيء" جديد : «الساحرة»، وفصل كامل عنها ص : ٧٢ تحت عنوان : « في كهف الساحرة » •

ــ في ص : ٧٤ : مغارة « أصبحت مسكناً لكاهنة ساحرة كان أبو حامد قد عرفها منذ أعوام واستعان بها في كثير من شؤونه ، وهي من خلفاء كهان البربر قبل الإسلام ، اتصلت إليها هذه الصناعة من أجدادها وهي تخاف الظهور ــ لمــاذا ؟ لا أحد يعرف ــ فاستترت هناك » •

ـ وفي ص : ٧٥ : لهذه الكاهنة جواسيس مبثوثة في البلاد لتتلقف الأخبار •

ـ وفي ص : ٨٣ : سخف وأساطير ، الكاهنة الســاحرة تسيطر على كل الأرواح التي تقترب من كهفها ، حتى الحيوانات ، فالحصان صار كالمجنون أو أنه أهيج بوخز أو عقار مهيج ؟!؟

منتهى السخف والسذاجة ضمن روايات تاريخ الإسلام !؟!

٤ً ـ من المغالطات الساذجة في هذه الرواية ••

ـ في ص : ٨٣ : « وقعت لمياء عن الحصان الذي اصطدم بصخرة «فانتثرت هي عن ظهره بقوة الاستمرار وقذفت إلى مسافة بضع أذرع ، فوقعت في حفرة هناك قليلة العمق فغابت عن رشدها » • وقتل الحصان ••

فلما جاء بأثرها أعداؤها يفتشون قالوا : « رأينا الجواد مقتولاً ، ولا يعقل أن تبقى هي حيّة ؟ » •

ـ ص : ٨٦ : « فلما بعد عن المعسكر ركب هو ورجاله وأخذوا يبحثون عن لمياء ليتحققوا قتلها ، فلما رأوا جثة جوادها ملقاة قرب الصخرة التي اصطدم بها ، ولم يعثروا على لمياء ، تحققوا أنها لابدّ قد سقطت عنه حين تلك الصدمة، فوقعت في حفرة وماتت » •

ولكي تتم الرواية لم يروا لمياء حيّة وهي على مسافة « بضع أذرع » كما قال جرجي ص : ٨٣ • إنها قرب الحصان الميت ، فرأوا الحصان •• وهم رجال كثر •• ولم يروا لمياء ، مع أن هؤلاء الرجال وهم راكبون خيولهم يغطون مساحة نصف قطرها أكثر بكثير من « بضع أذرع » •• وهي المسافة التي قررها جرجي بين بعد لمياء وبين الحصان !؟!

٥ً ـ أما الدسائس والثارات والانتقام فهي في الصفحات : ١٠/٥٢/٥٤/

٦٧ / ٧٢ / ٨٥ / ٩١ / ٩٢ / ٩٤ / ٩٥ / ٩٦ / ١٠٣ / ١٠٤ / ١٠٨ / ١١٨ / ١٤٢ / ١٤٤ ••• من عباراتها :

ــ وعند ذلك نكون قد انتقمنا لذلك المقتول ••

ــ رحمك الله يا أبا عبد الله ، قد آن لي أن أنتقم لك من هؤلاء الغادرين••

ــ كان يسوقه طلب الانتقام ••

ــ أنا أبو حامد حامل سيف النقمة ••

ــ فأسفت لموته وودت أن تنتقم له ••

ــ وأصبحت لا تصبر على الانتقام لنفسها منه ••

ــ طيبي نفساً سنأخذ بثأره ••

ــ سأنتقم من ذلك الخائن الغادر •• وهكذا •• عشرات مثل هــذه العبارات ••

٦ ــ ما سبق انتقام ، أما الغرام في هذه الرواية ، فمن عباراته :

ــ ص : ٢٧ : « ليست السعادة بالمال ولا في الجاه ، وإنما هي في الحب •• ما أجمل الحب وأحلاه ، ولكن هل يحبني سالم كما أحبه ؟ » •

ــ ص : ٦٣ : آه يا سالم يا حبيبي ، كيف أموت أو أفر وأتركك ؟! لقــد بارزت الفرسان ، واستقبلت النبال في ساحة القتال ، فلم أجد أصعب مراساً من الحب ، إنه يملك ناصية القلب • ويلاه ! هل في الدنيا فتاة أشقى حالاً مني ؟!

ــ ص : ١٠٤ : « فلما سمعها تناديه (حبيبي) اختلج قلبه في صدره ونسي ما كان يبحث عنه ، ولم يشأ أن يستزيدها ، بل تهيب من الالحاح عليها ، وكان يشعر بسلطان لها عليه فلم يجسر على تكرار السؤال فقال : افعلي ما بــدا لكِ

وكفاني اللفظ الحبيب الذي سمعته من فيك فهو تذكار سأحفظه وقد لا يتاح لنا الاجتماع مرة أخرى قبل سفري . ليت هذه الساعة لا تنقضي » .

٧ً ـ أما البطلة فملكة جمال فارسة :

ـ ص ١٠ : « شاهدت منها في أثناء حربنا معه بسالة وأنفة لم أعهدهافيفتاة قبلها ، فقد كانت تحارب حرب القواد على جواد من خير الجياد » .

ـ ص : ١٤ : « وكانت لمياء طويلة القامة أشبه فيمشيتها بالرجالمنها بالنساء مع جمال وهيبة ، سمراء اللون كبيرة العينين ، إذا نظرت فكأنها تأمر ، مقوســة الحاجبين ، متناسبة الملامح ، غليظة الشفتين قليلاً ، عريضة الوجنتين » .

ـ ص : ١٨ : « وكانت لمياء مع بسالتها وقوة بدنها قوية العواطف ، فتمكن الحب من قلبها حتى شغلها عن كل شاغل سواه ، ولا سيما أن سالماً أول شــاب عرفته وأحبته » .

ـ ص : ١١٨ : « إن أمةً في نسائها فتاة مثلك لابد أن يتسع سلطانها » .

٨ً ـ وجرجي يعرف مكنونات خيال أبطاله ، فيؤرخ للإسلام بسيرة عشاق ينطقهم بلسان حالهم :

ـ ص : ٢٦ : « فأجابتها لمياء بهز رأسها هز الانكار ولسان حالها يقول : إني لا أزال على عزمي » .

ـ ص : ٤٠ : « نظر في أطراف الخيمة ولسان حاله يقول : هــل يسمعنا أحــد ؟ » .

ـ ص : ١٣٤ : « والتفت نحو الطبيب ولسان حاله يقول : إن هذا الحديث لا يتلى جهاراً » .

ـــ ص : ١٧١ : « فأطرق يقول في نفسه : « هل يمكن أن تكون سلامة هي لمياء متنكرة ؟ » •

٩ً ـــ ويحرك جرجي العواطف لترسيخ الخلاف بين السنة والشيعة •• هذا الخلاف الذي يأمل المخلصون أن يزول ويتلاشى ويرجع الجميع إلى كلمة (مسلم) وكفى ••

فهو يقول :

ـــ ص : ٤١ : « وهي مهيَّأة قبل ولادتك وولادة سالم لمقاومـــة هؤلاء الغادرين وارجاع الملك إلى أصحابه » •

ـــ ص : ١٠٦ : « سر في حراسة المولى فإنه آخذ بيدك في نصرة الحق وكبت الظالمين » •

ـــ ص : ١١٤ : « ما بالك يا سيدي لم تدخل الجامع ؟ »

فقالت : سأرجع للصلاة في فرصة أخرى ، ولكن ما بال هـــذين الشيخين يناديان هذا النداء ؟

قال : يناديان بذلك إغاظة للشيعة •

قالت : لعلك شيعي ؟

فصاح : استغفر الله ، لماذا تقول لي ذلك يا مولاي كأنك تريد أن توقعني في مصيبة ؟•

قالت : ولماذا ؟ هل الشيعي كافر ؟

فأشار بسبابته على شفته السفلى كأنه يطلب سكوتها أو يستمهلها في الجواب إلى فرصة أخرى ، فسكتت حتى إذا دخلا في زقاق منفرد قال الشيخ : « احذر يا سيدي أن تجاهر بأمر الشيعة لعلك منهم ؟ »

فقالت : نعم أنا منهم وهل من بأس علي ؟

قال : «كلا ، وربما هابوا لباسك وقيافتك ، وأما إذا كان الشيعي فقيراً فإنهم يضربونه ويهينونه وقد يضربون الكبار ويسجنونهم ويهينونهم بلا شفقة » •••

ص : ١٢٠ : « إن شيعتنا في ضنك شديد ، إن هؤلاء الظالمين يسومونهم سوء العذاب من الإهانة والضرب والحبس بسبب وبلا سبب » •

« إن شيعتنا مغلوبون على أمرهم يذوقون العـذاب ألواناً مـن الحبس والقتـــل » •

« لغير ما سبب ، إنهم يسومون شيعتنا ذلك لأنها تجل أبناء الرســول ، لو قصصت عليك بعض الخبر لبكيت على حالنا » ••

وزيادة على ماسبق يجعل ليعقوب بن كِلِّس اليهودي فصلاً كاملاً ص: ١١٦ ، ليدافع عن آل البيت ، ومعه الطبيب شالوم •• « ومع أني اسرائيلي فقــد صرت أعتقد أن الحق للإمام علي » !؟! وعلي أسمى وأجل من أن يدافع عنــه يهــودي ••

١٠ ـــ الفصل الأخير في الرواية كالمعتاد ، يحمل عنوان : « لقاء الحبيبين »، وهذا الفصل نتيجة طبيعية لنهاية الرواية •• ولكن هذا اللقاء تم بفضل اليهودي يعقوب بن كلس ، لذلك قالت له لمياء : « لا أقدر أن أصف لك الفضل الــذي أولاني إياه الشريف أبو جعفر والمعلم يعقوب ، فاننا مدينون لهما بكثير مــن أسباب النصر ولولاهما لكنت في عالم الأموات •• » •

هذه رواية فتاة القيروان •• خيال ، وحب ، وساحرة ، وظالمون ، ومظلومون. ودسائس وثارات وانتقام ، ويهود •• ينتهي هذا كله إلى لقاء الحبيبين •• فمـا

علاقة تاريخ الإسلام بها ؟ وبماذا تفيد هذه الرواية أبناء الجيل وهم في معركـة اثبات الذات أمام عدو صهيوني لا يرحم ؟!؟

إن صاحب سجلماسة « كما جاء في كتب التاريخ العربية » هـو محمد بن واسول ، وليس الأمير حمدون • ولم يذكر ابن الاثير في الكامل في التاريخ أن له بنتاً شغلت جوهراً كما ادعى جرجي ، فانظر إلى تزييف التاريخ وإلى الخيال ما يصنعان ؟!؟

ما قيمة هذه الرواية إذا علمنا أن لمياء خيال في خيال ؟!؟

وما قيمة الأحداث التي مرت فيها ؟!؟

صلاح الدين الأيوبي

★ « فهمت ما تريده ، وهو نعم الرأي، ولكن هل رضي الخليفة أن يزوج أخته لهذا المولى الكردي ؟! » .

جرجي .

يقول جرجي في الصفحة الاولى : « تتضمَّن انتقال مصر من الفاطميين الى الايوبيين على يد السلطان صلاح الدين ، مع وصف طائفة الاسماعيلية المعروفة بجماعة الحشاشين » .

وأبطال الرواية في الصفحة الثانية هم :

* الخليفة العاضد : آخر الخلفاء الفاطميين
* ست الملك : أخت العاضد
* السلطان صلاح الدين الايوبي
* نجم الدين : والد صلاح الدين
* بهاء الدين قراقوش : وزير صلاح الدين
* عماد الدين : من خاصة صلاح الدين
* عيسى الهكاري : من خاصة صلاح الدين
* أبو الحسن : محتال طامع في الخلافة
* السلطان نور الدين زنكي : صاحب الشام
* راشد الدين سنان : زعيم الاسماعيلية (الحشاشين)

ومن مراجع الرواية الهامة (في ص : ٢) :

ــ تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان

ــ مجلة الهلال مجلد ١٩ ، ومؤسسها كما هو معلوم جرجي زيدان •

ــ تاريخ مصر الحديث لجرجي زيدان !!

ــ ورحلة لـ Burckhard أصدرها في لندن عام ١٨٢٢ تحت عنوان :
Travels in Syria and Holyland London 1822 .

* * *

في هذه الرواية خطأ فادح يكفي لنقضها وتدميرها من أرومتها ومن أساس فكرتها • ويجعلها خيالاً في خيال ، ودجلاً في دجل ، مع تشويه لبعض الحقائق التاريخية ، وهذا الخطأ التاريخي الكبير هو :

جعل جرجي غراماً بين (ست المُلْك) وعمادالدين (من خاصة صلاح الدين) ، والذي يبادلها وتبادله الحب والعشق، ينافسه أبو الحسن (محتال طامع في الخلافة)، أبو الحسن يحب ست الملك ، ولكنها لا تحبه •• ومع جزمنا أن لاوجود للحبيب عماد الدين ، ولا لأبي الحسن ــ والله أعلم بنسبهما ، لان جــرجي لا يعرف نسبهما ــ نقول إن (ست الملك) لها واقع في التاريخ حقاً •

انها ست الملك بنت العزيز بالله أخت الحاكم بأمر الله الفاطمي صاحب مصر، من الفضليات الحازمات المدبّرات • ذكر ابن الاثير في الكامل أنّها دبرت مقتل أخيها الحاكم بالتعاون مع حسين بن دوّاس عندما ساءت سيرته •• ويمكــن مراجعة هذا في : [الاعلام ، جـ ٢ ، ص ١٢٠ وفي أعلام النساء جـ ٢ ، ص ١٦٦]•

وست الملك توفيت سنة ٤١٥ هـ/١٠٢٤ م ، أي قبل قيام دولة الايوبيين بكثير ، وقبل العاضد بكثير • فالعاضد خُلع سنة ٥٦٧ هـ • فبــين قيام دولة الايوبيين والدعوة للعباسيين في مصر ، وانقراض الدولة العبيدية أيام العاضد وبين ست الملك مائة واثنتين وخمسين سنة !!

فستّ الملك ليست أخت العاضد ، لقد كانت عظامها رميماً قبل العاضد بقرن ونصف ، فكيف نسجت الرواية على هذا الخطأ التاريخي ؟

كيف جعل جرجي العمود الفقري ست الملك أختاً للعاضد ، وهي ست الملك أخت الحاكم ؟!

ألا تكفي هذه وحدها لتكذيب ما يقدمه جرجي إلينا في روايته هذه جملة وتفصيلاً ؟!!

هذا •• وكتب التاريخ والتراجم لا تحمل اسماً مماثلا لأخت الحاكم (ست الملك) فهي الوحيدة في كتب التاريخ ، فمن أين جاء بها جرجي ؟! كيف أحياها بعد قرن ونصف من الزمن لتصبح أختاً للعاضد ، ولتحب ولتعشق ولتغرق بلواعج الغرام ، ولتصطك ركبتاها،وتسري بها قوة كهربائية عندما تلمس يد عماد الدين ؟! ولتعذب وتلوّع وتتعب أبا الحسن ، ولتذله بحبه لها وبعدم مبادلته الغرام ؟!

ألا يكفينا القول : كل مافي هذه الرواية لا أمانة تاريخية فيه من ناحية ، ومن ناحية أخرى ان جرجي لايكتب تاريخاً ، بل خيالا فيه لمحات مشوّهة من تاريخنا مع الدس والطعن والشعوبية والصليبية ؟! وكل ذلك تحت عنوان « تاريخ الاسلام »؟!

فارحموا تاريخكم ياعرب •

* * *

نقدّم هذه الملاحظات السريعة بعدما ذكرناه :

١ً ـ استمر جرجي في هذه الرواية بترسيخ الخلاف بين السُّنَّة والشيعة: [ص ٣/٤]•

٢ً ـ وصورة البساطة واللبود وصناديق الكتب عند المعز لدين الله ، والتي رسمت خلال صفحات « فتاة القيروان » ، هي الآن « صورة اللهو والقصف » ، [ص ٤] .

قال جرجي في ص ٤ : « ان المعز لدين الله لما بنى له جوهر مدينة القاهرة ودعاه اليها ، خرج الناس للقائه ، فاجتمع به أناس من الاشراف ، وفيهم عبدالله ابن طباطبا المشهور ، فتقدم الى الخليفة المعز وقال له : الى من ينتسب مولانا ؟

فقال له : سنعقد مجلساً نجمعكم فيه ونسرد عليكم نسبنا . ولما استقر المعز في القصر ، جمع الناس في مجلس عام ، وجلس لهم وقال : هل بقي من رؤسائكم أحد ؟ قالوا : لم يبق معتبر . فسلّ سيفه وقال لهم : هذا نسبي ، ونثر عليهم ذهباً كثيراً وقال : هذا حسبي ، فقالوا جميعاً : سمعنا وأطعنا ! » .

لقد قال جرجي عن حكام بغداد وقرطبة انهما أهل الدنيا : (شغلوا بالترف عن مصالح الدولة كصاحب بغداد وصاحب قرطبة وأمرائهم في الاطراف ، ممن شغلتهم الدنيا عن الإمامة ، فانغمسوا في الملذات ، وتقلبوا في الديباج والمسك والخمر) « فتاة القيروان ، ص ٢٣ » .

فبماذا تختلف الصورة الجديدة والتي رسمها جرجي في روايته « صلاح الدين » للدولة العبيدية عن صورة بغداد وقرطبة ، مادام القصف واللهو ونثر الذهب موجود ؟! وبخاصة اذا علمنا أن جرجي يقول أيضا في ص : ١٣ «وكانت العادة اذا دخل الوزير على الخليفة الفاطمي أن يقبّل يد الخليفة ورجله » !!

٣ً ـ مازال تاريخنا العربي الاسلامي في كل عصوره ومراحله ودوله:ظلم واستعباد وسطو ونهب ولصوص ودسائس ومؤامرات وانتقام ، وسجل جرجي ذلك في الصفحات : ٦ ، ٧ ، ٩ ، ٢٠ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٥٧ ، ٨٥ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠١،

١١٢ ، ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٥٢ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٩ •

قال جرجي عن صلاح الدين وإنهائه للدولة العبيدية ، ص ٧ : « وما الذي يصيبنا من هؤلاء الحكام ؟ انهم يختصمون على الاستبداد فينا » •

— « فإني أصلي ليل نهار وأطلب اليه تعالى أن ينصفك من هؤلاء الظالمين» [ص : ٢٠] •

— « ونحن فيما تعلمون من حـرج المقام وما يحدق بنا مـن الدسائس والمكايد •• » ، [ص ٨٥] •

— « وأنه أصبح همه الانتقام مـن سيدة الملك بأي وجه كان •• » ، [ص : ١٧٩] •

على هذا المنوال سجل جرجي الصفحات التي سجلنا أرقامها أعلاه •

٤ً — يصف جرجي صلاح الدين الايوبي كلما ذكـره بأنه « كردي » مثال ذلك :

— ص ٧ : « وصار النفوذ الى هذا الكردي » •

— ص ١١ : « لاستقبال ذلك الكردي » •

— ص ٢٠ : « لملاقاة هذا الكردي » •

— ص ٢٧ : « ألم يكن الوزراء هم أصحاب النفوذ ، وكلهم من الأجانب الارمن أو الاتراك ، وهذا كردي ، وما الفرق بينهم ؟ » •

— ص ٣١ : « ولايهمنا سبب وصول هذه الخصلة الى ذلك الكردي »•

— ص ٣٢ : « ولنرجع الآن الى ما كنا فيه من النجاة من هؤلاء الاكراد »•

ـ ص ٨٢ : « فهمت ما تريده ، وهو نعم الرأي ، ولكن هل رضي الخليفة أن يزوج أخته لهذا المولى الكردي ؟ » .

ـ وفي ص ١٨ ، قال عن صلاح الدين أنه جشع : « فبقاؤك هنا سواء أكان باسم نورالدين أم باسمك انما هو جشع » .

ـ وفي ص ٢٥ ، جعل وجـود صلاح الدين في مصر شـراً : « يرى أبو الحسن يامولاي أن العقدة التي يطلب حلّها انما هي يوسف صلاح الدين هذا، فاذا ذهب تخلّصنا من كل هذه الشرور » .

ما سبق فيه أربع طعنات :

أ ـ وصف صلاح الدين بجنسيته طعن لما قام به باسم الاسلام ، فما وحد البلاد العربية ودفع الصليبيين باسم جنسيته ، بل قام بها بدافع من دينه وإسلامه فحسـب .

ب ـ أما سؤال جرجي : ما الفرق بين الاجانب الارمن والاتراك والاكراد ، فجوابه لا تفاضل إلا بالتقوى والعمل لصالح هذه الامة ، ويتربّع صلاح الدين كمسلم على ذروة الخير والعمل العظيم لهذه الامة ، فيكفيه من الفخار والعزة: حطين وفتح بيت المقدس .

جـ ـ أما القول عن صلاح الدين أنه مولى ، فهذا الافتراء والدس لانجيب عليه بتعليق إلا قولنا : يحق لجرجي أن يطعن بصلاح الدين ليثبت صليبيته تجاه بطل حرر البلاد من الصليبيين !!

د ـ أما القول بجشع صلاح الدين وشروره .. فنقول :

لم يحدد جرجي ما هي الشرور التي قام بها صلاح الدين ، إلا اذا كانت انتصاره في حطين ، وتحرير بيت المقدس .

أما الجشع •• فنقول تعليقاً : جاء في تاريخ الخلفاء ص ٤٥٤ : [وفي سنة تسع وثمانية وخمسمائة مات السلطان صلاح الدين رحمه الله ، فوصل الى بغداد الرسول وفي صحبته لأْمَةُ الحرب التي لصلاح الدين وفرسه ودينار واحد وستة وثلاثون درهماً ، لم يخلّف من المال سواها]•

فأين الجشع ؟!

انه موجود فعلا ، ولكنه في مخ وخيال جرجي !!

٥ً ــ كتب التاريخ كلها تذكر الحروب التي قامت بها أوربة جمعاء ضد البلاد العربية ، في العصور الوسطى ، بالحروب الصليبية ، والذين قاموا بها « صليبيون » • إلا جرجي فسمّاهم الافرنج ، وكرر ذلك في كل الرواية في الصفحات : ١٩ ، ٦١ ، ٨٤ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٥ ، ١٨١ •• فإن جرجي يخجل من ذكر اسمهم الصحيح ، لما ارتكبوه من جرائم قلّما عرفها التاريخ في غيرهم !!

٦ً ــ أما الغرام والجمال في الرواية فكثير كثير (ودقيق) •• ندع (الدقة) الى نهاية هذه الفقرة ، ونبدأ ببعض فقرات الحب والحكم الزيدانية من خلالها:

ــ ص ٤٦: «طالما كتمت هذا الحب حياءوخجلا ,وكنت أرى في كتمانه لذة» •

ــ ص ٤٨ : « الحب سلطان مستبد لايذعن للحق ولايعرف الصواب ، وانما يلذ له الاستبداد بلا سبب ، والفتك بلا حساب ، ولا يحلو الحب إلا أن يكون مستبداً ، لأنه ومتى أذعن للاحكام العقلية والأقيسة المنطقية أو الاعتبارات الاقتصادية صار معلماً أو تاجراً أو فقيهاً ، وانما هو سلطان مطلق لا يقيده دستور ولا يردعه خوف من عقاب ، فهو لا يسأل عما يفعل ورعيته راضية باستبداده تعد ظلمه عدلاً ، وتحسب عسفه رفقاً » •

ـ ص ٧١ : « إني أقبله هدية لا مكافأة ، ولما مد يده ليتناوله لمست أنامله كفَّها فأحسَّ ببردها وارتعاشها ، وأحسَّت هي برعشة كهربائية سرت في عروقها » .

ـ ص ٧٤ : « فلما قبضت على يده سرت الرعشة في أعضائه » .

ـ ص ٧٦ : « عماد الدين .. شاب في مقتبل العمر ، وبين يديه أشرف نساء مصر وأجملهن تشكو له حبها وتدعوه الى قربها ، فهاجت عواطفه وكاد يغلب على أمره وينسى مهمته ، وإنما عصمه أدب نفسه ، وعلو همته واحترامه لمولاه فتجلَّد وسكت » .

ـ ص ٧٨ : « لله ما أشد وطأة الحب وما أقوى سلطانه ! »

ـ «توسمت منها الرجوع الى الصواب لعلها تنجو من لواعج الحب ..»

ـ « الحب يعزيني عن كل شيء .. ذلك هو الحب .. ليس في الدنيا ألذ منه اذا كان متبادلا » .

ـ ص ١٣٦ : « واضطرمت نيران الحب في قلبه مرة واحدة ، كأن لواعج تلك المدة كلها اجتمعت في ذلك اليوم ، فأصبحت صورة سيدة الملك نصب عينيه أينما توجَّه » .

ـ ص ١٣٧ : « لقد اختلف الناس في تعريف السعادة فجعلها بعضهم في المال، وآخرون في الشهرة ، وآخرون في الصحة ، وذهبوا فيها مذاهب شتى ، لكن المحبين يعلمون أن السعادة في تبادل المحبة بين حبيبين يرجوان ويخافان ، يلتقيان ويفترقان ، وهما ـ في كل حال ـ في سعادة الاجتماع إما بالفعل وإما بالامل ، سواء رافقهما الغنى أم الفقر ، والشهرة أم الضعة ، انهما سعيدان في كل حال !»

ـ ص ١٥٣ : « وبينما هو يفكر في ذلك تقدمت إليه تلك الغانية وقد

أزاحت نقابها عن رأسها وأرسلت شعرها الذهبي على كتفيها وهي تنظـر الى عماد الدين بعينين تكادان تنطقان بعبارات الحب وتشتكيان لواعج الغرام•• »•

وقبل أن نصل الى (الدقة) في رواية جرجي ، والى الامانة التاريخية فيها، لا ننس جمال البطلة :

ـ ص ٢٢ : « وكانت سيدة الملك جميلة الخلقة طويلة القامة صبوحة الوجه ، ذهبية الشعر ، جذابة المنظر ، اذا نظرت في وجهها شعرت بهيبة تتجلى في عينيها » •

ـ ص ٥٦ : « إن سيدة الملك من أجمل النساء خلقـة ، وأحسنهن ذكاء ودهـاء » •

ـ ص ٦٤ : « انها بارعة في الجمال جداً » •

أما (الدقة) والامانة التاريخية فيذكرها جرجي في الصفحة ٤٨ :

« قضت سيدة الملك بقية الليل بين اليقظة والمنام لفرط قلقها ، وأفاقت في الصباح التالي على صوت المؤذن لصلاة الصبح ، ولم يكن يطلب منها القيـام حينذاك لكنها لم تعد تستطيع رقاداً » •

فجرجي دقيق •• حتى أنه علم بدورة سيدة الملك الشهرية ، فهي في عذر يمنعها من الصلاة •• وكل هذا في رواية تحت عنوان « روايات تاريخ الاسلام »، فذكر ما سبق ممكن ، أما توحيد بلاد الشام ووادي النيل والحجاز واليمن •• فلا ذكر لها •

أما حطين وفتح بيت المقدس ••لا يذكران ••

٧ً ـ وما يزال جرجي يصر على أن الدين للعامة ، أما النخبة •• أمثاله •• فلا يستهويها الدين لان عقله وحكمته وتفكيره فوق الدين •

يقول في ص ٦٢ : « ولاتجد شيئاً يستهوي العامة مثل الدين » !!

٨ً ــ وكما كان جرجي دقيقاً في عذر سيدة الملك في صلاتها ، فهو دقيق في قراءة الافكار ، فتراه يكتب عن لسان الحال :

ــ ص ٢٣ : « فهزّت رأسها وسكتت ، ولسان حالها يقول : إنه منافق » .

ــ ص ١٧٣ : « فالتفت الرجلان أحدهما الى الآخر لفتة الاستغراب ولسان حالهما يقول : كيف يبعث الشيخ يطلب امرأته على بغلتها الى الحصن وما الذي يريده منها هناك ؟ » .

٩ً ــ ان ما وصفه جرجي في الفصل الذي يحمل عنوان : « عند زعيم الحشاشين » ، ص ١٤٩ : من صنع جنة مصغرة ، يُدخِل إليها الحشاشون من يخدرونه ، وفيها أنهار عسل ولبن وحور عين .. هي من صنع الحسن بن الصبّاح في قلعة أَلمُوت من نواحي بحر قزوين ، عملها بُعيد استيلائه عليها سنة ٤٨٣هـ ، وهي ليست من صنع راشد بن سنان واختراعه في قلاع الشام .

١٠ً ــ صلاح الدين يوسف بن أيوب .. الذي وُصِف بالمارد الذي جمع في قبضته القوية بين القاهرة ودمشق وحلب ، فقلب المسلمين من التفكك والدفاع الى الوحدة والهجوم ، وحوّل موقف الصليبيين من قوة وتماسك الى ضعف وانحلال ، ومن حالة الهجوم الى حالة الدفاع .. بما كان يتصف به من مستوى رفيع من العبقرية والحنكة والبطولة والاخلاص والايمان .. مع مستوى رفيع من كرم الاخلاق والشهامة تفوق كل المثل التي لن يصل إليها الغربيون في يوم من الايام إلا بالاسلام الصادق ..

صلاح الدين موحّد البلاد العربية في المشرق ..

وصانع نصر حطين العظيم ..

ومحرر بيت المقدس من يد الصليبيين ••

وفاتح قسطنطينية الافرنج « عكا » •

هذه الشخصية العظيمة •• كانت نهاية روايته التي كتبها جرجي زيدان « هناء الحبيبين » ، وأي حبيبين ؟ الحبيبين الخياليين ؟!

كل جهاده •• وكل فتوحاته •• وكل صفاته السامية •• لاتهم جرجي ، فكان الفصل الاخير من رواية « صلاح الدين » ، « هناء الحبيبين » • فهـذا المهم والاهم في روايات تاريخ الاسلام الزيدانية •• فهنيئاً لنـا بتاريخ يكتبه جـرجي !!

ومرحى لنا ثم مرحى مادمنا لا نكترث بدسه وطعنه وتشويهه !!



شجرة الدرّ

✶ « ذبح الخليفة أهل الكرخ بسبب جارية » .

جرجي .

جاء في الصفحة الاولى من هذه الرواية الزيدانية : « تتضمن مقتل الملك طوران شاه آخر سلاطين الدولة الايوبية ، ومبايعة شجرة الدر زوجة الملك الصالح وتتويجها ملكة لمصر ، وهي أول ملكة في الاسلام » .

وأبطال الرواية كما سجلهم جرجي على الصفحة الثانية :

* شجرة الدر	: زوجة الملك الصالح
* شـوكار	: جارية شجرة الدر
* عز الدين إيبك التركماني	: قائد الجيش
* ركن الدين بيبرس	: أحد أمراء الجيش
* سلافة التركية	: جارية الملك الصالح
* سـحبان	: تاجر أقمشة من بغداد
* المستعصم بالله	: آخر الخلفاء العباسيين ببغداد
* الامير أحمد (أبو بكر)	: ولي عهد المستعصم بالله
* هولاكو التتري	: حفيد جنكيز خان
* مؤيد الدين بن العلقمي	: وزير المستعصم بالله

في هذه الرواية : جارية حسناء مغنية (من خيال جرجي) ، اسمها «شوكار»

أحبها ركن الدين بيبرس ، وخطبها لنفسه ، ولكن الخليفة العباسي المستعصم بالله علم بها وبمقامها بمصر ، فطلبها ، فأرسلت الى بغداد ، وزاد هيام بيبرس بها، وسطا ابن الخليفة « أحمد » على شوكار ، وعاشت عنده لانه يرى نفسه أحق بها من أبيـــه •

وشوكار بقيت بقلبها مع بيبرس المقيم في القاهرة ••

وتخفي سلافة ــ جارية الملك الصالح ــ شوكار •• فيمضي بيبرس الى بغداد ــ على ذمة جرجي ــ ليقتل سلافة ويلتقي بشوكار التي ظن أنها غرقت بالدجلـــة !!!

هذه هي الرواية الجديدة « شجرة الدر » ••

* * *

وأهم الملاحظات ، ندونها فيما يلي :

١ ــ استخدم جرجي كلمة « سطا » بحق التتار عندما دخلوا بغداد ، وهنا استعملها في مكانها الحق ، وهي لاتستعمل بحق الفتح الاسلامي ، فشتان بين الفتحين وأثرهما !!

٢ ــ واستخدم هنا كلمة « الافرنج » بدل كلمة « الصليبيين » ، وذلك في الصفحات : ٨ ، ١٢ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٦١ ، ١٢٧ ، ١٤٢ ، وهذه الملاحظة تدل على صليبية المؤلف !!

٣ ــ وصف جرجي آخر الخلفاء العباسيين المستعصم بالله بما يلي:

ص ٢٥ : « هل تعني أن الخليفة المستعصم الحالي يطارد الشيعة ؟ »•

« المستعصم هذا من أشدهم وطأة علينا ، فقد قاسينا في أيامه الامرين »•

ص ٤٧ : « وقد برحها فراراً من ظلم العباسيين واضطهادهم الشيعة بحيث لم يعد في امكانه الصبر على الضيم هناك » .

« فارقت رجلاً لا هم له إلا سماع الغنـاء والاشتغال بالطعام والشراب والنسـاء » .

ص ٧٦ : « كان منغمساً في الترف ، شديد الكلف باللهو واللعب وسـماع الاغاني ، لايكاد مجلسه يخلو من ذلك ساعة ، وكان ندماؤه وأعوانه منهمكين معه في الملاذ لا يرجون له صلاحا » .

ص ٨٩ : « وما أجـدرني أن أقتدي بوالدي وهو أمير المؤمنين ، قـدوة سائر المسلمين » .

ص ٩٩ : « أين ذلك من خليفتنا المشتغل باللهو والغناء عن أمور الدولة، ويهمه العثور على شوكار المغنية أكثر من دفع العدو عن بغداد ؟ » .

وعندما كان هولاكو يحاصر بغداد ، ورد في ص ١١٣ : « أين المغنيـة الجديدة ؟ لقد ظفرنا بها بعد طول انتظار ، والحمد لله ، هل جربت صوتها ؟ هل أسمعتك إياه ؟ يقولون أرخم النساء صوتاً وأتقنهن صنعة ، قد آن لي أن أستريح من مهام الدولة ومتاعبها » .

ص ١٢٤ : « ان الجواري المغنيات كثيرات في خدمة أمير المؤمنين ، هل يأمر بتهيئة سواها ؟ » .

المستعصم : « هيئي من شئت منهن ..إني في حاجة الى الراحة بعد تعب هذا النهار .. » .

ص ١٢٩ : « لا تعجب أيها الامير من اضطراب حالنا ، فخليفتنا مشغول باستجلاب المغنيات من أقاصي المملكة » .

التتار يزحفون الى بغداد ، وشرهم يتزايد ، ونارهم تستعر •• وحقاً الخليفة المستعصم في غفلة عما يراد بالخلافة العباسية •• ولكنه لايحمل تبعات الموقف وحده ، نسي جرجي •• والاصح تناسى •• أن الوزير العلقمي يحمل مسؤولية كبرى •• لقد كانت الرسل في السر بينه وبين التتار ، والمستعصم تائه في لذاته ، لا يطلع على الامور ، ولا يدري ما يحاك ضده ، وبسبب حاشية السوء ، والبطانة العميلة ، ولا يعلم المستعصم ما يبيت له من وزيره ، رأس البطانة العميلة ، والحاشية السيئة •

لقد أشار الوزير العلقمي بتسريح الجيش •• واستمر بمكاتبة التتار ، وأطمعهم في البلاد ، وسهل عليهم ذلك ، وطلب أن يكون نائبهم ، فوعدوه بذلك ، وقصدوا بغداد ، فوصلوها سنة ٦٥٦ هـ ، وهم مائتا ألف يتقدمهم هولاكو •

كما أشار العلقمي بخروج المستعصم والفقهاء الى هولاكو ، فخرجوا من بغداد ، فضربت أعناقهم •• ثم مدّ هولاكو الجسر وعبروا إلى بغداد •• ولكن لم يتم لبطانة السوء ماأرادت،لقد ذهبت أحلام الوزير العلقمي أدراج الرياح •• وأذل هولاكو ابن العلقمي فمات كمداً وغمّاً(١) ••

وجرجي في روايته يعفي ابن العلقمي من خيانته •• ويحمّل المستعصم وحده المسؤوليات ، وقول جرجي في ص : ٢٥/٤٧ •• إن المستعصم يضطهد أو يطارد الشيعة ، ينقضه كون وزيره العلقمي شيعي •

٤ً ــ في الروايات السابقة « منجمون » أُضيف اليهم « ساحرة كاهنة »، وفي هذه الرواية بالاضافة لما سبق : حملة ودع ، وكشّاف البخت ، وفاتحو المندل •• هـذا مجتمعنا كما يصوّره جرجي في ص ٢٧ • وفي الصفحة ذاتها يتحدث جرجي أسطراً تنطبق عليه تماما ، هي :

(١) راجع للتوسع كتابنا « عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الاسلامي » ، ص : ٨٩ ومابعدها ط ، دار الفكر بدمشق •

« لو أتيح لك حضور تلك المجالس لرأيت عجباً ، وأخذتك الدهشة من أخلاق العامة ، وسرعة تصديقهم للغرائب ، لأنك قد تسمع حديثاً أنت أعلم الناس به ــ هنا شاهدنا بشأن جرجي ــ فتجده تشوه واضطرب حتى انقلب الى غير ما تعرفه ، وقد تنكره وتظنه حديثاً آخر ، ويزداد تحريفهم للاحاديث بنسبة ما تحويه من الغرابة عن مألوفهم ».

إن مانعرف من تاريخنا ، ومن خلال مصادره المعتمدة .. تشوه واضطرب حتى انقلب الى غير ما نعرفه على يدجرجي !!

٥ ــ ما زال جرجي يذكرنا برأيه في نكبة البرامكة في ص : ٧٨/٧٩ : ومما قاله : « إني أشير إلى ما فعله الرشيد بجعفر ، ألم يقتله ويقتل البرامكة لأنهم شيعة ؟! » .

الجواب .. لا لم يكونوا في يوم من الأيام شيعة .. بل زنادقة فرس كما ذكرنا سابقاً .

٦ ــ قال عن الظاهر بيبرس بعد سهره الطويل قلقاً على شوكار « ص : ٧٣ » : [وبينما هو في ذلك إذ سمع أذان الفجر فتوسد الفراش التماساً للراحة ، وكان نومه مضطرباً متقطعاً ، ولم تبرح صورة شوكار من خاطره لحظة . ولما نام رآها في الحلم حزينة باكية تعاتبه] . ولاندري من قص على جرجي هذا الحلم . وتشويهاً لحياة بيبرس قال عنه : توسد الفراش بدل قيامه لصلاة الفجر عند سماع الأذان ؟!؟ :

ص : ٥٤ : « وقال في نفسه : إنه رجل لا يؤمن جانبه » .

ص : ١١٧ : « ولسان حالها يقول : ليست السعادة بالرياش والمجوهرات ، وإنما هي في الحب » .

ولا يكتب تاريخ بمثل هذه الخيالات .

٧ً ـ أما عن الجمال ، فقد وصف جرجي شوكار بما يلي :

ص : ٤ : وهبها الله كل ما تتطلبه الغانيات من الجمال والذكاء ورخامة الصوت ، ولطف العشرة .

ص : ١١ : في غاية الجمال واللطف . وكرر ذلك في الصفحات : ١٣و١٥ .

وقال عن سلافة أيضاً ، وهي خيالية بالطبع .

ص : ٥٩ : إنها في الحقيقة بارعة الجمال .

ص : ٦٩ : قالت ذلك واحمرّت وجنتاها وبرقت عيناها ، وكانت جميلة فزادها ذلك جمالاً .

وبالإضافة لهذا الجمال ، سلافة تسيّر أمور الدولة مع شوكار : « لقد بذلت كل ما في وسعي لكي أجعلك قائداً عند الخليفة فتكون أعظم قائد في الإسلام » .

هذا القائد العظيم في الإسلام ، بيبرس ، حياته كلها قضاها من أجل شوكار، فما بال المسلمين العاديين ؟!؟

لقد تخاطب مع شوكار ثم « تكلمت عيناها بما يعجز اللسان عن الإفصاح به » : ص : ٣٥ .

وقال جرجي كذباً وإفكاً على لسان بيبرس أيضاً :

« إني أحبها ، وإن كان ذلك الحب جاءني في أول الأمر تكلّفاً لكنه تمكن من قلبي » ، ص : ٥٧ .

حتى وبغداد محاصرة : « وأكبرهم ركن الدين ـ بيبرس ـ الوصول إلى

شوكار ومعرفة حالها وإنقاذها أو الانتقام لها ، وبات وهو يحلم بها » . كل هذا ولا يهمه بغداد والتتار !؟!

وبالمناسبة ، جعل جرجي الفصل في ص : ١٢٧ تحت عنوان : « ركن الدين في بغداد » ، طبعاً لإرجاع شوكار إليه لا للدفاع عنها ضد التتار . وعلى حد علمي إن ركن الدين بيبرس لم يزر بغداد لا قبل حصارها ولا بعد حصارها ولا أثناء ذلك الحصار ..

٨ً ــ عبارات الحب والغرام في الصفحات : ١٤ / ١٦ / ٢٥ / ٢٦ / ٣٥ / ٣٦ / ١٤١ ..

منها في ص : ١٤ : « لكنها رأته ورآها وتفاهم النظران وتناجى القلبان ، وما أسرع تناجيهما إذا توافقت الطباع » .

ص : ١٦ : « هو حبيبي لكنه شرير لا أظنه أميناً في حبه » .

ص : ٢٥ : « لا لذة في الحب إن لم يرافقه التعب » .

ص : ١٤١ : « إني أحبك وأتفانى في الحصول عليك وأحب أن تقول لي إنك تحبني ، أو على الأقل لا تحب سواي ، قالت ذلك بلحن الغرام » .

٩ً ــ أما عبارات الانتقام والنقمة ، والدسائس والجواسيس ، وقطاع الطرق واللصوص .. فجمعت بعضها في الصفحات : ٥٢ / ٥٥ / ٥٦ / ٥٧ / ٦٠ / ٦٤ / ٦٥ / ٦٧ / ٧٥ / ٧٧ / ٧٩ / ٨٠ / ٨٤ / ٨٥ / ٨٦ / ٩٠ / ٩٤ / ١٠٠ / ١٠١ / ١٠٣ / ١١٥ / ١٢١ / ١٣٨ / ١٤٢ / ١٥٢ / ١٥٤ / ١٦٠/١٦٣ ... ومنها :

ص : ٦٧ : « ولم أرجع إلا وأنا منتقمة لها من ذلك الخليفة الظالم الذي لا يهمه إلا التمتع بملذاته » .

ص : ٧٧ : « فلم يكن يأذن لأحد منهم أن يزوره إلا خلسة ، لأن جواسيس المستعصم مبثوثون حوله يعدّون عليه أنفاسه » •

ص : ٨٠ : « وهو ناقم أيضاً على خليفتك هـذا لأنه أخـذ خطيبته منه ، ولا يلبث أن يأتي للانتقام ، فإذا ساعدناه على قتل هذا الخليفة وبايعناه سلطاناً على مصر ، أطاعنا في اعلان الخلافة الفاطمية بمصر ، فنعود إلى عزنا ، وتتخلّص من هؤلاء الظالمين » •

وكلمة ظالمين بحق العباسيين ، والمظلومين بحق الشيعة يكررهـا عشرات وعشـرات المـرات منهـا : ص : ٢٥ / ٥٣ / ٧٥ / ٧٦ / ٧٩ / ٨٠ / ٨٧ / ٩٤ / ٩٨ / ١٠٢ / ١٠٤ / ١٣٢ / ١٤٤ / ١٤٦ / ١٥٨ / ١٥٩ •• وجرجي بهذا يعمق الخلاف والشقاق بين سُنّة وشيعة ، ويثير أحقاداً قديمـة لتبقى الأمة منقسمة !؟!

١٠ً ــ وقال جرجي في ص : ٣٩ : « أنا أعرف جنس النساء ، إنهن لايحفظن الوداد ، لا أقول هذا عن شجرة الدر وحدها ، لكن هكذا طبيعتنا نحن النساء ، ويؤيد ذلك ما جاء عنهن في كتب الدين » •

هل حقاً أن طبيعة النساء عدم حفظ الوداد ؟!؟

وماذا قالت كتب الدين تأييداً لهذا الرأي الغريب ؟!؟

١١ً ــ وفي الصفحة ١٢١ ، يقول جرجي : « وهبي أنـه تزوجك ، فليس أسهل على الرجال من الطلاق » • وهذا كلام سليم ؟!! أهون مايكون الطلاق في أوربة وعالم الغرب كله عند الرجال ، ولأسباب تافهة كأن يكون الزوج لا يحب كلب زوجته ، أو الزوجة لا تحب لون ثياب زوجها •• أما عنـد المسلم الحق ، فأصعب ما يكون عليه الطلاق ، فهو أبغض الحلال إلى الله ، وكم من مسلم مؤمن

يتحمل ما يتحمل من زوجته رجاء مثوبة الله من ناحية ، وحفاظاً على الأسرة والأطفال من ناحية ثانية .

١٢ — من يقرأ عنوان هذه الرواية « شجرة الدر » ، ويرى من أبطالها ركن الدين بيبرس .. ويرى قدوم هولاكو حفيد جنكيز خان .. يتوقع أن يقرأ مطولاً تفاصيل صفحة مشرقة منيرة في تاريخنا العربي الإسلامي ، يقرأ عن « عين جالوت » وصدَّ ذلك الإعصار المدمِّر ، الذي زحف بجيوشه الرهيبة إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية فدمرتها ، وانطلقت تلتهم مساحات شاسعة من الأرض الإسلامية . وكان طابعها التدمير والإرهاب والاحراق لكل الحواجز التي تحول بينهم وبين تطلعاتهم التوسعية ..

واتجهت هذه القوة نحو مصر لتبتلعها كما ابتلعت بغداد ، فتضمن بذلك إحكام سيطرتها على العالم الإسلامي .

وهنا يتجلى دور الملك المظفر قُطُز عندما قرر التصدي لهذا الاعصار ، وكيف حال بينه وبين تدمير العالم الإسلامي بقيمه وتراثه وحضارته .

وهنا أيضاً تظهر عبقرية الملك المظفر قطز ، عندما جمع الصفوف ، وخرج لملاقاتهم في عين جالوت ، وليعطي لهؤلاء دروساً في معاني البطولة والشجاعة ، ويقضي على الاعصار التتري ، وينتصر انتصاراً خالداً على مر التاريخ ، انتصاراً لخير البشرية كلها .

وبعد مقتل قُطُز في قرية (القرين) ، وهذه سيئة تحسب على بيبرس دون شك ، بقيت مصر في ظل بيبرس في فترة زاهية من القوة والامن والطمأنينة ..

ومن مآثر بيبرس ، مباشرته الفتوحات بنفسه ، فتح النوبة ودنقلة ، ولم تفتح قبله ، مع كثرة غزو الخلفاء لها ..

أما أن بيبرس أمضى حياته وراء جارية خيالية هي شوكار ، وســافر إلى بغداد أثناء حصارها لانقاذها •• فهذا خيال جرجي الاسطوري •

وللأمانة التاريخية فيما نكتب نقول :

عدد صفحات الرواية هــذه / ١٦٥ / صفحة ، المقطع الأخير من الصفحة / ١٦٥ / فقط كــان عن قـُطـُز وعين جالوت ، فكل ما كتبه جرجي في هــذا المجــال هـــو :

« وفي السنة التالية زحف هولاكو على سورية ، وبعث يهدد قطز ، فشاور الأمراء فأشاروا عليه بالحرب ، وفي مقدمتهم ركن الدين ــ بيبرس ــ ، فجرّد حملة سار ركن الدين فيها ، واضطر هولاكو إلى الرجوع لموت والده ، وأخــذ معظم جيشه معه ، والتقى ما بقي من رجاله بجيش قطز في فلسطين في معركة فاز فيها المصريون وعادوا ظافرين ، فاغتنم ركن الدين فرصة في أثناء رجوعهم وقتل قطز ، وكان قد تواطأ على ذلك مع رفاقه الأمراء ورضوا أن يتولى هو مكانه ، فنادوا به سلطاناً على مصر سنة ٦٥٨ هـ ، ولقب بالملك الظاهر • وحالما استقر له الأمر بعث في استقدام الأمير أحمد فجاءه في السنة التالية ، فبايعه خليفة ولقب بالمستنصر بالله ، وصارت الخلافة العباسية بمصر من ذلك الحين » •

هذا كل ما كتبه جرجي من تاريخ في رواية شجرة الدر ، ولاحظ في المقطع الوحيد أن الذين فازوا هم المصريون لا المسلمون •• لقد حارب قطز وبيبرس باسم مصريتهم لا باسم إسلامهم ؟!!

ولاشك في أن موقعة عين جالوت تعتبر من المواقع الفاصلة في التاريخ ، نظراً لما ترتب عليها من نتائج خطيرة ، فلو انتصر المغول في تلك الموقعــة لفعلوا بمصر وأهلها مثلما فعلوا بالعراق والشام ، ولمزّقت البلدان العربية بالشرق الأدنى

في دور مظلم حالك طويل تحت حكم المغول • مما كان من الثابت أن يترك في تاريخها أثراً خطيراً بعيد المدى[1] •

أما شجرة الدر الذي جعل جرجي اسمها عنواناً لروايته ، قال عنها ابن إياس: « ذات عقل وحزم كاتبة قارئة ، لها معرفة تامة بأحوال المملكة ، وقد نالت من العز والرفعة ما لم تنله امرأة قبلها ولا بعدها • توفي الملك الصالح بالمنصورة سنة ٦٤٧ هـ ، والمعارك ناشبة بين جيشه والصليبيين ، فأخفت خبر موته ، وأحضرت ابنه « تورانشاه » فأخذ يتهدّدها واستوحش منه بعض المماليك فقتلوه وتقدّمت شجرة الدر للملك • وتزوجت بوزيرها عز الدين بعد أن طلق زوجه الأولى أم عليّ ، ونزلت له عن السلطنة ، واحتفظت بالسيطرة عليه • ولما أراد أن يتزوج عليها أمرت مماليكها فقتلوه خنقاً بالحمّام • وعلم ابنه علي بالأمر فقبض عليها وسلمها إلى أمه فأمرت بقتلها ، فضربت حتى ماتت »[2] • وكانت وفاتها عام ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م •

لقد خلط جرجي أحداث موت الملك الصالح بشجرة الدر بخياله الواسع عن بيبرس وشوكار ، بسقوط بغداد •• ليلتقي بيبرس في النهاية (ص : ١٦٤) بشوكار كخاتمة للرواية قبيل الفقرة المذكورة في (ص : ١٦٥) عن عين جالوت (دون ذكر اسمها) والملك المظفر قطز •

هذا هو تاريخنا الذي يدوّنه جرجي لأجيالنا العربية وهي في معركة تحقيق الذات أمام عدو لا يرحم !؟!

---

(١) الحركة الصليبية ، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى ، جـ : ٢ ، ص : ١١٣٦ وما بعدها •

(٢) راجع للتوسع « أعلام النساء » جـ : ٢ ، ص : ٢٨٦ ، والاعلام ، جـ : ٣ ، ص : ٢٣١ •

الانقلاب العثماني

✶ ظلم وظالمون ، جاسوسية ، غدر واستبداد ، طاغية ، القتل بالظن ، السر الخفية ، الجواري ..

✶ الباشا ع ، القادين ج ، الملازم ك ، الدكتور ن ؟!؟

جرجي .

جاء في الصفحة الأولى تحت العنوان : « تتضمن وصف أحوال الأحرار العثمانيين وجمعياتهم السرية ، وما قاسوه في طلب الدستور .. ووصف يلدز وقصورها وحدائقها ، وعبد الحميد وجواسيسه وأعوانه ، وسائر أحواله إلى فوز جمعية الاتحاد والترقي بنيل الدستور في ٢٣ يوليو سنة ١٩٠٨ » .

والأبطال كما دوّنوا على الصفحة الثانية :

* عبد الحميد خان : السلطان العثماني .
* أحمد نور الدين : ابن السلطان عبد الحميد .
* نيازي بك : من زعماء الأحرار .
* أنور باشا : من زعماء جمعية الاتحاد والترقي .
* ناظم بك : قائد جند سلانيك .
* نادر آغا : رئيس أغوات يلدز .
* شيرين : فتاة تركية .
* طهماز : والد شيرين .
* توحيدة : والدة شيرين .

* رامز	: من زعماء جمعية الاتحاد والترقي •
* صـــائب	: جاسوس عثماني •
* سر خفية	: رئيس جواسيس السلطان •
* القادين ج	: من جواري السلطان •
* والدة سلطانة	رئيسة دور الحريم •
* سعيد بك	: من زعماء جمعية الاتحاد والترقي •
* فوزي بك	: أحد قواد الحرس الألباني •

وفي هذه الرواية : شيرين ، فتاة ذكية خيالية ، أحبت رامزاً من زعماء جمعية الاتحاد والترقي « المقدّسة » ، وهو شخصية خيالية أيضـاً ، وأحبهـا رامز ، والمنافس لهما « صائب » •• هكذا صائب فقط !! وصائب هذا جاسوس عثماني أحب شيرين ولكنها لم تحبه ، فنمى رامزاً لعبد الحميد خان ، فحبسه في سجونه وأراد شيرين لنفسه •

وتدور الأحـداث الخياليـة مزدحمة متـداخلة تنتهي بسقوط السلطان عبد الحميد ، وخروج رامز من سجنه وبزواجه من شيرين « فاحتفلوا باقترانـه احتفالاً حضره نخبة الأحرار •• وكان فرح العروسين مزدوجاً باجتماع الشمل ونيل الدستور » آخر فقرة في الرواية ص : ١٧٩ •

فماذا نقول بحق رواية أبطالها الثلاثة خياليون ؟!؟ شيرين ورامز وصائب ؟!؟

* * *

ونحن في هـذه الفقرات التي نسجلها لن نستطيع بحث حيـاة السلطان عبد الحميد ، ودور اليهود في تشويه سيرته ، بعد رفضه بحزم هجرة اليهود إلى فلسطين ، مع رفض رشوة مالية كبيرة له خاصة ، وللدولة العثمانية لانتشالها من ضائقتها المالية •

في عام ١٨٩٨ م وصل امبراطور ألمانية ويلهم الثاني إلى اسطنبول بدعوة من السلطان عبد الحميد ، فاستغل تيودور هرتزل هذه الفرصة •• وتمكن بتوسط رئيس الوزراء الألماني « فون بولوف » من مقابلة الامبراطور الألماني ، وطلب مساعدته في هجرة يهود العالم إلى فلسطين •

في اسطنبول ، وبمساعدة السفارة الألمانية وصل هرتزل برفقة الحاخام اليهودي موشيه ليفي إلى قصر السلطان عبد الحميد ، وتقدم بالرشوة قائلاً :

« مولانا صاحب الشوكة جلالة السلطان ، لقد وكّلنا عبيدكم اليهود بتقديم أسمى آيات التبجيل والرجاء ، عبيدكم المخلصون اليهود يقبّلون التراب الذي تدوسونه ويستعطفونكم للهجرة إلى فلسطين المقدسة •

ولقاء أوامركم العالية الجليلة نرجو التفضّل بقبول هديتهم خمسة ملايين ليرة ذهبية » •

سمع عبد الحميد هذا العرض ، وبكل هدوء أمر مرافقه أن يطردهما من القصر ، وأصدر على الفور أمراً يمنع هجرة اليهود إلى فلسطين •

فدخل يهود الدونمة متسترين بالإسلام وبالمحافل الماسونية وأسسوا « الاتحاد والترقي » وأخذوا ينسجون شائعات وتشويهات بحق عبد الحميد ، حتى تمكنوا من خلعه ، ومن ثم إلغاء الخلافة في اسطنبول وقطع كل صلة مع الإسلام والعرب •

هذا الحديث يطول ، والنقاش فيه يطول •• ولكننا أوردناها ملاحظة إلى جرجي ليعلم أن روايته تعظيم وتقديس ليهود الدونمة ، وترداد لما أشاعته المحافل الماسونية ـ وجرجي منها طبعاً ـ فلا غرابة أن يكرر جرجي في روايته هذه عبارات :

[ظلم وظالمون ، جاسوسية ، غدر واستبداد ، طاغية ، القتل بالظن ، السر

الخفية ٠٠] ، مئات المرات ، بل قالها في الصفحة الواحدة خمس مرات أو ست أو سبع كما هي الحال في ص : ٧٤ / ٧٥ / ٧٦ / ٧٧ ٠

لقد قال جرجي العبارات السابقة التي بين قوسين لا على سبيل الحصر في الصفحات التالية :

٣ / ٥ / ٧ / ٩ / ١٣ / ١٦ / ١٩ / ٢٠ / ٢٨ / ٢٩ / ٣٠ / ٣١ / ٣٤ / ٤٦ / ٤٧ / ٤٨ / ٥٠ / ٥١ / ٥٢ / ٥٣ / ٥٥ / ٥٦ / ٥٧ / ٥٩ / ٦١ / ٦٢ / ٧١ / ٧٢ / ٧٤ / ٧٥ / ٧٦ / ٧٧ / ٨١ / ٨٤ / ٨٥ / ٩٨ / ٩٩ / ١٠٥ / ١٠٧ / ١١٠ / ١١٥ / ١١٦ / ١١٩ / ١٢٣ / ١٢٤ / ١٢٥ / ١٢٧ / ١٢٨ / ١٢٩ / ١٣٦ / ١٤٣ / ١٤٤ / ١٤٥ / ١٥١ / ١٥٢ / ١٥٣ / ١٥٤ / ١٥٥ / ١٥٧ / ١٥٩ / ١٦١ / ١٦٣ / ١٧١ / ١٧٣ / ١٧٦ ٠٠ هذه الصفحات فيها والأكثر من مرة : ظلم وظالمين ، جاسوسية ، غدر واستبداد ، طاغية، القتل بالظن ، السر الخفية ٠٠ بالإضافـة إلى إغراق الأفراد في البوسفور ص : ٦ / ١٠ / ٢٠ / ٤٦ / ١٤١ ٠٠ ومع كل أسف لم يذكر التاريخ اسم واحد ممن ألقوا في البوسفور وحسبه ونسبه أو حتى فلان بن فلان يكفينا !؟!

وعلى عجالة ٠٠ نسجل هذه الملاحظات بعدما تقدم :

١ً ــ شيرين طبعاً ملكة جمال كعادة جرجي في كل رواياته :

ــ ص : ٤ : « وكانت شيرين ذات جمال ساحر فتان ، وفي عينيها ما ينم على الذكاء وسرعة الخاطر وشـدة عاطفة الحب ، وكانت طويلة القامة مع اعتـدال متناسب ، والصحة بادية في محياها ، وقوة الإرادة ظاهرة حول فمهـا ، لا ينظر إليها ناظر إلاّ هابها ، وقد زادها العلم رونقاً وطلاوة لأنها تثقفت أحسن تثقيف ، وهي تحسن التركية والفرنسية والرومية » ٠

ــ ص : ٩ : « وكلما تصوّر عيني شيرين ومبسمها خفق قلبه » ٠

ص : ١٠ : « افتتن بجمالها فصبر » •

ص : ١١ : « فإنها والحق يقال كاملة الأوصاف » •

٢ً ــ وعبارات الغرام في « الانقلاب العثماني » منها :

ص : ٣١ : « لا تخف يا حبيبي إني ثابتة على ودادك متفانية في حبك ، وإن يد ذلك المنافق لأقصر من أن تنال مني شعرة ، وان يحظى مني بنظرة » •

ص : ٣٩ : « وللمرأة روح تبثها في قلب الرجل فتنبه عقله ، وتثير همته ، ويصبح طوع إرادتها ، يحب ما تحب ، ويتفانى في سبيل ما يرضيها ، فإذا كانت قوية المبدأ ، سامية الخلق ، شريفة الإحساس ، صعدت به إلى سماء المجد ، وأصبح همه التخلق بتلك الأخلاق ، وكانت شيرين مفطورة على حب الحرية ، فكيف لا يعشقها رامز ويتفانى في نصرتها ؟• وكم من قائد يخوض ساحة الوغى ويعرّض حياته للخطر ، وهو لا يرجو من وراء ذلك إلا ابتسامة أو كلمة إعجاب من حبيبته ! « حِكَم » ؟! وكم من عالم أو كاتب أو جواد أو مصلح يشقى في جهاده التماساً لرضا حبيبة عاقلة فطرت على حب هذه الفضائل ! فيا لسعادة الأُمة التي تسمو فيها أخلاق المرأة حتى تعشق الفضائل فتكون عوناً للرجل على المبرات أو الحسنات أو السعي في سبيل الحق والحرية إذ تكون محرضة له ، تستنهض همته بنظرة أو كلمة •• » •

ص : ١٣٥ : « اسمحي لي ياحبيبتي أن أقول بحرية •• إن ما أراه فيك لا يكون إلا في المحبين » •

ص : ١٤٤ : « إن المحب لا يرضى أن ينال الدنيا كلها فداء لحبيبه » •

٣ً ــ أما عبارات الانتقام والنقمة فمنها :

ص : ٦ : « لكنني سأنتقم له ، قال ذلك وصر بأسنانه ، وكاد الدمع يتناثر من عينيه » •

ص : ١٨ : « نريد أن تتدخل في كل شيء ، ونعمل على هوانا ، حتى صرنا نطلب أن نشارك سلطاننا في الحكومة ، وإذا أبى علينا ذلك نقمنا عليه وأردنا قتله » •

ص : ٥٧ : « إني سأنتقم منهم شر انتقام ! » •

٤ً ـ جعل جرجي حياة المجتمع في الروايات السابقة : تنجيم ، ساحرة كاهنة •• وهنا « مندل » بالإضافة للمنجمين والسحر ••

ص : ٦٦ : « كيف أُحبها وقد ظهر في هذا المندل أنه اذا جاءني منها غلام سيكون شؤماً علي ، لا ينبغي أن أقترب منها •• إن الحب شيء والملك شيء آخر » •

ص : ٧٠ : عبد الحميد في مجلس التنجيم والمندل ؟!!

ص : ٧٢ : تنجيم ••

ص : ١٤٦ : « إن بعض المنجمين تنبأ له بأن سقوط دولته سيكون على يد ولد منه تلده امرأة أرمنية ، فلما علم بحملك رغم الوسائل التي اتخذها أصبح همه قتلك ، وعهد في ذلك إليّ » •

ص : ١٧٣ : «وعمد إلى استطلاع الغيب على أيدي المشايخ وهم يطمئنونه» •

ص : ١٧٤ : « إن تنجيم المنجمين قد صدق ، ولم يبقَ لك في السيادة مأرب من هذه الساعة •• » •

٥ً ـ بالإضافة إلى قراءة أفكار الناس ، يروي لنا جرجي حتى ما رأوه في المنام :

ص : ٢٢ : تبسَّم ولسان حاله يقول : « اسألوني عن فحواها » ـ عن فحوى رسالة ـ •

ص : ٢٩ : هز رأسه ، وقلب شفته ، ولسان حاله يقول : « هذا هو الجنون بعينــه » •

ص : ٩٦ : « فانبسطت أسِرّةُ عبد الحميد وهز رأسه ولسان حاله يقول : « قد ظفرنا بالمطلوب » •

ص : ١١٣ : « ثم ناجى نفسه قائلا : ظن ذلك الشاب أني وثقت به وبوعده، وسيزداد ثقة بصدقي متى أطلقت أباه ! » •

ص : ١٧٤ : « وما زال في أمثال هذه الهواجس ، وقد أخذ التعب منه مأخذاً عظيماً ، فغلب عليــه النعاس ونام ، فتوالت عليــه الأحلام المزعجة ، فتراءت له « القادين » ج تحمل طفلها على ذراعها وتقول له : هذا هو ابني وابنك ، فقد أفل نجم سعدك ، دع الملك لأهله ، ثم تراءى له أن البوسفور قد جف ماؤه ، وانكشف قاعه ، وقد نبتت جثث القتلى بين صخوره كالاسفنج ، وكل اسفنجة تشبه واحداً من قتلاه قد حملق بعينيه فيه ، وأخيراً رأى مدحت عائداً من الطائف يدرج على الأرض جثة بلا رأس ، حتى وصل إلى باب القصر ، فإذا برأسه قد تدحرج مــن مخبئه واستقر على الجثة بين الكتفين ، وأخذ في توبيخه ، فذكّره بأمور كانت بينهما لا يعرفهما سواهما ، فأجفل واستيقظ ، ثم عاد فنام وعادت إليه الأحلام »•

بمثل هذا الهراء يكتب تاريخ الإسلام ؟!!

٥ً ــ يسمي جرجي يهود الدونمة « أحراراً » ، ص : ٢٩/٤٢ •• ويسمي جمعيتهم في ص : ١٠٩ / ١٤٦ / ١٦٤ •• بجمعية « الاتحاد والترقي المقدسة »• ويعترف جرجي بأنهــم « ماسون » في ص : / ١١٨ / حيث يصف محفلهــم ، ويتكلم عن أهداف الماسونية في ص : / ١١٩ / : « نيل الدستور ، وإنقاذ الدولة من الدمار بالطرق السلمية ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً » •

هذا دجل وكذب •• كان هدفهم الوصول إلى هدم الدولة العثمانية ليصلوا إلى فلسطين كوطن قومي لليهود !؟!

٦ً ــ وفي ص : ١٦ : يصور عبد الحميد : « إنه لا يفوته وقت صلاة مطلقاً : وفي الأستانة ألوف من الناس عائشون من بقايا مطبخه ، فلو أقفلت يلدز الآن لمات هؤلاء جوعاً ، ثم كيف يستطيعون مقاومة خليفة الرسول ﷺ ؟

لاحظ الصورة المشوّهة : لا تفوته صلاة مطلقاً ، فهو خليفة الرسول ﷺ ، مع إسراف وترف « أُلوف من الناس عائشون من بقايا مطبخه » !!

ويقول في ص : ٤٢ : « كانت الأستانة دار الخلافة ، ومصدر متاعب الأحرار ، ومرجع آمالهم ، وفيها قصر يلدز مدفن الأفكار الحرة ، وبؤرة الجواسيس ، ومسرح أهل المطامع والأغراض •• » •

دار الخلافة مفهوم إسلامي بحت ، ماذا فيه : تجسس ومطامع وأهل الأغراض •• وهو مصدر متاعب الأحرار ، الأحرار هذه الكلمة التي وصف بها يهود الدونمة ، ومرجع آمالهم ومدفن أفكارهم !؟!

وفي ص : ٦٠ : دقة جرجي عندما يصف لوحة في قصر عبد الحميد « نساء عاريات يرقصن أو يتخالعن » •

وعندما تحمل فتاة في القصر ــ كما ادعى جرجي ــ يغضب عبد الحميد ويقول : « ويلاه ! بماذا ينبغي أن أشتغل ؟! أبالخوارق المارقين ؟ أم بالنساء في دار الحريم ؟ أم بمطالعة التقارير من الجواسيس وعلى الجواسيس ؟! » •

هكذا أراد جرجي حياة عبد الحميد ، لا كما كانت ، بل كما تخيلها ؟!؟

٧ً ــ وأغرب الغرائب أن يخترع جرجي أبطالاً خياليين ينسج من حولهم قصة غرام وحب دافق يخلّلها ببعض الأحداث التاريخية مشوّهة ••

ولكننا ما كنا نظن أو يخطر لنا ببال أن يخترع جرجي أبطالاً برموز ؟!؟

قال في ص : ٧١ : [ع باشا] هكذا : ع باشا ؟!؟ من هو ؟ من يعرفه ؟!؟

ـ القادين ج في ص : ١٣٠ / ١٣١ / ١٣٢ / ١٤٨ / ١٥٩ / ١٧٤ / ١٧٩ •

ـ الملازم ك في ص : ١٢١ / ١٢٦ / ١٢٨ / ١٢٩ / ١٥٣ •

ـ الدكتور ن في ص : ١٤٣ / ١٤٧ / ١٥١ / ١٥٢ / ١٥٩ / ١٧٩ •

فتاريخكم يكتب رموزاً : ع ، ج ، ك ، ن أعرفتموهم ؟ كونوا على نهجهم، وتمثلوا بطولاتهم ، وسيروا على خطواتهم ؟!؟

انتقام ، جاسوسية ، نقمة ، جواري ، غناء ، ظلم وظالمون ، غدر واستبداد، طاغية ، القتل ظنّاً ••• هذا ما سجله جرجي منذ روايته الأُولى « فتاة غسّان » مروراً بأرمانوسة المصرية ، وعذراء قريش ، و ١٧ رمضان ، وغادة كربلاء ، والحجاج بن يوسف ، وفتح الأندلس ، وشارل وعبد الرحمن ، وأبي مسلم الخراساني ، والعباسة أخت الرشيد ، والأمين والمأمون ، وعروس فرغانة ، وأحمد بن طولون ، وعبد الرحمن الناصر ، وفتاة القيروان ، وصلاح الدين الأيوبي ، وشجرة الدر ، ووصولاً إلى الانقلاب العثماني ••

والسؤال الذي يفرض نفسه على كل قارىء عاقل : متى قامت هذه الأمة بفتوحاتها ؟!؟ ومتى أقامت صرح الحضارة العربية الإسلامية التي عمت معظم القارات الثلاث ؟!؟

متى سطرنا تاريخنا الذي فيه خالد وسعد والغافقي وقتيبة والسمح بن مالك الخولاني ومحمد بن القاسم الثقفي وصلاح الدين الأيوبي والملك المظفر قطز ونور الدين الشهيد ؟!! والذي فيه ابن الهيثم وابن خلدون وابن سينا وابن زهر

والإدريسي والبيروني والبخاري والخوارزمي والرازي والشافعي والفارابي والكندي والمسعودي وجابر بن حيَّان ..؟!؟

متى قدمنا العلم والحضارة إلى أوربة ؟!؟

متى رفدنا نهر الحضارة بالفلك والرياضيات والجغرافية والطب وبالمخترعات ؟!؟

في « روايات تاريخ الاسلام » لم نقم بشيء يذكر مما سبق ؟!؟

فأين تراثكم يا عرب ؟!؟

أسير المتمهدي

★ « يا للعجب منك يا صاح ! كيف تكون شابا ذكيا عاقلا تعيش في عصر التمدن، ثم لا ترتاح للتكلم باللغة الفرنسية ؟ إنجميع المواطنين المتمدنين لا يتكلمون إلا بها الآن ، وقد أهملوا اللغة العربية لتعقدها وصعوبـة التلفظ بها ، فلا يتكلم بها الآن إلا البسطاء الذين لم يتثقفوا » .

جرجي .

قال جرجي في الصفحة الاولى عن هذه الرواية : « تتضمن وصف مصر والسودان في الربع الاخير من القرن الماضي ، ودسائس الدول الاجنبية التي أدت الى الثورة العرابية في مصر والثورة المهدية في السودان ، والاحتلال البريطاني لوادي النيل » .

أبطال الرواية كما هم في الصفحة الثانية :

* الخديو محمد توفيق	: خديو مصر
* أحمد عرابي باشا	: قائد الثورة العرابية
* محمد أحمد المهدي	: الخليفة المتمهدي
* هيكس باشا	: قائد الحملة المصرية
* غوردون باشا	: حكمدار السودان
* الامير عبد الحليم	: قائد جند المتمهدي
* ابراهيم	: موظف بالقنصلية الانجليزية
* سعدى	: زوجة ابراهيم

* الكابتن شفيق : أسير المتمهدي
* فــدوى : بنت أحد الباشوات الموراليين
* عــزيز : من أبناء الذوات
* بخيت : خادم شفيق
* أحمد : خادم فدوى

وخلاصة هذه الرواية ، قصة حب جامحة بين شخصين لا وجود لهما على مر الزمن ، فدوى تحب شفيقاً الفقير ويبادلها الحب ، المنافس لهما عزيز الغني ـ من أبناء الذوات ـ يحب فدوى وفدوى لا تحبه •• وعزيز هذا جاسوس للانكليز في حملة هيكس على السودان •

وهدف الرواية كما هو عنوان فصل صفحة ٦٦ : « اجتماع الحبيبين » ، وتحقق ذلك في نهاية الرواية في فصل صفحة ١٥٣ « لقاء الحبيبين » ، وخاتمة المطاف ، وآخر الرواية :

« واحتفل الباشا احتفالا شائقا بزفاف ابنته الى شفيق ، ودعا إليه عدداً غفيراً من أعيان القاهرة ونزلائها •

وعاشت الاسرة كلها بعد ذلك في رغد وسعادة الى أن قضى الله ما شاء »، ص ١٦٠ •

من خلال حب فدوى وشفيق ، يدخل جرجي أخبار المهدي مشوّهة • ونلاحظ التسمية :

« المتمهدي » أي الدّعي الكاذب ، منتحل صفة كما يراه جرجي !!

* * *

ونكتب الملاحظات التالية بعد أن نقرر أن جرجي لــن يكون موضوعياً

كعادته ، لكنه هنا يظهر بغضه وانحيازه للانكليز المستعمرين ــ وهذا برأيي غباء وهفوة كبيرة ــ عندما جعل عنوان الرواية « المتمهدي » ، فجرجي بذلك يظهر بغضه وحقده على المهدي وثورته ، فكيف نقبل ما سيكتبه عنه ؟!!

ومع ذلك ندوّن الملاحظات التالية :

١ً ــ يبرر جرجي التدخل الاجنبي في مصر والسودان في ص٤٧:«وماالذي أوجب تدخل هاتين الدولتين في مصالح البلاد ؟ »(١) ،والجواب هو : « لأن لهما على هذه الديار ديناً ، فمحافظتهما عليها محافظة على حقوقهما » .

فالتدخل العسكري الانكليزي للمحافظة على مصر والسودان !! أيقول بهذا عاقل موضوعي ؟!

وخلال الرواية يجعل جرجي شعور القارىء مع الانكليز ومع حملتهم للقضاء على ثورة المهدي ، ص ١٢٢ « فأوجس خيفة من أن يكونوا قد ظفروا بالحملة الانجليزية » .

وبخاصة اذا علمنا أن المهدي وأنصاره بعرف جرجي : شراذم عصاة .

ص ٨٠ : « وبقي هيكس باشا في الخرطوم مكتفياً بإرسال بعض الجند لمقاتلة شراذم العصاة في أماكن مختلفة الى عقد النية على المسير لافتتاح كردفان واستخلاص الأبيّض عاصمتها ».

ص ١٢٥ : « وصل الى المدافع التي أطلقها العصاة » .

ص ١٣١ : « وأشار عليه بألاّ يمضي اليها لانها في قبضة العصاة ».

المهديون عصاة .. والانكليز بالتالي أصحاب حق .. ولكن جرجي ماقال

---

(١) يشير جرجي هنا الى التدخل الثنائي الانكليزي الافرنسي في شؤون مصر بعد عجزها عنسداد الديون أيام الخديوي اسماعيل .

مرة واحدة سبب هذا العصيان ، أو سبب وجود الانكليز في السودان ؟

هؤلاء « العصاة » في عرف جرجي •• يحاربون مستعمراً أجنبياً عاملهم معاملة العبيد الأرقاء ، فكيف يسميهم « عصاة » ؟!

٢ً ـ قال جرجي في ص ١٤ : « يا للعجب منك ياصاح ! كيف تكون شاباً ذكياً عاقلا تعيش في عصر التمدن ، ثم لاترتاح للتكلم باللغة الفرنسية ؟! إن جميع المواطنين المتمدنين لايتكلمون إلا بها الآن ، وقد أهملوا اللغة العربية لتعقدها وصعوبة التلفظ بها ، فلا يتكلم بها الآن إلا البسطاء الذين لم يتثقوا » •

غريب عجيب هذا الرأي ، وهذا التناقض •• البسطاء الذين لم يتثقفوا ينطقون بالعربية مع تعقدها وصعوبة التلفظ بها ؟! أما المتمدنون الذين تعلموا وتثقفوا فلا يستطيعون التلفظ بها لأنهم لم يستطيعوا تجاوز الصعوبة والتعقيد •• فتكلموا بالفرنسية لغة عصر التمدن ! إن أعدى أعداء الامة العربية ، لو أردنا منه قولا يدل على عدائه المرير لأمتنا ، لما نطق إلا بما قاله جرجي في عبارته السابقة ؟!

والتمعن بهذا القول •• يغني عن التعليق !

٣ً ـ ثورة المهدي صفحة مشرقة في تاريخ أمتنا الحديث[1] •• وإخمادها عند جرجي شرف وفخار ، يقول جرجي على لسان شفيق : « إني ذاهب لأداء واجبي ، وسأعود بإذن الله مكتسباً فخراً » ،« إني لم أتقلد هذا السيف يافدوى إلا لكي أنال شرفاً يجعلني جديراً بك » ، « لو أردت مطاوعة قلبي يا عزيزتي ما كلفتك هذا العناء ، وانما الامر أمر الشرف والشهامة اللذين أنا عبد رقيق لهما » ، ص ٧٧ •

(١) راجع « الإسلام وحركات التحرر العربية » ، السودان : ثورة محمد أحمد المهدي •

نيل الشرف ، كسب الفخار ، والشرف والشهامة •• باشتراك شفيق بحملة هيكس للقضاء على ثورة المهدي !!

٤ً ـ يشـوّه جرجي موقف العلماء الذين جاهدوا مـع ثورة عرابي ، ويصورهم بما يلي : « كما علم بخيت أن جماعة مـن المشايخ طافوا بالشوارع وعلى صدورهم مآزر ملونة ، وبأيديهم مباخر وهم يهتفون داعين لعرابي وحزبه، وحبوط مساعي الافرنج » ، ص ٥٤ •

نسي جرجي موقف الشيخ محمد عبده مثلا ؟! يذكر صاحب « الأعلام »: [ولما احتل الانجليز مصر ناوأهم وشارك في مناصرة الثورة العرابية ، فسجن ثلاثة أشهر للتحقيق ، ونفي الى بلاد الشام][1] •

أنسي جرجي عبد الله النديم ، وحسن العدوي ومحمـد عليش ؟! الذين ملؤوا مصر دعوة وجهادا ؟!

٥ً ـ يصور الدراويش أنصار المهدي بالسذج البسطاء الاغبياء •• وهذا تضامن فكري ، والتزام روحي مع أعدائهم الانكليز ••

ص ٨٢ : « وبعد قليل رأى أفواجاً من الدراويش تسير مهرولة ، ويتقدمها أربعة يحمل كل اثنين منهم آنية كبيرة من النحاس شُدَّ عليها رق من الجلد ، ومعهما ثالث ينقر عليها نقرات تقلق الاذن ، ولكن الدراويش يطربون لها »•

ص ٨٣ : « هذا منشور من سيدنا الإمام المهدي صلوات الله عليه »!!

ص ٨٨ : شفيق جاسوس للانكليز •• يدخل أينما يشاء ، ولا يلفت نظر أحد من الانصار !! قبض عليه المهديون ، فتظاهر أنه منهم مؤمن بدعوتهم حفظاً لحياته ، فأحبوه ، ودخل في خدمتهم •• وبدأ يتجسس للانكليز •

(١) الاعلام ، جـ : ٧ ، ص : ١٣٠ •

وفي ص ٨٩ : راهب دير [جبل دلن] بلباس الدراويش يتجسس عليهم ••

وفي ص ٩٠ : « رأى شفيق حلماً قصَّه على الدراويش فولوه منصباً يليق بعلمه ومعارفه ! »

ص ٩٥ : التفٌ حول المهدي « العامة » من الناس •

ص ١٢٩ : شفيق — بطل الرواية الخيالي — يملك لباسين ، لباس الدراويش ولباس الانكليز « الخواجات » يلبس أحدهما ويحتفظ بالآخر ليذهب متى شاء وحيث شاء ، دون حراسة ، ولا يقظة ••

ص ١٣٠ : عرف شفيق اصطلاحات الدراويش في حديثهم وصلاتهم وسائر أحوالهم •• حتى « لحس أصابعهم »!!

٦ً — من يقرأ كتاب الله عز وجل في مشارق الارض وفي مغاربها لن يرى سورة جديدة ذكرها جرجي في ص ٩٣ ، مع نصها ، فهي من قصار السور !! هذا نصـــها :

[وقف أحد الخلفاء — خلفاء المهدي — يلقِّن الأسرى سورة المبايعة ، وهم يرددونها بعده ، حانين رؤوسهم إجلالا ، وهي : « بسم الله الرحمن الرحيم ، بايعنا الله ورسوله ومهـــديه ، بعنا أرواحنا وأموالنا وعيالنا في سبيل الله ، فلا نهرب من الجهاد ، ولا نزني ، ولانسرق ، ولا نشرب الخمر ، ولا نعصـــيه في معــروف »] •

هـــذه هي السورة الجديدة في القرآن الكريم « ســـورة المبايعة » ، وهذا نصها ••

أفبعد هذا الإفك والبهتان على إسلامنا وقرآننا نبقي كتب جرجي زيدان بين أيدي الناشئة ؟!

٧ً ــ استمراراً لرواية «الانقلاب العثماني» تعذّر على جرجي ايجاد أسماء لشخصياته الخيالية ، وهنا في « أسير المتمهدي » : الدكتور (ن) ! في الصفحات ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١١٠ ، ١١٦ •

٨ً ــ شفيق في ص ٢٨ « من مستخدمي قنصلية انجلترا » •

وفي ص ٥٩ : يتقن شـفيق اللغتين العـربية والانجليزية ليقوم بدور الجاسوس المترجم •

وفي ص ٧١ : يركز جرجي على أن شفيقاً هذا مسلم « يقضي في خـدمة الحكومة الانجليزية جل عمره » •

هذه الشخصية ، هي شخصية « جرجي » ذاته ، فهو من مستخدمي انجلترا •• في قلم استخباراتها ، وهو الذي أتقن اللغتين ليقوم بدور الجاسوس المترجم •• وهو الذي رافق الحملة الانكليزية بعدها الى السودان••ووقع «بالاسقاط» وهو إلصاق التهم السيئة بالآخرين •• ليترفع عن فعلته الدنيئة العميلة •• فقال عن شفيق انه مسلم ويقوم بخدمة الانكليز !!

٩ً ــ جمال البطلة في ص ٩ ، ١٠ ، ١٧ ، ٢٥ ، ٣٥ ، ٤٤ ، ٥٩ ، ١٠١ ، ١٥٧ ، ١٥٨ •• منها :

ص ٩ : « وله ابنة واحدة بارعة الجمال »•

ص ١٠ :« على رأسها اللثام « اليشمك » تحته وجه كأنه البدر بهاء »•

ص ٢٥ : « فتاة غنية ، وقد زينها الله بكمال الذات والصفات » •

ص ٣٥ : « إن الله اختصك بكمال الذات والصفات ، فلا يحيط بوصـفك محيط ، لصفاء عنصرك ، وسمو أدبك » •

ص ٥٩ : « هي على ما تريد من الكمال والجمال » •

ــ ص ١٥٧/١٥٨ : وصف فدوى بالملاك الارضي !!

١٠ً ــ أما عبارات الانتقام ، والدسائس ، وقطاع الطرق واللصوص •• فهي من الكثرة بمكان ، ص : ٩ ، ١٢، ٢٠ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٨ ، ٧٢، ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١٤٣، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٩ •• منها على سبيل المثال :

ــ ص ١٤٣ : عنوان الفصل : « معركة مع قطاع الطرق » ، وكرر كلمة لصوص في ص ١٤٦ ، خمس مرات •

ــ ص ١٥٥ : فكانا مسرورين بذلك لانهما اتفقا على الانتقام •

ــ ص ١٥٩ : أما بخيت فعاد بعد شفاء عزيز الى حب الانتقام منه ••

وأخيراً •• حاول جرجي أن يظهر الجنود الذين يحاربون في السودان أنهم جنود عرابي (ص ١٣١/١٣٢) وهذا منتهى المغالطة التاريخية •

إن عرابي والمهدي حاربا عدواً واحداً هو المستعمر الانكليزي ، ومن الحقائق التاريخية أن المهدي لما حاصر الخرطوم،وساءت حال غوردون ، وسقطت الخرطوم بيد الانصار يوم الاثنين ٢٦/١/١٨٨٥ م ، قتل غوردون •• فغضب المهدي •• لقد أراده حياً ليفتدي به عرابي من أسر الانكليز ، وليخرجه من منفاه البعيد في سيلان ليساعده في فتح مصر ! فإن بين الزعيمين عواطف متبادلة ، فكلاهما عالم مسلم وحّدت العقيدة بينهما •

فكيف قاتل العرابيون المهديين ؟!

قاتلوهم في خيال وافتراءات وتشويهات جرجي !!

★

★ ★ ★

★ ★

استبداد المماليك

★ شعب في منتهى البساطة والسذاجة..
حياته تنجيم ومنـــدل ورمل وسحر وقراءة الطالع ؟!

جرجي .

وهذه الرواية : « تشرح أحوال مصر وسورية في أواخر القرن الماضي ، وحكم علي بك الكبير ومعاصريه من مماليك مصر وأمراء الشام ، والحرب بين تركيا وروسيا ، وغير ذلك من الامور السياسية والاجتماعية » ، ص ١ .

والابطال في الصفحة الثانية كالتالي :

* علي بك الكبير	: شيخ البلد في مصر
* عثمان باشا	: والي مصر التركي
* محمد بك أبو الذهب	: خليفة علي بك وصهره
* الامير يوسف شهاب	: حاكم لبنان
* الشيخ ضاهر الزيداني	: حاكم عكا
* الاميرال أورلوف	: قائد الاسطول الروسي
* السيدة نفيسة المملوكية	: زوجة علي بك
* السيد المحروقي	: من السادة الاشراف بمصر
* السيد عبد الرحمن	: تاجر مصري كبير
* حســن	: ابن السيد عبد الرحمن
* ســالمة	: زوجة السيد عبد الرحمن

* علـــي : خادم الأسرة
* عماد الدين : رسول الشيخ ضاهر

في هذه الرواية يعرض جرجي فترة سيئة من حكم المماليك : ظلم للرعية ، بغي ، لصوص ، جاسوسية ، رشــوة ، نهب وسلب ، انتقام ونقمة .. متناسياً جرجي فضلهم في رد الحملة الصليبية الثامنة ، ومتناسياً انتصارهم في عين جالوت مما أنقذ الحضارة من دمار محقّق على يد التتار .

هذا العرض لحكم المماليك في أواخر أيامهم أظهره من خلال مأساة أسرة شخص (ما) اسمه عبد الرحمن ، زوجه في مكان (واسمها سالمة) ، وابنه حسن في مكان آخر .. وهدف هذه الرواية جمع هذه الأسرة « الخيالية » ، وقد تم ذلك بعد انتقال الحكم من علي بك الى محمد أبي الذهب :

« واستطاع السيد عبد الرحمن بعد أشهر من عودته أن يستـــرد أملاكه ومكانته التجارية في وكالة الليمون ، كما عاد حسن الى اتمام دراسته الطبية في البيمارستان المنصوري ، وعاش الجميع في سعادة واطمئنان » ، [آخر فقــرة في الرواية ص : ١٤٦] .

ومـــن خلال هذه الرواية أظهـــر جرجي صليبيته بشكل يثـــير الانتباه والاشمئزاز .. فكل الاحداث من ص ٢٨ وحتى ١٣٩ في الاديرة مع القسس والرهبان وفي الكنائس حيث الامان والاطمئنان ..

وتجلّت طائفيته في الصفحات ٢٨ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ [حيث جعل فصــلاً بعنوان « الشيخ المجذوب »] ٦٣ ، ٧٦ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٩ .

فالاحداث كلها في الاديرة .. وكلمات التبجيل والحكمة والفهم والتقدير والتبرك .. للقسس والرهبان وحدهم .. في روايات « تاريخ الاسلام »!!

ولو أردنا تسجيل بعض الفقرات هنا لكتبنا صفحات كاملة واكتفينا بإيراد أرقامها قبلاً •

وفي ص ٦٣ : قال جرجي : « ولم يستيقظا إلا على أذان الفجر تنطلق به أصوات المؤذنين من الجامع الازهر والمساجد القريبة منه ملعلعة في الفضاء» •

وكان الاجدر أن يقول (تشق عنان الفضاء) ، (تتعالى في أجواء الفضاء)، (تدوي في الفضاء) •• لان « ملعلعة » عامية تعني الصخب والضوضاء والغوغائية ••

وفي لسان العرب ، جـ ٨ ، ص ٣١٩ : اللّعاعَةُ : الهِنْدباء ، واللّعاع: أول النبت ، واللّعاعَةُ : الكلأ الخفيف ، أو ما بقي من السقاء ، وفي الإناء لعاعة" أي جَرْعَة" من الشراب ، ولُعَاعُ الشمس : السرابُ ، ولَعْلَعَ عَظمهُ ولحمَهُ لَعْلَعةً : كسره فتكسَّر ، وتلعلع هو : تكسر ، وتلعلع من الجوع والعطش : تضوَّر ، وتلعلع الرجل : ضَعُفَ ، ولَعْ لَعْ : زجر ••

أما البغي والظلم واللصوص والرشوة والنهب والسلب •• فهي خارج الأديرة !! وكرر جرجي هذه الكلمات عشرات المرات ، مثل الصفحات:

١٠ / ١٣ / ١٧ / ١٨ / ١٩ / ٢٠ / ٢٣ / ٢٧ / ٣٤ / ٥٢ / ٥٨ / ٦٥ / ٦٧ / ٦٩ / ٧٠ / ٧٢ / ٧٣ / ٧٤ / ٧٥ / ٨٣ / ٨٩ / ٩٢ / ١٠٤ / ١٠٧ / ١٠٨ / ١١٣ / ١١٤ / ١١٥ / ١١٩ / ١٢٠ / ١٣٦ / ١٣٧ / ١٤٠ /•• علماً أنه كررها في الصفحة الواحدة عدة مرات !؟!

* والانتقام في الصفحات : [٥/١٧/٣٩/٤٩/١١٢/١٤٦] •

* وفي هذه الرواية ناهيك عن التنجيم والسحر ، قراءة الطالع •• وذلك في

الصفحات : ٢٨ / ٤٢ / ٤٣ / ٩٥ / ٩٧ / ٩٩ / ١٠١ / ١٢٨ / ١٢٩ / ١٣٢ / ١٣٣ / ١٣٤ •

ـ ص : ٤٢ : « ليس في الجراب ما يباع ، ولكن فيه كتباً سحرية أستعين بها على قراءة الطوالع ومعرفة ما يخبئه المستقبل ، وهذه صناعتي التي ورثتها عن آبائي وأجدادي » •

ـ ص : ٤٣ : « وكان الترجمان من أهل قبرص ، وسمع بالمغاربة الـذين يزاولون التنجيم والطب الروحاني وضرب الرمل وما إلى ذلك » •

ـ ص : ٩٧ : « يلوح لي أن مهنة التنجيم رائجة في مصر ، لهذا عدت من هناك ومعك تابع ! » •

ـ ص : ١٠١ : « أما فنون التنجيم فما أحسب أن في الدنيـا من هو أعلم مني بأسرارها وخفاياها » •

ـ ص : ١٢٨ : « أضرب له الرمل وأستخرج له الأسرار والمغيبات » •

ـ ص : ١٣٢ : « يخصّص ضاهر العمر لضارب الرمل المنجم مسكناً خاصاً في القلعة ، ويخلع عليه أثمن الخلع ، ويجاب كل طلب له •• » •

شعب في منتهى البساطة والسذاجة •• حياته تنجيم ومندل ورمل وسحر وقراءة الطالع •؟!؟•

* ولا يفوتنا ونحن نطوي هذه الرواية التي تمت أحداثها في الأديرة مـع الرهبان والقسس بعيداً عن عنوانها : « استبداد المماليك » أن نذكر أن جرجي كعادته جعل السيدة نفيسة ملكة جمال ••

ـ ص : ٤٧ : « وكان لعلي بك في ذلك القصر زوجة رائعة الجمال اسمها نفيسـة » •

ـ ص : ٤٨ : « وهي مكتنزة الجسم ناصعة البياض مع حمرة خفيفة ، واسعة العينين ، رقيقة الشفتين ، مستقيمة الأنف ، وضّاحة الجبين ، ذهبية الشعر قد ضفرته ضفيرتين أرسلت إحداهما على صدرها والاخرى على ظهرها ، وغطت أعلاه بإكليل مرصّع ، فبدت غاية في الجمال والجلال » •

ونقضاً لاستبداد المماليك يذكر جرجي في ص : ٥٢ : « فأدرك الجنود أنها أم الفتى الذي سمعوا بأن علي بك أمر بإغراقه في الصباح ، وازدادوا رأفة بها ورثاء لمصابها ، ثم أخذوا في تعزيتها متنصلين من تبعة إغراق ابنها •• » •

مع أنه قال في ص : ٧٨ : « وهم لا يتورعون عن إنزال الأذى بأيّ إنسان ، بل لا يتورعون عن القتل إذا كان لهم من ورائه نفع بسيط » •

صورتان متناقضتان في رواية واحدة ••

ومجمل القول : إن رواية استبداد المماليك حشو كلام ، أظهر فيها جرجي مجتمعاً ساذجاً بسيطاً ، غارقاً في التنجيم والمندل ، والظلم واللصوصية ؟!؟

المملوك الشارد

✶ « فهؤلاء العرب ما زالوا من الخونة العاصين » .

جرجي .

هذه الروايــة : « تتضمن حوادث مصر وسوريــة وأحوالهما في النصف الأوّل من القرن التاسع عشر ، ومن أبطالها الأمير بشير الشهابي ، ومحمد علي باشا الكبير ، وابراهيم باشا ، وأمين بك » ، « ص : ١ » .

وأبطال الرواية كما هم في ص : ٢ :

* محمد علي باشا الكبير	: والي مصر .
* ابراهيم باشا	: ابن محمد علي وخليفته .
* اسماعيل باشا	: ابن محمد علي .
* الملك نمر	: ملك شندي في السودان .
* الأمير بشير الشهابي	: حاكم لبنان .
* أمين بك	: من أمراء المماليك .
* غريب	: ابن أمين بك .
* الأميران أمين وخليل	: ابنا الأمير بشير .
* عبد الله باشا الجزار	: والي عكا .
* جميلة	: زوجة أمين بك .
* سالم آغا	: من ضباط جيش ابراهيم .
* سعيد	: خادم أمين بك .

وهذه الرواية خلاصتها :

تقول جميلة ــ زوجة أمين بك ــ لسعيد ــ خادم أمين بك ــ ص : ٦٨ :

« اعلم أني ابنة أمير شهابي من قرية تقرب من هنا ، وكان عليه رحمة الله (لأني سمعت أنه توفي) يريد أن يزوجني بواحد من أولاد عمي لم أكن أحبه ، بل كنت أكره معاشرته رغم خطبتي له منذ ولادتي ، وقد وعد أبي بذلك أباه ، وأصرّ على الوفاء بوعده ، وكنت عند ذلك لا أتجاوز الثالثة عشرة من العمر ، فأضمرت التخلّص من معاشرة ذلك الخطيب البغيض ، وانتهزت فرصة مقـابلتي سيدك حين قدم إلى هذه الجهة مع بعض أقاربه الأمراء المماليك فراراً من الحملة الفرنسية التي فتحت مصر ففررت معه ، وكان شاباً لطيفاً فأحببته وتزوجت منه • أما كيف كان ذلك فقد فاتحني أبي في أمر الزواج بابن عمي في ذلك اليوم ، فلما سكت عن الجواب فهم أني راضية ، وبعد قليل خرج من البيت فجلست أفكر في أمري حتى ضجرت فخرجت الى الكروم ، ومكثت هناك مرتبكة حتى غربت الشمس ، فشاهدت جماعـة على خيول كأنهم مسافرون ، ولمحت بينهم سيد ك وجماعته ، فوقفت مذهولة وقد كدت أملّ الحياة ، فاقترب مني رجل منهم يسأل عن الناطور ليشتري عنباً،وكنت قد شاهدته مراراً قبل ذلك الوقت،فلم أخف منه، فلما عرفني قال : ما بالك هنـا أيتها السيدة ؟ فقلت : إني أتمشى بين الكروم ، فقال : تعالي معي لأوصلك إلى بيتك لأن الشمس قد غابت وقد يخشى عليك • فسرت معه وأنا لا أعلم ماذا أفعل ، فإذا به قد أخذني إلى جماعته وأنا لا أدري ، ثم رأيتهم يهمسون فيما بينهم ، وبعد قليل سألني سيد ك هل أقبل الزواج به ، فلم أجبه لأن الحياء غلب علي ، غير أني لشدة غيظي من والدي ورغبتي في الفرار من الحفرة التي حفرها لي رضيت بالمسير معهم في ظلام ذلك الليل ، وبقيت بضعة أيام ودموعي لا تجف ، وما زلنا سائرين حتى وصلنا إلى صيدا ، وهنا عقد سيد ك

فرانه بي ، ولما عاد إلى مصر أخذني معه ، ومازلت معه إلى أن كان ماتعلمه[1] ، ولذلك تراني أود إخفاء أمري لئلا أقع في بلاء أعظم ، لأن أبي كان قد أباح دمي، وكذلك الأمير بشير لأنه كان حاكماً على لبنان إذ ذاك أيضاً » .

وبقيت جميلة التي هي سلمى في اسمها الحقيقي تفتش عن زوجها : « وماأظن أن تجدد آمالي في بقاء زوجي حياً ، قائماً على الوهم فقط ، فهناك قرائن وأدلة كثيرة على ذلك ، من بينها ما عرفناه عن نجاة أحد أمراء المماليك من مذبحـــة القلعة ، ثم هذا المنديل الذي أتى به غريب من الرجل الذي أنقـــذه من الموت ، فإنه منديل زوجي ، وأخيراً .. ما ذكره الأمير أمس من أن الرجل الذي اختطفني لا يزال على قيد الحياة ، وهذا أكبر دليل عندي .. » ، [ص : ٧٧] .

وتستمر الرواية الزوجة جميلة (أو سلمى) في لبنان ، والزوج أمين بك في الصعيد ، لا يدري عنها شيئاً ، ولا تدري عنه شيئاً ..

وفي الصفحة الأخيرة « ص : ١٥٣ » ، وفي فقرتها الأخيرة يجتمع الشمل :

« وبالإجمال إن أمين بك وسلمى وسليماً وغريباً عدّوا أنفسهم من أسعـــد البشر بعد اجتماعهم ، وقد تزوّج الولدان واجتمع الشمل ..

وفي السنة الثانية توفي الأمير ودفن في الاستانة ، ولم يسمع أحد شيئاً عن عائلة أمين بك منذ ذلك الحين » . والسبب أن العائلة كلها خيالية لا وجود لها ؟!؟

ومن خلال هذه القصة الأسطورية أقحم جرجي بعض الأخبار التاريخية ، مثل : حملة محمد علي باشا بقيادة ابنه اسماعيل إلى السودان وأعالي النيـــل ، مذبحة القلعة ضد المماليك ، حملة ابراهيم باشا إلى سورية ، إمارة بشيرالشهابي..

* * *

(١) مذبحة المماليك في القلعة عام ١٨١١ م على يد محمد علي باشا .

وأهم الملاحظات بايجاز :

١ً ــ الأحداث كاملة في الأديرة ، ويوجّه الرواية القسس والرهبان « الأب المحترم » ، ولا تخلو صفحة من أديرة وقسس ورهبان : ٤ / ٥ / ٦ / ٧ / ٨ / ٩ / ١٠ / ١١ / ١٢ / ١٣ / ١٤ / ١٥ / ١٦ / ١٧ / ١٩ / ٢٠ / ٢٥ / ٥١ / ٧٣ / ٧٧ / ٧٨ / ٧٩ / ٨٠ / ٨١ / ١٤٧ / ١٤٨ / ١٥٢ ••

وهذا نموذج كتابة جرجي في هذه الرواية :

« وهناك في السفح المقابل لدير القمر كانت توجد قرية صغيرة تدعى (بيت الدين) فيها معبد لطائفة الدروز ، فابتاعها الأمير بشير وابتنى فيها دوراً ومتنزهات له ولأولاده ، وجلب إليها المياه فأصبحت من أبهى المناطق منظراً ، وأحسنها هواء•

وكان الى جوار بيت الدين دير منعزل ، فيه جماعة من الرهبان يقضون بعض نهارهم في العبادة ، وبعضه في أعمال حقول الدير من حرث وسقي وغرس وحصد وما إليها من إنتاج الجبن والزيت والخمر •

ففي مساء ذات يوم من أيام شهر ديسمبر سنة ١٨١٢ ، قضى الرهبان معظم نهارهم في جرف الثلوج المتراكمة على أسطح الدير ، ثم دخلوا حجرة فيه فأوقدوا فيها ناراً وأحدقوا بها يستدفئون ويتسامرون ، وهم متسربلون بعباءات مشدودة بمناطق حول أوساطهم •

ومع أنهم أغلقوا باب الحجرة ونوافذها ، كان يقطع حديثهم بين حين وآخر دوي الرعد وتساقط البرد على جدران الدير ونوافذه ، وقصف الرياح الزوبعية التي تكثر في فصل الشتاء •

وما زالوا يتجاذبون أطراف الحديث حتى قال رئيسهم : سمعت اليــوم حديثاً أقلقني ، وهو أن اثنين من بني معروف في قرية (بسكنتا) قتلا بطريرك

الكاثوليك أغناطيوس صروف الدمشقي بالقرب من قرية (زوق مكايل) • وقد تكدَّر الأمير بشير من ذلك كثيراً ، وهو الآن بسبيل أخذ القاتل ومعاونيه بأشد العقـاب •

فقال أحد الرهبان : ما أظن أن مثل هذه الخيانة الفظيعة قد حدثت إلا بعلم الأمير ، ولا يغرنّك تظاهره بالكدر ، فإن الشهابيين لا يهمهم قتل كل البطاركة لأنهم ليسوا من دينهم •

فقال الرئيس : لعلك لا تعلم أن الأمير اعتنق الديانة المسيحية سراً ؟•

فبغت الرهبان جميعاً وقال أحدهم : كيف كان ذلك ؟ وماذا يخشاه الأمير حتى كتم أمر تنصّره ؟

فقال الرئيس : إن إعلان تنصّره تترتب عليه أضرار مادية كبيرة له ، وهذا عدا ما يؤدي إليه إعلان تنصره من خروج بني شهاب كلهم عليـــه ، لاعتزازهم بانتسابهم إلى قريش ، ولعلكم ذاكرون كيف تعـرض للعـزل مرات في عهـد أحمد باشا الجزار •

فقال الراهب : لكن كيف يكون مسيحياً ولم نشاهده يزور كنيسة لقضاء الفروض الدينية ؟

فقال الرئيس : إن الأمير لم يهمل أداء الصــلاة المفروضة في ديننا ، وقــد خصص لذلك غرفة من غرف قصره ، فجعلها كنيسة يصلي فيها ، ولا يعرف ذلك إلا أفراد قليلون من أخص حاشيته •

فقال الراهب : أعتقد أن الدين لا يقر مثل هذه المراءاة ، ولا يجوز أن تكون المصالح الدنيوية الزائلة عقبة في سبل المتدينين المخلصين •

فقاطعه الرئيس قائلاً : اغضض من صوتك ، فللجدران آذان ، وانتقـام الأمير فظيع سريع كما هو معلوم •

فقهقه الراهب وقال : أين نحن وأين الأمير بشير ؟ إن بيننا وبينه أكثر مـن ميلين ؟

فقال الرئيس : هذا لا يمنع أن يعلم بكل كلمة وحركة هنا ، وفي أي مكان في أقاصي لبنان ، وهو جالس في قصره ! » ، [ص : ٤/٥] •

ص : ٦ : « قد أتينا أيها الأب المحترم من بلاد بعيدة » •

ص : ٩ : « تصوّر أيها الأب المحترم أيـة نكبة حلت بالأميرة المسكينة ونحن في عكا » •

٢ً ــ الانتقام ، الجواسيس ، اللصوص ، قطاع الطرق في الصفحـات : ٥ / ٧ / ١١ / ١٢ / ٢٠ / ٣٦ / ٣٩ / ٤٤ / ٤٦ / ٥١ / ٥٣ / ٧٠ / ١٠٣ / ١١٣ / ١٣٠ / ١٣١ / ١٣٣ / ١٤١ / ١٥٠ •

ص : ٧ : « كنت خائفاً أن يكون الطارق أحد جواسيسه » •

ص : ٤٦ : « إن بعض رجالي قبضوا على لصوص من قبيلته كانوا يقطعون الطريق » •

ص : ٥١ : « ولهذا رسخ في نفوسنا حب الانتقام منكم » •

٣ً ــ ذكر جرجي أن الشهابيين ينتسبون إلى قريش : « ص : ٣ و ٥ » • ولدى الرجوع إلى معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسـلامي « لزامباور » ، ص : ١٦٨/١٦٩ نجد شجرة نسب الشهابيين « بنو شهاب أُمراء لبنان » ، ونجد أنهم لا ينتسبون إلى قريش •

٤ً ــ جمال البطلة ذكره جرجي في الصفحات : ٦ / ١٢ / ١٦ / ٢٨ / ٥١ / ١٢٤ / ١٢٧ •• منها :

ص : ٦ : « وأماطت السيدة لثامها أثناء الأكل ، فبدا وجهها كأنه البدر ، ورغم دلائل التعب والشقاء والحزن كانت تتجلى فيه ملامح المهابة والجلال ، فعجب الرهبان من التناقض العظيم بين جمالها وبياضها الناصع وبين قبح وجه زميلها الأسود » •

ص : ١٦ : « ثم استوت على قدميها أمام الأمير كأنها من حور الجنان » •

ص : ٢٨ : « فأطل من النافذة فرأى امرأة كالبدر جمالاً •• » •

ص : ١٢٤ : « وفيما هو يهمّ بكشف ذراعه لغسل الدم ، إذا بفتاة مقبلة على الغرفة كأنها حورية من حور الجنان ، وعليها ثوب بسيط أبيض ناصع ، وهي طويلة القد رشيقة الحركات ، مع رزانة ووقار ، وعيناها سوداوان كبيرتان ، ولونها قمحي ، وشعرها أسود حالك قد ضفرته وأرسلته على ظهرها وكتفيها ، وتتجلّى على محياها ملامح البساطة والكمال مع ماهي فيه من غضاضة الشباب »•

ص : ١٢٧ : « وأعترف لك يا والدتي بأني قد علقت هذه الفتاة لما رأيت فيها من الكمال واللطف والرقة والجمال » •

٥ً ــ قال جرجي في ص ٦٦ : ان الأمير بشير الشهابي زار مصر •• ونحن نشك تاريخياً بهذه الزيارة ، لأن الأمير بشير كان من رجال وأتباع أحمد باشا الجزار عدو المصريين ؟!؟

٦ً ــ ومن عبارات الغرام الجرجية في هذه الرواية :

ص : ٧٦ : « وكانت كلما ذكرته يختلج قلبها وتصطك ركبتاها » •

ص : ١٢٨ : « أما غريب فلم يعد يستطيع صبراً على بعد الفتاة ، وأحسّ

أنه مشتاق إلى رؤيتها ، فإن تلك النظرة كانت كافية لارتباط القلبين •• » •

٧ً ــ قال جرجي في ص : ٨٣ عن حملة ابراهيم باشا إلى السودان إنهـا لإمداد اسماعيل •

والصواب : سار ابراهيم باشا بحملة لتأديب أمير شندي « نمر » ، الذي أحرق اسماعيل ، أي عندما سار ابراهيم إلى السودان كان أخوه اسماعيل بين الأموات !؟!

٨ً ــ يقول جرجي في ص : ١١٣ : إن بشير الشهابي اجتمع مـع ابراهيم باشا على أسوار عكا أثناء حصارها ••

وهذا خطأ تاريخي أيضاً ، مع أن بشيراً شخصية انتهازية تمالىء الأقوى ؟!

٩ً ــ لم يمر معنا من خلال عباداتنا وتلاوتنا لكتاب الله عز وجل آية باسم : « الآية الذهبية » ، « ص : ١٠٣ » ، ولاندري نحن ولاغيرنا ولا جرجي الذي كتبها ما مصدر « الآية الذهبية » هذه ؟!

١٠ً ــ وخاتمة المطاف في هذه الرواية ، اسمعوها يا عرب من لسان جرجي في الصفحة : ٣٦ :

« فهؤلاء العرب ما زالوا من الخونة العاصين » •

خانوا من ؟! وعصوا من ؟!

ما أغرب وأدهش أن نسمع سبتنا ونقرأهـا في كتب متداولة في أسواقنا بأسعار رمزية ، تروّج لها مؤسسات صليبية ؟!!

* * *
* *
*

جهاد المحبين

★ رواية غرامية تمثل ماساة من مآسي المحبين ، وما يقاســونه في سبيل الحب •• تحت عنوان « تاريخ الاسلام » •

جرجي •

فوق هذا العنوان « جهاد المحبين » ثلاث كلمات هي : « روايات تاريخ الإسلام » ، وتحت هذا العنوان في الصفحة الأولى : « رواية أدبية غرامية تصور مأســاة من مآسي المحبين ، وما يقاسونه في سبيل الحب ، ثم كيف يجزون على صبرهم ووفائهم ، وتدور الدوائر على أهل البغي والعدوان » •

هذه الرواية اللاأدبية الغرامية •• ما علاقتها بتاريخ الإسلام ؟!

* أبطالها خيالون ، نوردهم كما أوردهم جرجي ص : ٢ :

* سليم	: محام شباب بالقاهرة •
* حبيب	: موظف حكومي بالقاهرة ومقيم بحلوان
* سلمى	: خطيبة سليم •
* ادما	: خطيبة حبيب •
* شفيقة	: أخت حبيب •
* سليمان	: والد سلمى •
* سعيد	: والد ادما •
* فؤاد	: شقيق سليم ومقيم بالاسكندرية مع أمهما •
* داود	: تاجر اسكندري بالقاهرة •

* وردة : أرملة غنية بالاسكندرية •

* اميلي : ابنة وردة •

تبدأ الرواية هذه بفصل عنوانه « شقاء المحبين » ، سلمى وسليم ، وتنتهي بفصل عنوانه « اجتماع الشمل » ، وما بينهما •• فصول منها : خلوة مريبة ، قلبان يحترقان ••

أضاف جرجي إلى عبارات الغرام في الصفحات : ٣ / ٨ / ١١ / ١٢ / ١٥ / ٢١ / ٢٢ / ٢٤ / ٣٠ / ٣٢ / ٣٨ / ٤٠ / ٤٥ / ٥٥ / ٧٤ / ١١٣ / ١٢٠ •• ومنهـــا :

ـ ص : ٣ : « فلم تكن ترى بينهم إلا وجوهاً باسمة وقدوداً مائسة » •

ـ ص : ٨ : « يا شقيق الروح ومالك الفؤاد ••

أكتب إليك هذه الكلمات بغير إمضاء ، والقلب يخفق ، واليد ترتعش ، فإذا خفق قلبك ، وارتعشت يداك ، فلعلك تدرك بعض مالك في قلبي من المحبة التي كتمتها حتى طفحت ، ولعلك إذا عرفت ذلك أن ترثي لي ، وإلا فإنها شكوى أبثها لمن ملك قلبي مع بقاء أمري مكتوماً في ضميري عنه وعن ســـواه إلى أن يقضي الله بما يشـــاء » •

ـ ص : ١١ : « آه يا سلمى يا حبيبتي ومنى فؤادي •• إني أُحبك والله حبّاً لم أشعر بمثله لغيرك ، ولم أكن أعلم أن الحب يملك القلب ويتسلّط على العواطف الى هذا الحد • آه ما أحلى الحب وما أمره •• » •

وفي ص : ٢٢ : « إنني أخجل من ذكر سبب عدولي عن خطبـــة الفتـــاة ، ولا سيّما أن الأمر يمس العرض •• وجدتها جالسة بجانب شاب كنت أعـــدّه صديقاً للأسرة في هيئة مريبة ؟! » •

ـ ص : ٣٠ : « فرأت سلمى أن عليها أن تعزّي حبيبها وتواسيه ، فدنت منه وأمسكت يده بيد كادت تذوب لطفاً ، ونظرت إليه بعينيها الجميلتين مبتسمة وقالت : روحي فداك يا عزيزي ••

ولما أمسكت يده شعر بمجرى كهربائي بارد تخلّل أعضاءه •• » •

أضاف جرجي للنماذج السابقة « البكاء » الدائم في الرواية :

ـ ص : ١٢٩ : « واغرورقت عيناها بالدموع » •

ـ ص : ١٣٠ : « فلم تتمالك أدما نفسها من البكاء فرحاً بهـذه البشرى المفاجئة » •

ـ ص : ١٣٣ : « وما كادت تراهما حتى انفجرت باكية لفرط تأثرها •• » •

ـ ص : ١٣٤ : « فخرجت دامعة العينين ، وقلبها يكاد ينفطر غماً وحسرة » •

ـ ص : ١٣٦ : « فروت لهما الحكاية من أولها إلى آخرها وهي تبكي وتنتحب » •

ـ ص : ١٣٨ : « •• لكنها فاجأتهما مصادفة منذ ساعة وهمـا في خلوة يبكيان ويتشاكيان ، ويد كل منهما في يد الآخر » •

ـ ص : ١٤٤ : « فقبّلت سلمى يد السيدة شاكرة وعيناها تدمعان » •

غرام دافق عنيف ، ودموع غزيرة مدرارة •• يضاف إليهما أيضاً « انتقام، ووشايات ودسائس •• » في الصفحات : ٣٠ / ٤٤ / ٤٦ / ٩٩ ••

ومن أبطال الرواية الخياليين : الآنسة ادما ابنة الخواجة سعيد (ص:١٤)• والخواجة سليمان والد حبيبة سعيد « سلمى » ، (ص : ٢٠) •• كل ذلك في « روايات تاريخ الإسلام » •

وسلمى هذه كالعادة •• ملكة جمال ••

ـ ص : ١٧ : « وقد ازداد إعجاباً بجمال سلمى وكمالها » •

ـ ص : ٧٩ : « هي شابة في غاية من الجمال والكمال » •

* * *

بعد هذا العرض •• ماذا في هذه الرواية من « تاريخ الإسلام » •

لا تاريخ ، ولا إسلام •• وبخاصة إذا علمنا أن الأحداث دارت في الأديرة والكنائس[١] ، (ص : ٣٥/٣٦/٣٧) ••؟!؟

فارحموا تاريخكم يا عرب !؟!

★ ★ ★

(١) الذي يطّلع على (مذكرات جرجي زيدان) التي نشرتها « دار الكتاب الجديد » ١٩٦٨ ، يلمس صليبيته في عبارات لا تحتاج إلى تعليق ، منها :

ـ « وكثيراً ما كان عرب حوران المسيحيون يلجأون إلى لبنان فراراً من اضطهاد مسلميها »• ص : ٨

ـ « وأهل بيروت مشهورون بالنظافة وخصوصاً أبناء الطائفة الارثوذكسية » • ص : ٩ •

ـ « وأما كراكوز ـ وهو الذي يسميه المصريون خيال الظل ـ فقد كان له سوق رائجة في ذلك العهد » وإني لأستغرب الآن كيف كان الناس يحضرون لمشاهدة ذلك التمثيل ، فقد كان تمثيلاً بذيئاً كله فحش وسوء أدب ، ولا غرو فإنه كان يمثل آداب أحطّ طبقات بيروت والذين يعرفون في اصطلاح أهل المدينة (بزعران عصّور) وهم طائفة من المتشردين لا شغل لهم إلا الدعارة والسرقة والتحرش بأبناء السبيل ، يمشون تقريباً عراة الابدان ، ينامون في الطرق ، لعلهم بقية العيّارين في الدول الإسلامية ، ولكنهم من أبلغ ما بلغت إليه البشرية من الانحطاط شكلاً وكلاماً » ، ص : ٢٢ •

ـ وفي ص : ٢٣ يصف شعوره وانحيازه عند المباريات ليوسف صعب المسيحي ضد المسلمين :

« قلبي يخفق كل ما رأيته يثب من موقفه إلى موقف آخر ويضرب ويتلقى الضرب بخفة ومهارة » •

خاتمة
تاريخكم يا عرب

✶ « افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين ، لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم » •

(التوبة : ١٠٩/١١٠)

وهكذا •• قدمنا ملاحظاتنا حول روايات جرجي زيدان ، التي تعمَّد فيها التخريب والكذب لأجل تحقير العرب ، عن سوء قصد ، لا عن جهل ، فلا ينقص جرجي العلم بعد أن أوهم قرّاءه أنه عاد الى مصادر ومراجع عربية[١] •• لكنه تعمَّد التحريف ، وتعمَّد الدس والتشويه ، وتعمَّد فساد الاستنباط مع الطعن المدروس •• لعمالته الاجنبية ، ولتعصُّبه الديني ، الذي جعله ينظر الى تاريخنا العربي الاسلامي ، وآداب اللغة العربية ، بعين السخط والحقد •

ونحن في نقدنا الذي دوّناه فيما سبق •• لم نكن في موقف من يتصيَّد الاخطاء ويغمض عينه عن الصواب •• ولكننا كنا نبحث عن الصواب فلم نجده ، فاخترنا من الاخطاء بعضها وأهمها •• ونحن لانقول ان ما سجلناه هو كل مايقال عن روايات جرجي ، لا •• فمن يفتِّش يجد طعنات وأخطاء بقدر ما كتبناه وأكثر

---

(١) لما طلب من جرجي ذكر المصدر بعد اصداره الجزء الأول من « تاريخ التمدن الاسلامي » ، صار يكتب أسماء الكتب دون ذكر الطبعة ، أو الصفحة ، أو الجزء •• فلا يدري المحقق أية طبعة يريد •• مع أنه مانقل عبارة الا حرف فيها وغير ، ومن كان في ريب من ذلك فليراجع الأصول ، ويكابد محنة التطبيق ليؤمن بما قلناه عند جرجي ؟!!

•• ولكننا أردناها لقيمات تتذوقها من « طبخة » كبيرة طبخها جرجي من تاريخنا، وقدمها للاجيال ••

وخاتمة لدراستنا هذه •• يمكننا أن نستخلص من مجموع الروايات ، ما أراده جرجي ، وما هي الملاحظات الرئيسة التي توجه الى هذه الروايات :

١ً ــ شوّه جرجي سيرة أبطال الاسلام •

ففي « فتاة غسان » •• شوّه سيرة النبي الكريم ﷺ ورجالات الصدر الاول •• ووصفهم بالبطش ، والفتك ، والنهب ••

وفي « أرمانوسة المصرية » شوّه حياة عمرو بن العاص •• وأظهر المسلمين سذّجاً بسطاء أغبياء ••

وفي «عذراء قريش» •• شوّه سيرة عثمان وعلي وعائشة••رضي اللهعنهم •

وفي « ١٧ رمضان » •• شوّه سيرة خلفاء بني أمية •

وفي « فتح الاندلس » •• شوّه سيرة طارق بن زياد وموسى بن نصير•

وفي « شارل وعبد الرحمن » •• شوّه سيرة عبد الرحمن الغافقي••

وفي « أبي مسلم الخراساني » •• شوّه سيرة المنصور •

وفي « العباسة أخت الرشيد » •• شوّه سيرة الرشيد ••

وهكذا شوّه جرجي أيضا سيرة المعتصم ، وأحمد بن طولون ، وعبد الرحمن الناصر ، والظاهر بيبرس وقـُطـُز ، ومحمد أحمد المهدي ••

٢ً ــ طمس جرجي بطولات وفتوحات المسلمين ، وأثار الشكوك حولها •• تارة بالنهب والسلب ، وتارة بالبطش والفتك •• وتارة بالظلم « جزية ، خراج، أتاوة •• » •

٣ً ــ جعل جرجي الجزئية كليَّة ، واستــدل بجزئية واحــدة على الامر الكلي[1] •• وهذا حاصل في كل استنتاجاته ودعاواه ، يجعل الواقعة الجزئية قضيَّة كلية وقاعدة عامة •• يضاف الى هذا •• إغفال الاحداث الرئيســة في تاريخ الاسلام ••

مثال ذلك •• أشار جرجي الى نكتة ذكرها صاحب الاغاني لحسين بن الضحاك ، فأنزلها منزلة الامور العمومية في ذلك العصر ، فهذا ليس بتاريخ ، بل مسخ التاريخ ، وقال جرجي « ومن ثمار الحضــارة في ذلك العصر تكاثر الغلمان ، وصاروا يحجبونهم كما يحجبون النساء » •• هذا ما رآه جرجي من ثمار الحضارة ، ومن مميزات عصر النهضة الذهبي في تاريخنا !!

٤ً ــ جعل مسرح أحداث رواياته في الاديرة والكنائس ، وجعل للرهبان

(١) لاحظ ذلك الدكتور شوقي ضيف في تعليقاته على كتــاب (تاريخ آداب اللغــة العربية) لجرجي زيدان ــ والكتاب موجود في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم و ــ ١٠١٨٥ ، طبعــة دار الهلال ــ ، فقال الدكتور ضيف في هامش الصفحة ١٦٢ ، الجزء ٣ ، عندما ذكر جرجي معمماً « مجاراة المؤرخ لولاة الامر » عبر تاريخنا العربي الاسلامي :

« في هذه الاحكام مبالغة واضحة ، فقد حافظ مؤرخو العرب على اعطائنا صورة دقيقة للدول التي كتبوا عنها وخير مثال لذلك الطبري ، فقد صور تصويرا دقيقا تاريخ بني أمية وأعطانا رأي خصــومهم وأنصارهم فيهم ، مع أنه ألف كتابه في زمن العباسيين وفي بغداد ، ولانكاد نعرف عندنا تاريخا بني على الهوى الخالص ، وكل ما في الامر أننا نتهم أحيانا ما يرويه بعض أصحاب النحل والعقائد ، ولكننا دائما نقابل كلامهم على كلام غيرهم من الرواة والمؤرخين ، لتتضح لنا الحقيقة ، وما يقال في بني أمية ، يقال في المعتزلة ، بل حتى في الزنادقة المارقين ، فان كتب التراجم لم تأل جهدا في التعريف بهم على حقائقهم ».

ويقول الدكتور شوقي ضيف في هامش الصفحة ١٦٤ ، الجزء ٣ : « هذا الحكم العام كما أسلفنا غير صحيح ، فالانتقاد التاريخي كان يسيطر على عقل المؤرخين الاولين مثل ابن سعد والبلاذري والطبري، ولم يكن أحد من هؤلاء موظفا عند العباسيين ، وكان ابن مسكويه موظفا عند البويهيين ، ومع ذلك تحرى الدقة فيما كتبه عنهم في تاريخه ، فلم يتعصب لهم بل وصفهم على حقيقتهم متحريا الصدق السياسي ما وسعه ، ومما يدل دلالة واضحة على أن المؤرخين لم يكونوا يتحيزون فيما يكتبون مابقي لنا من تاريخ ابن حيان الاندلسي فيما يرويه عنه ابن بسام وفي الجزء المنشور في المقتبس الذي أسلفنا الاشارة اليه. وما زالت ملكة النقد التاريخي تنمو عند القوم حتى كتب ابن خلدون تاريخه » .

ويمكن القول أيضا : « ولو أن المؤرخين كانوا يراؤون العباسيين كما يقول ــ جرجي ــ ما استطاع المسعودي ــ وهو شيعي النزعة ــ أن يؤلف كتبه وينشرها في عصرهم ، وهي مليئة بالتشهير بهم » .

والقسس دور التوجيه حيث الامن والامان والاحترام والطمأنينة ، والرأي القويم السليم •• عندهم •

كما أضـفى هالات مثالية على كل ما هو [مسيحي] ••• وسـلـّط الاضواء على صور الصلبان والقديسين ومياه المعمودية المقدس •• وزيـت مصـباح الدير •• « الشفاء التام ببركة الماء المقـدس وزيت المصباح وبركة صاحب الدير » ••

٥ً ــ تلاعـَب بالمصادر والمراجع •• وإن أشار الى مرجع ونقل فقـرة ، نقلها مشوّهة ودون ذكر الجزء أو الصفحة أو الطبعة •• وما ذلك إلاّ لإيهـام القارىء بموضوعيته ••

كما وأنه يضع كلاماً بين قوسين ، وكأنه ينقل حرفياً بأمانة •• مع أنه كلام من أفكار جرجي •• يدسه ويرويه على ألسنة أعلام مشهورين • وبخاصة حوار كبار الصحابة مع بطلاته الوهميات !!

٦ً ــ ركز جرجي على فترات القلق السياسي ، فكانت له أحداث الفتنـة الكبرى ، وأبو مسلم الخراساني ، الامين والمأمون ، وشـجرة الدر •• مرتعاً خصباً للخوض في غمار هذه الاحداث مجسماً الخلاف ، مظهراً العيوب ••

٧ً ــ كما أكثر جرجي من « الدعوى بلا دليل » ••

كاستهانة عبد الملك بن مروان بالقرآن الكريم : « هذا فراق بيني وبينك!»

وكقوله ان معاوية أرسل بسر بن أرطأة ، وأرسل معه جيشاً ، أوصـاهم أن يسيروا في الارض ويقتلوا كل من وجدوه من شيعة علي ، ولا يكفوا أيديهم عن النساء والصبيان !!

وكقول جرجي ان المنصور والمعتصم ، بنيا كعبتين في بغداد وسامراء !!

وكقوله بكره المنصور للعرب[1] •• وهو العربي وابن عم النبي العربي صلى الله عليه وسلم •

وقوله إن « دائرة للمنجمين » في قصر الخلافة العباسية في بغداد •

وقوله : ذبح الخليفة أهل الكرخ بسبب جارية •

وقوله : إن للبطل الفاتح عبد الرحمن الغافقي « خباء من النساء »!!

٨ً ــ أظهر شعوبية وحقداً على العرب ••

لقد حقر جرجي ــ في ذهنه فقط ــ أمتنا ، وأظهر مساوئها •• بل ما ترك سيئة إلا وعزاها لأمتنا ، وابتز منها كل مكرمة •• واستغل الطورانيون ، أعداء العرب ، مؤلفات جرجي ، فترجمت الى اللغة التركية ، للاستعانة بما كتبه في تحقير العرب ، وانتقاص مدنيتهم ، وغمط حضارتهم ، وتفضيل الاعاجم عليهم، فكادوا يولدون بذم العرب عصبية جديدة ••

لقــد جعل جرجي العرب غرضــاً لسهامه ، ودربة لنباله •• يرميهم بكل نقيصة ، ومعيبة ، وشر ••

٩ً ــ أثار الاحقاد التي يرجو كل عاقل إطفاء نيرانها بين السُّنَّة والشيعة •• وبخاصة في رواياته : عذراء قريش • ١٧ رمضان • غادة كربلاء • أبو مسلم الخراساني • العباسة أخت الرشيد • الامــين والمأمون • عروس فرغانة • فتاة القيروان ••

---

(١) كان العباسيون عرباً هاشميين ، « وكانوا يعدون ذلك من أكبر مناقبهم ، وإذا رجعنا الى قوادهم وولاتهم وجدنا كثيرين منهم عرباً خلصاً ، فالعرب كانوا ممثلين في الجيش والدولة طوال العصر العباسي الأول ، كما كانوا أيضاً ممثلين في الشعر والأدب والحياة العقلية ، وكل ما يمكن أن يقال في هذا الصدد أن كفة الفرس لعوامل سياسية كانت ترجح كفة العرب ، ومع ذلك كانوا إذا أوغلوا في تعصبهم عليهم ، تخلص منهم الخلفاء على نحو ما تخلص المنصور من أبي مسلم الخراساني، والرشيد منالبرامكة » د• شوقي ضيف ، هامش ص : ٤٤ ، ج : ٢ « تاريخ آداب اللغة العربية » •

جاء في « فتـــاة القيروان » : « إن شيعتنا في ضنك شـــديد ، إن هؤلاء الظالمين يسومونهم سوءالعذاب من الاهانة والضرب والحبس بسبب وبلاسبب» .

« إن شيعتنا مغلوبون على أمرهم يذوقون العـــذاب ألواناً من الحبس والقتل .. » .

« إنهم يسومون شيعتنا ذلك لأنها تجل أبناء الرسول ، لو قصصت عليك بعض الخبر لبكيت على حالنا » ..

١٠ً ـ أثار غريزة الشباب ، وحرك شهوات المراهقين ، مستغلاً ضعف ثقافة الكثيرين منهم ، وحاول إيصالهم الى الغاية التي يرمي اليها في كل رواية ، مع لواعج الغرام ، اصطكاك الركب ، خفقان القلوب ، رعشات الحب ، سريان الكهرباء عند تلامس الايدي ..

١١ً ـ كما جعل جرجي تاريخنا العربي [مع الغرام والحب] .. دسائس، جواسيس ، لصوص ، ظالمين ، قطاع طرق ، ثارات ، طاغين ، وشايات .. ولقد ذكرنا في كل رواية ماورد من مثل هذه العبارات ..

١٢ً ـ وجعل جرجي وراء سير الاحداث غانيات فاتنات ، ملكات جمال ممشوقات القوام ، ممتلئات الجسم ، مستديرات الوجه كالبدر .. جمعن بين لطف النساء وحزم الرجال وشجاعتهم ، يتنقلن بخفة متناهية بين بلد وبلد ، وبين فئة وأخرى ليسيرن الاحداث في تاريخنا العربي الاسلامي .

فقطام في « ١٧ رمضان » فتاة الكوفة الفتانة ، التي ذاع صيتها في الآفاق، وسمع بجمالها القاصي والداني ، حتى أصبحت فتنة الكوفيين ومضرب أمثالهم، وشخصت إليها الابصار ، وحامت حولها القلوب ، فباتت معجبة بجمالها .

وسلمى في « غادة كربلاء » عند النظر اليها أعجب الحبيب بها فلم يرَ جمالا مثل جمالها في فتاة قبلها ، طول عمره الذي قضاه في دمشق وضواحيها،

مع كثرة ما شهد من بنات الروم والعرب والنبط والسريان واليهود ، فلم تقع عيناه قبل تلك الساعة على فتاة في وجهها من الجمال والهيبة مثل مافي هذا الوجه، وقد أدهشه منها بنوع خاص جمال عينيها ..

وجلنار في « أبي مسلم الخراساني » مضرب الامثال بالجمال والتعقل والأنفة .. وهي على جانب عظيم من الجمال ، مستديرة الوجه ، ممتلئة الجسم، طويلة القامة معتدلتها ، بيضاء البشرة مع حمرة تتلألأ تحت البياض ، سوداء الشعر مسترسلته ، نجلاء العينين كحلاءهما ، تفيض جاذبية وحلاوة ، وكان لها في مقـدّم الذقن فحص ، واذا ابتسمت ظهر على جانبي فمهـا فحصتان هما « الغمـازتان » .

وهكذا .. في كل رواية .. كلما أُزيح لثام ، ظهر وجه كالبدر ، ليكون وراء الاحداث بتعقل وحنكة .. وهذا تفسير فرويدي جنسي لتاريخنا العربي الاسلامي !!

١٣ً ــ عود الناس تصديق الخرافة والخيال .. فقصة الحب التي ينسجها بين حبيبين يباعد الفتح أو تباعد الاحداث بينهما ، يعودان الى اللقاء في نهـاية القصة .. مع تنجيم ، وسحر ، وكهان ، ورمل ، ومندل وودع[1] ..

كل هذا في « روايات تاريخ الاسلام »!!

١٤ً ــ عدم استخراج فائدة ، أو روح معنوية سامية من هذه الروايات.. مع أن الكاتب الكبير هو الذي يوجّه قراءه الى هدف كبير ، وأوّل خطوة تجاه الهدف الكبير البعد عن الكذب والدس والتشويه والحذلقة والطعن والشعوبية.

الكاتب العظيم .. من يجعل فيما يكتبه مغزى عظيما رفيعا ، ولن تكون

(١) ذكر جرجي في « تاريخ آداب اللغة العربية » قصصا خرافية ، ووضع صورا خرافية لحروب الاسكندر المكدوني مع أمم لهاست أيد ، وأمم لها وجوه بهائم ؟!؟

العظمة فيما يكتب إلا اذا التزم الكاتب الصدق ، والامانة ، والموضوعية .. ولن يصل الى المستوى الرفيع إلا اذا جعل مايكتب للسمو بالجيل فكراً ونفساً وروحاً ومنهجاً .

١٥ً ـ كما قلد جرجي المستشرقين في شبهاتهم .. الرهبان علموا النبي الكريم ﷺ ، سطو العرب وحبهم للغنيمــة ، لا يشجع الاسلام حرية الفكـر والفلسفة ، ادانة الرشيد في نكبة البرامكة ..

١٦ً ـ وكان جرجي يختصر فيما ينبغي الاطناب فيه ، والاطناب فيما ينبغي الاختصار .. كوصف دير ، أو بستان ، أو غرفة ، أو جارية .. صفحات ذكرناها فيما سبق .. بينما يذكر عين جالوت في سطرين دون ذكر اسمها ، ولا يذكر غزوات النبي ﷺ مطلقاً ، حتى أنه في كتابه « تاريـخ آداب اللغة العربية » خصص اثنتي عشرة صـفحة لموضوع أجنبي بعيـد عن آداب اللغة العربيـة وهو آداب اللغة اليونانية وأطوارها ، وتراجم مستقلة بصـور كبيرة لفلاسفة اليونان ، وآداب اللغة الفارسية وأطوارها ، وآداب اللغة السريانية وأطوارها ، وآداب اللغة الهندية .. نقل هذه المباحث من دوائر المعارف ، نقلها هنا بلا مناسبة وكان الأوْلى به أن يحل محلها كتّاب الدولة العباسية ، وهم فحول البلاغة ، وقادة الكلام .

ومما يذكر هنا .. التطويل والتكرار في موضوعين أو ثلاثة لغير موجب، مثل : وصف جمال الغانيات والجواري ، والتهتك والخلاعة ، واثارة الاحقاد بين المسلمين ، ثم اعادة ذلك بعينه في كل رواية !!

١٧ً ـ يتضح من مراجع (جرجي) أنه لم يطلع مطلقاً على « منهج البحث التاريخي » .. ويتجلى ذلك في اعتماده على كتب شكّ المؤرخون بصحتها ، بل وعرفوا كذبها ومجونها .. مثل الاغاني الذي جعله مرجعاً رئيســاً في معظم رواياته ..

١٨ً ـ كما دوّن جرجي في رواياته : تصورات أبطال هذه الروايات ، وما قالوه في أنفسهم ، وما سمعوه من هواتف ، وما مرّ على خواطرهم من ذكريات .. حتى أحلامهم سجلها جرجي ..

وليس بمثل هذه الخيالات يكتب تاريخ على وجه البسيطة !!

* * *

وختاماً أقول : يا عرب ..

عُرِض فيلم سينمائي بدمشق عن الفراعنة عام ١٩٥٦ ، ولانه يسيء الى الفراعنة الذين يشكلون جزءاً من تاريخ مصر ، عندما صوّر ظلم نظام السخرة في بناء الاهرامات ، قدّمت دار العرض قبل بدء الفيلم لوحة تقول : « إن هذا الفلم لا يمتّ الى الحقيقة التاريخية بصلة مطلقاً » . فهل هان علينا تاريخنا ، وأصبح أهون علينا من تاريخ الفراعنة ؟!.

أهان علينا محمدنا وعمرنا وعليّنا ؟!

وهان علينا الرشيد وصلاح الدين ، حتى قام هندي ـ ولكنه مسلم ـ يستصرخكم للدفاع عن تاريخكم يا عرب .. انه الشيخ شبلي النعماني رئيس جمعية ندوة العلماء بالهند .. هندي يغضب لتاريخنا المجيد ، ونحن لانبالي؟!

واذا سئلت عن الحل : والواقع يقول ان هذه الروايات في الاســواق تطبــع وتطبع : فماذا نعمل ؟

أقول الحل حلاّن:إما منع هذه الروايات من التداول في الاسواق،وابراز فسادها في وسائل الاعلام المختلفة ، وهذا هو الواجب الاول والاخير . وإما إلزام دور النشر والمطابع بوضع عبارة كعبارة فيلم الفراعنة : « هذه الروايات « الزيدانية » لاتمت الى الحقيقة التاريخية بصلة » .

اللهم انها صرخة مخلصة ، فلا تجعلنها يارب صرخة في واد ..

اللهم إني قد بلغت ، اللهم اشهد ..

* * *

المحتوى

صفحة

للمؤلف

صدر من سلسلة « المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام » الأجزاء التالية :

١ ـ القادسية	بقيادة سعد بن أبي وقاص .
٢ ـ اليرموك	بقيادة خالد بن الوليد .
٣ ـ نهاوند	بقيادة النعمان بن مقرّن المزني .
٤ ـ ذات الصواري	بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح .
٥ ـ فتح الأندلس	بقيادة طارق بن زياد .
٦ ـ بلاط الشهداء	بقيادة عبد الرحمن الغافقي .
٧ ـ فتح صقلية	بقيادة أسد بن الفرات .
٨ ـ الزلاقة	بقيادة يوسف بن تاشفين .
٩ ـ الأرك	بقيادة المنصور يعقوب الموحّدي .
١٠ ـ العقاب	بقيادة محمد الناصر بن يعقوب الموحّدي .
١١ ـ مصرع غرناطة	«أبو عبد الله الصغير آخر ملوك بني الأحمر»

كتب أخرى :

١٢ ـ الإسلام في قفص الاتهام	الطبعة الخامسة «ترجم إلى اللغة الفارسية» .
١٣ ـ مَنْ ضيّع القرآن ؟	الطبعة الثانية .
١٤ ـ الإنسان بين العلم والدين	الطبعة الثالثة .
١٥ ـ هارون الرشيد	الطبعة الثالثة .
١٦ ـ غريزة .. أمْ تقدير إلهي ؟	الطبعة الرابعة .
١٧ ـ آراء يهدمها الإسلام .	الطبعة الثالثة .
١٨ ـ الإسلام وحركات التحرر العربية	الطبعة الثانية .
١٩ ـ عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي	الطبعة الثانية .
٢٠ ـ الهجرة «حدث غيّر مجرى التاريخ»	الطبعة الثانية .
٢١ ـ جرجي زيدان في الميزان	الطبعة الثانية .